عبد الله حسين

الصِّحَافَةُ وَالصُّحُفُ

[illegible]

تقـــديم

اشتغل المغفور له «عبد الله حسين» بالصحافة والمحاماة والسياسة وبرز في كل منها؛ ولكن روحه الصحفية طغت على الناحيتين الأخريين، حتى أصبح، رحمه الله، فى الطليعة من رجال الصحافة؛ فكانت كتاباته فيها موسومة بطابع الاتزان وحسن الفهم ودقة التفكير ونزاهة القصد وجمال الأسلوب وعفة التعبير.

وقد شاءت الأقدار أن يكون آخر عمل له فى حياته ذلك الكتاب الذى يؤرخ فيه للصحافة ويحدثنا عنها علماً وفناً، وعن الصحف أداة إخبار وتعليم وتهذيب.

ولقد كانت لجنة البيان العربى قد قررت ألا تطبع أى كتاب على نفقتها فى الوقت الحاضر؛ غير أنها تكريماً لذكرى الفقيد العزيز، وتقديراً منها لهـــذا المؤلف الذى رأت فيه خلاصة خبرة صحفية اكتسبها الفقيد خلال ربع قرن أو يزيد، أن تقوم بطبع الكتاب وأن تقدمه للعالم العربى هدية من المؤلف يبعث بها من عالم الخلود.

. فإلى الناطقين بالضاد تقدم اللجنة آخر أثر من آثار الفقيد بعد حياة قصيره بسنيها ، طويلة بما قدم فيها لأبناء وطنه وللأقطار العربيه من آثار كان يرجى أن تزيد لو لم يعاجله القدر .

فللجنة البيان العربى أجزل الشكر وأعظم التقدير ؟

٢٣ جمادى الأولى ١٣٦٧ عن أسرة الفقيد

٣ أبريل ١٩٤٨ محمد عبد الهادى

مراقب عام التعليم بالسودان

كلمة المؤلف

تستأثر الصحافة اليوم بالمكانة العالية، وقد لقبوها بصاحبة الجلالة وعدوها السلطة الرابعة فى الدولة . وقد أصبحت الصحافة اليوم حرفة وفنا وعلما وصناعة ، كما أنها أمست محوراً تدور عليه مختلف شئون الحياة من عامة وخاصة .

من أجل هذا رأينا أن نجول حول الصحف فى مصر والسودان والبلاد العربية والبلاد الأخرى ، جولة ، نقتطف خلالها من أزاهير الصحافة زهوراً ، ونتناول من ثمارها طعاماً شهيا ، ونؤدى للقراء بعض الواجب لجلاء سر هذا الكائن العجيب فى مبنى الدول والأمم والمشروعات ، مشاركين من سبقونا فى مجهودهم ، مستزيدين غيرنا فى اتمام هذه الرسالة النبيلة ؟

عبد الله حسين

الفصل الأول

نشأة الصحافة

الصحيفة ، من مجلة دورية وجريدة سيارة ، هى ذلك الكتاب الذى يطالعنا فى موعده ، صباحاً كان أم ظهراً أم عصراً أم مساء أم اسبوعيا أم شهريا ، أم دوريا كل ثلاثة أشهر أو نحو ذلك .

إنه كتاب ، يختلف عن الكتب العادية التى نقرؤها ونودع خزاناتنا ، إنه كتاب جار دوار سيار ، يصيد كل ما يقع عليه شباكه ويبادر إلى عرضه فى عجلة ولهفة ، شعاره : عدم فوات الوقت وعدم إضاعة الفرصة . فالقارىء العادى يجد فيه بغيته من الأنباء والبحوث العامة الملخصة ، والتاجر يتناول منه أنباء السوق التجارية ورأى الاخصائيين فى الحركة الاقتصادية ، والعالم يقف على أنباء المخترعات الحديثة ودراسات الاخصائيين فيها ، والرياضى يعلم أنباء المباريات ونشاط الأبطال ومواعيد الحلبات ، والسياسى يحيط بالتطور السياسى المحلى والخارجى ويبنى على ما يعلمه خطته وموقفه

والطالب يدرك الصلة بين دروسه وبين هـذا العالم الدوار السيار ، والعامل يفوز بدرس حياة الناس وحياة العمال الآخرين .

* * *

هذه العناوين الكبيرة المسترعية للأنظار، هذه السطور المتراصة، هذه الكلمات المطبوعة، هذه الجمل المتدفقة . هـذه النيران المتأججة فى بطون النداءات والمقالات والخطب . هـذا الطعام الدسم وهذا الحلو القريب التناول ، هذا المرطب المهدى للاعصاب .

هـذا النبض المتحرك فى سرعة بالغة ، أو المتباطىء فى تؤدة متابعة . هذا الخير ، هذا الشر ، هذا الصحيح ، وهذا الباطل ، هذا الغلو وهذا الايجاز والغموض .

هذا بعض ما تؤديه الصحيفة لنا ، حين نرقبها ، وحين نقرؤها وحين نستعيدها ، وحين نعقب عليها .

هى حياة زاخرة ، حافلة بل قل إنها هى الحياة بحذافيرها .

* * *

أما عن النشأة الأولى لهذا الوليد ، حين كان سعيدا وحين يكون شقيا ، فأصدق ما يقال إنه لا يعرف على وجه الدقة ، متى بدأت

الصحافة وكيف بدأت . وحسبنا أن نذكر أن عند بعض المتحدثين عن الصحافة ، أنها قد بدأت فى صورة الأوامر والتبليغات التى كانت الحكومات تعمد إلى إذاعتها على الجمهور شفهياً . وكانت طريقة الاذاعة إيفاد رسل يحملون مكاتيب مكتوبة على ورق البردى الى كل إقليم . وكان هؤلاء الرسل فى حركة دائمة . وكانت لهم محطات معينة يتجهون اليها بما يحملون من الرسـائل . وكانت لهم جياد فى كل محطة من هذه المحطات . ومتى وصلت الرسالة الى حاكم الإقليم أذاع ما فيها على سكان إقليمه ، وقد يلجأ فى بعض الأحيان إلى إطلاق المنادين ينادون بما فيها . ولقد كانت الإذاعة على أيدى المنادين طريقة منتشرة فى مصر الى سنين ، وأنها ما زالت تستخدم الى وقتنا هـذا فى بعض القرى . وأخص ما تستخدم فيه نعى المتوفين الى أهل القرية كى يجتمعوا ويشيعوا المتوفى .

ولكن الحكومة كانت لديها تبليغات أخرى ليس من الضرورى أن تريد لها الإذاعة على عجل ، أو هى تريد لها هذه الإذاعة ثم تريد لها الى جانبها إذاعة أقوى ، فكيف كانت وسيلتها إلى ذلك ؟

كانت وسيلتها النقش على الحجر ، وكان لا بد لها حينئذ من أحجار عدة تنقش على كل واحد منها نسخة من التبليغ الذى تريده ثم تبعث بها إلى حيث توضع فى المعابد التى يكثر تردد الناس عليها

ومن هذه الأحجار حجر رشيد المشهور والذى كان وسيلة للوقوف على سر الكتابة المصرية . وقد وجدت من هذا الحجر إلى الآن نسختان إحداهما هى التى أخذها الانجليز فى حملة بونابرت ووضعوها فى المتحف البريطانى ، والثانية عثر عليها بعد ذلك وهى توجد الآن فى المتحف المصرى .

ولقد كان حجر رشيد مكتوباً بثلاثة خطوط : اليونانى والديموطيقى والهيروغليفى . وهذان الخطان الأخيران من خطوط اللغة المصرية وإنما كتب الحجر بلغتين وثلاثة خطوط لأنه كتب فى عهد بطليموس الخامس فى نحو سنة ١٩٦ قبل الميلاد وكان الغرض من كتابته إذاعة قرار أصـــدره المجمع الدينى فى مدينة ممفيس لمصلحة بطليموس هذا ، فكان الخط اليونانى لليونانيين ، والخط الديموطيقى لعامة الشعب ، والخط الهيروغليفى للكهنة . وبذلك يسعنا أن نقول إن حجر رشيد كان جريدة واسعة الإنتشار .

على أنه ينبغى ان نذكر أن مصر لم تنفرد باستخدام النقش على الحجر لإذاعة التبليغات والأخبار إذ كان فى معرض الصحافة فى كولونيا (بألمانيا) فى ١٩٢٨ قطعة من الحجر وجدت فى جزيرة كريت ، ويرجع تاريخها إلى ما قبل المدنيه اليونانيه ، وقد حفرت عليها شارات ورموز ، فلما قرئت هذه الإشارات والرموز عرفت أنها

دعوة إلى وليمة . وإلى جانب هذه القطعة قطعة أخرى من الخشب وجدت في استراليا ويرجع تاريخها إلى أكثر من ألفي سنة وعليها نقوش هي أيضا دعوة إلى وليمه . فهاتان الدعوتان على الحجر والخشب هما إذن الجد الأعلى ، الذى نعرفه ، لما تنشره الصحف الآن من أخبار الزواج والولائم والدعوة إليها .

وقد كانت الصحافة ، إلى ما قبل اختراع المطبعة فى القرن السادس عشر ، تختلط بالكتابة وبالبريد ، فتاريخها فى تلك العصور القديمة هو تاريخهما ، أما بعد اختراع المطبعة فقد انفصلت الصحافة عن الكتابة وعن البريد وصارت شيئاً ضخماً مستقلا بذاته ، ليست الكتابة وليس البريد إلا بعض أدواته (١)

---

(١) المحاضرات الصحفية فى ١٩٣٦

أقدم جريدة فى العالم

ليس من الميسور معرفة نشأة أول جريدة صدرت فى العالم ، ومما يقال إن جريدة رومانية صــدرت فى عام ٥٨ ق . م باسم « الأعمال الرسمية » أو « الوقائع الرسمية » وأن الامبراطور يوليوس هو الذى أسسها وأمر كبار موظفى دولتـه أن يدونوا جميع أعمالهم اليومية على لوح يعلق فى الميادين العامة . كذلك صدرت فى روما صحيفة أخرى غير رسميه وقد انتشرت انتشاراً واسعا و كانت ذات ثلاثة أبواب . يتناول أولها الشؤون السياسية وأمور الدولة والأقاليم وميادين القتال . وثانيها أخبار الدواوين والمحاكم والأحزاب . وثالثها الأخبار العامة كأخبار الزواج والوفيات وحوادث الطلاق وما إلى ذلك . ويبدو أن هذه الصحيفـة كانت تكتب بلغة أثارت انتقاد علماء اللغة فى ذلك العصر . كما شكا منها الفيلسوف سنيكا لأنها تتوسع فى نشر حوادث الطلاق وفى تفصيل فضائحها ونؤثر أن ننقل من نسخة من هذه الصحيفـة منقولة فى كتاب تاريخى بعض النبذ التى جاءت فيها :

« اجتمع اليوم لفيف من القضاة فى منزل القنصل سيسينيوس »

« هبت العاصمة أمس على أكمة فيلى . وانقضت صاعقة على سنديانة

عند سفح تلك الأكمة ».

« وقعت مشاجرة عظيمة فى حانة على أكمة جانوس فأصيب صاحب الحانة بجراح خطرة ».

« عوقب أمس عدة من الجزارين لبيعهم لحوما قبل فحصها. وستستعمل الغرامات التى أخذت منهم لبناء معبد للآله لا فرنا ».

« قبضت شرطة نيوفا على اللص دميفون ونفذت فيه حكم الصلب فى اليوم عينه ».

« وصل اليوم الأسطول قادما من سواحل آسيا ».

أما أول جريدة ظهرت فى بلاد الصين . فهى جريدة تصدر الآن يومية اسمها « كين بين Kine Bane » وكانت لسان الحكومة وصدرت فى ٩١١ وأما أول مجلة فى الصين فهى « تسين راو » أى « المجلة » وقد صدرت فى القرن السادس .

وكانت جريدة « كين بين » فى بدء صدورها شهرية أيضاً ثم ازداد انتشارها ، وتعددت موضوعاتها التى كانت تراعى فيها ميول الخاصة والعامة فصدرت منذ عام ١٨٣٠ يومية . ونظراً لانتشارها المطرد أصبحت تصدر ثلاث مرات فى اليوم على ورق ملون لكل طبعة ورقها الخاص : فطبعة الصباح لونها أصفر ، وطبعة الظهر ورقها أبيض

وطبعة المساء لونها رمادى ولم يحدث مثل هذا التقدم فى جرائد أوربا وأمريكا إلا فى القرن العشرين.

وكانت الحروف التى استخدمها الصينيون فى طبع هاتين الجريدتين تصنع من الخشب، وهى الحروف التى أبتدعت منذ اختراع الطباعة فى القرن الثالث عشر الميلادى.

والذى دعا الصينيين الى اختراع الطباعة هو كثرة تداول الكتب الدينية فى بلادهم التى يزيد عدد سكانها على ٤٠٠ مليون نسمة، فبدأ الكهنة ينقشون الحروف الصينية على الخشب الصلب، ويستخدمونها فى طبع الكتب بدلا من كتابتها أو نسخها باليد.

أما الكتب الدينية الصينية فهى من أضخم الكتب المقدسة فى العالم فمنها «الكابو ندجور» المؤلف من ١٠٨ مجلدات، وشرحه «التاندجور» المؤلف من ٢٠٩ مجلدات.

وقد لزم لصنع القوالب الخشبية لطبع «الكاندجور» أكثر من ست عشرة سنة؛ واشتغل فى طبعه ٤٥ عاملا لمدة ثلاثة شهور، أما «التاندجور» فاستغرق فى صنع قوالبه وطباعته سنة كاملة.

ومما طبع على القوالب الخشبية جريدة كين بو (Kine Pou) وقد صدرت فى الصين حوالى ١٥٥٠. ثم تلتها (الجازيت دى فينس (Gazette de venice). هذا واسم الجازيت مشتق من (الجازيتا)

وهى قطعة صغيرة من النقود كانت متداولة يومئذ فى البندقية (فينيسيا).
على أن الجرائد الأولى المهمة ترجـــع إلى بداية القرن السابع عشر. فكانت (الجازيت) وهى صحيفة دورية فرنسية كان يصدرها تيوفراست رينودوت Théophraste Renaudot وهو بروتستانتى رحالة حصل من ريشيليو فى ٣٠ مايو سنة ١٦٣١ على امتياز يخوله وأولاده حق طبع الغازيت دواما. وكانت المجلة أسبوعية فى أربع صفحات ثم فى ثمان وكانت تنشر أخبار فرنسا والخارج، وكانت شبه رسمية ومن غير مقالات رئيسية.

ونهج كولبير Colbert نهج ريشيليه وعرف حاجة البلاد الى صحيفة تتخصص للكتب والفنون والعلوم أى لتوجيه الحياة العقلية والسياسية للبلاد. ففى سنة ١٦٦٥ ظهرت جريدة (الجورنال دى سافانت — صحيفة العلماء) وكانت علمية سياسية، ثم صحيفة (Le Mercure) وكانت تنشر الموسيقى وأخبارها والأدب والأغانى والشعر وأخبار الزواج والوفيات والترقيات والتعيينات.

ومنذ ختام القرن السابع عشر — ظهرت الصحف بأنواعها الثلاثة: ١ — السياسية ٢ — الأدبية ٣ — الجرائد والمجلات ولم تكن هذه الصحف يومية بعد.

أما أول صحيفة يومية صدرت فى انجلترا فى سنة ١٨٠٢ فى

أول القرن الثامن عشر ، فكان اسمها (The Daily Crown) وأما أول صحيفة يومية فى فرنسا فكانت الجورنال دى پارى (Le Journal de Paris) فى سنة ١٧٧٧ وكانت تنشر أخبار المسارح والأدب والحوادث المختلفة ، والقضاء ، واعلانات الأشياء المفقودة ، والبورصه ، والحوادث ، كما تعنى بالنقد الأدبى ، والنشرات الصحيه ، ولم تكن تنشر المقالات السياسية ، ولكنها احتجبت مع الثورة .

أما فى سنة ١٧٨٩ فقد صدرت أكثر من ١٤٠ جريدة كانت شديدة اللهجة ، ومنتمية للأحزاب السياسية تبعاً لنتائج الثورة الفرنسية ذاتها . وقد صدرت صحيفة المونيتور يونيفرسال (Moniteur Universel) وهى صحيفة سبقت الجريدة الرسمية التى انشئت للأخبار الرسميه الخاصة بمصالح الحكومة . وصدرت فى التاريخ ذاته الجورنال دى ديبا Le Journal des Débats أنشأها (Ganthicr de Bauziat A' Auvergne) المحامى ونائب فى الدولة الثالثة ، وكانت وريقة تنشر صباحاً مناقشات الجمعية وكان مضافاً الى اسمها (J. D. et Décrets) .

أما الصحافة الانجليزية ، فكانت حرة وغزيرة المادة ويرجع ذلك إلى قانون Libel — Act ، وكان الوزير البريطانى الأول وليام بيت William Pitt يرى أنه لا خوف من الجرائد ما دامت

فى يد الأغنياء ، وذلك بفرض الضرائب عليها ولكونها غالية الثمن ومنذ نشرت الجرائد الاعلانات أصبحت الجرائد رخيصة السعر .

ويرجع إنشاء الصحف الكبرى فى انجلترا إلى جهود ثلاثة من ايقوسيا . فنى سنة ١٧٨٥ أنشأ John Walter التايمز (Times) جريدة يومية عامة ومستقلة عن الأحزاب . وفى التاريخ ذاته تقريبا أنشأ (James Perry) جريدة (Morning Chronicle) وأنشأ (Daniel Stewart) جريدة (Morning Post) .

وزادت هذه الصحف أهمية خلال القرن التاسع عشر .

وكان من ثمار التجديد الصناعى فى القرن التاسع عشر ، أن حل البيع محل الاشتراكات .

وكانت آلة الطباعة فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٨١٤ فى مطبعة التايمز فنشرت يومئذ مقالا مفصلا عن الاختراع الجديد ففى الساعة الواحدة تم طبع ١١٠٠ نسخة .

وفى الوقت نفسه اخترع الحبر — حبر المطابع فى فرنسا ،

وكذلك ظهر التصوير الصحفى والصحف المصورة وسهلت المواصلات وخاصة بعد اختراع القطر الحديدية ، والتلغراف والتليفون ، ثم ظهر الورق الصحفى المعروف برخصه .

وفى الوقت ذاته استطاع (Benjamin Day) ثم Gordon Benett فى أمريكا زيادة انتشار صحفها . فقد أنشأ (بنيامين) فى سنة ١٨٣٣ (Sun) و (جوردون) فى سنة ١٨٣٥ (The New York Herald) واستخدم (بنيامين) أول تحقيق صحفى (reportage) فى كل مكان فى نيويورك وغيرها (واشنجتون وأوربا) .

وحقق (Norse) اختراع التلغراف ونجح (Millan) فى فرنسا نجح (بنيت) فأصدر فى سنة ١٨٦٥ (Le Petit Journal) وأصدر (C Oconner) فى سنة ١٨٨٨ (Star) التى نشرت الطريقة الأمريكية . وشجع (Star) القراء بالمباريات والجوائز القيمة .

ثم ظهر فى الميدان لورد نورثكليف .

الفصل الثانى

رسالة الصحافة

يقول الفيكونت دافنل ، وهو مفكر فرنسى ، إن الجريدة فى نشأتها الأولى عند بدء اختراع الطباعة ، كانت تطبع فى ورقة واحدة فى كل أربع وعشرين ساعة حاوية كل الأخبار الهامة ، وكان نشر الأخبار هو الفكرة الأولى لانشاء الصحف . ثم تطورت الصحافة حتى أصبحت الجريدة هى الصلة بين الزعماء والشعب ، والوسيلة لنشر الدعايات والأفكار الجديدة فالصحيفة بمثابة ملك أو ذى نفوذ وسلطان لها جمهورها الذى يتلهف على قراءتها .

والجريدة القوية ذات المحرر الماهر ، الذى يعرف كيف يجتذب القراء هى قوة هائلة لا شبيه لها فى الدولة الديمقراطية .

ثم إن دافنل قد أورد بعد هذا حواراً ظريفاً بين جريدة وكتاب ليدلل على أهمية الصحيفة وتفوقها على الكتاب .

قال الكتاب للجريدة : إنك تنعمين بمئة الف قارىء . ولكنك لاتمكثى إلا ساعة واحدة ثم لا تلبثين أن تمزق ويلق بك أو يكون منك غلاف واحد للحاجيات ، انك تختفين دون أن تتركى اثرآ كالذى أتركه أنا .

فأجابت الجريدة : — أننى اعترف أنك تعمر أكثر منى ولكنك تعيش فى عالم من الظلام وفى زوايا النسيان لذا فانا أفضل حياة يوم أراه مشرقا على مائه عام تقضيها مجهولا مهملا على الرفوف التى يعلوها التراب لا يبحث عنك أحد ولا يجرى فى أثرك مخلوق اللهم الفيران !

ويضرب لنا مثلا أعلى فى النقد الصحفى الصحيح « مولفيك » الصحفى الفرنسى فيقول إنه كان كما يقول التاريخ الطبيعى : إن النسر لا ينقض إلا على الفريسة الحية فاذا لم توجد هـــذه الفريسة فانه لا يلبث أن ينقض على الجثث العفنة »

ولقد كان فولفيك بشرآ يمزق أجساد الأحياء بضرباته القاسية ولكن تلك الضربات كانت من آثار النقد الصحيح الذى يزيل عن الانسان غبار الاعتداد بالنفس الذى يقعد به عن طلب الكمال .

ويروى الأستاذ ديلاين رئيس تحرير التايمز الأسبق أن سفير انجلترا فى فرنـا انتهز فرصة وجوده فى باريس وقدمه إلى ملكة

هولاندا فالتفتت الملكة إلى أحد رجالها وصرحت له بأنها تعتبر تحرير التيمس هو رابع سلطة فى بريطانيا العظمى .

وكانت التيمس فى عهد دبلان قد نشرت مقالا هز الملك ليوبولد ، ملك البلجيك السابق ، فأوفد اللورد درهام وكان من عظماء الانجليز يومئذ ليتوسط لدى رئيس تحرير التيمس لنشر مقال آخر يلطف به وقع المقال الأول .

وشبيه بهذا ما حدث للصحفى الفرنسى فرفيسان فقد كتب فصولا يؤيد فيها السياسة القائمة فى عصره ، وأرسل اليه رئيس الجمهورية السكرتير العام لقصر الاليزه . يقول إن جنابه يود أن يراه ليعبر عن ارتياحه ، فأجابه الصحفى العظيم « إننى أقبل بسرور مقابلة جنابه ويمكنك أن تبلغه أنى موجود دائماً بمنزلى فى الصباح واننى استقبل الزوار فى إدارة الجريدة من الرابعة إلى السادسة » .

قالت جريدة « الأهالى » :

إذا حوسب كل امرىء على عمله كان حسابه مجملا لا مفصلا ، وإذا حوسب الكاتب الصحافى على ما يرقش ويسطر كان حسابه على كل كلمة من كلماته ، وتعبير من تعبيراته لأن الكاتب الصحفى مرشد ومؤرخ وقيم وناصح ومعلم . وبمقدار هذه الصفات الجليلة يحاسبه الجمهور عليها حسابا كبيراً .

وفى مجلة « الزهور » :

كان حامل القلم كحامل السيف ، فى يمين كليهما سلاح ماض .. وأصبح حامل القلم فى العصر الحديث كالقابض على الصولجان كلاهما نافذ الكلمة مرعى الجانب ولكن ذلك لا يتم للكاتب إلا إذا فهم حقيقة مهمته ، وأدرك شرف مهنته ، فاذا لم يكن كل من هز الحسام بضارب ، فكذلك ليس كل من هز اليراع بكاتب.

« وأبعد حملة الأقلام نفوذا الآن هم الصحفيون بفضل انتشار الصحف واقبال الكبير والصغير عليها . وعليه يجب أن تكون الصحافة — كما قال أحد كبار المفكرين — شجرة الحقيقة يغرد على أفنانها الكتاب الصادقون »

وقال نقولا الثانى قيصر روسيا : « جميل أنت أيها القلم ، ولكنك أقبح من الشيطان فى مملكتى »

وقال نابليون الأول : « انى أوجس خيفة من ثلاث جرائد أكثر مما أوجس من مائة الف مقاتل »

« وقال وليم ستيد : « الكاتب السياسى يرتعد من منظره رئيس مجمع الشياطين »

وحدث أن أرسل دى بلوتيز مكاتب جريدة التيمس اللندنية

فى باريس إلى جريدته بصورة معاهدة مؤتمر برلين قبل أن يوقع عليها مندوبو الدول فلما اجتمعوا فى اليوم الثانى للمؤتمر رفع بسمرك غطاء مائدة الاجتماع ، فسئل عن ذلك ، فأجاب : لأتحقق ما إذا كان دى بلوتير مختبئاً تحت الغطاء ليستطلع أسرارنا »

قال (شاتهام) من أقطاب السياسيين الانجليز المعروفين فى تاريخ انجلترا تمام المعرفة :

« الصحافة الحرة قلب الأمة الخافق ، ولقد دافع المفكرون فى مختلف العصور التاريخية عن حرية الصحافة ، (فلسقراط) و (ديموستين) و (أوريبيدس) وغيرهم كلمات مأثورة خالدة على الزمان فى هذا الشأن . وقال شاعر الانجليز العظيم (ملتون) :

« اعطونى حرية المعرفة وحرية القول وحرية المناقشة التى يرضى عنها ضميرى قبل أن تعطونى أى نوع من الحريات الأخرى »

ولما مضى الناقدون فى الصحف الانجليزية يندون بسياسة الحكومة بين عامى ١٨١٩ و ١٩٣٢ ، عدت أن هذا النقد طعن وقذف ضدها يقصد به إثارة الفتنة ، وعلى ذلك فيجب أن يكافح ويجب أن يمنع بسرعة ، ويجب أن تخمد ناره على الفور بمنتهى التعسف والقسوة .

وصرحت الحكومة البريطانية يومئذ بلسان الشخص

الذى تمركزت فى شخصيته الهيئة الحاكمة حينذاك (المستر بارون وود) أنها لا تتردد لحظة فى استعمال السياط وسائر وسائل التعذيب التى عرفتها القرون الوسطى والعصور المظلمة لمن يرفع عقيرته فى وجه الحكومة أو يجرؤ على أن يناصبها العداء أو يكشر لها عن ناب البغضاء .

وقد أذاع ذلك الرجل الذى كانت تهب من أردانه فى ذلك الحين ريح السلطة والامارة وتلوح عليه مخايل الاستبداد والجور منشوراً أو انذاراً رسميا جاء فى بعض فقراته ما يلى :

« يقولون إن لهم الحق فى مناقشة بعض موادتشريعنا واعتقد أنا أن ذلك ضرب من الحرية يجتاز دائرة المعقول ! . . . أيكون سيداً غطريفاً ذلك الذى يقف حجر عثرة فى طريق البرلمان فيعوقه عن السير بالبلاد إلى قمة العظمة العالية ! . . . لا . . . لا . . . فنحن لا نوافق مطلقا على نشر آراء تثير الرجل ضد الحكومة التى تدبر مرافق بلاده والتى يعيش آمنا مطمئناً تحت ظل نفوذها وسلطانها . نحن لا نوافق مطلقاً على ذلك لأن عملا كهذا من شأنه أن يثير الفتنة فى أرجاء البلاد . وما من شك فى أن الثورات عمل شائن وغير مسموح به لكائن من كان . ومتى سمحت حكومة من الحكومات بنشر ما يثير الفتن بين أرجائها فى أى عصر من عصور التاريخ ؟ ! »

ويذكر تاريخ الأمة الانجليزية ضمن مايذكر فى صحائفه العديدة (سجل كوبيت) الشهير تلك الصحيفة التاريخية التى كانت أجرأ لسان من ألسنة الثورة التى قامت حينذاك بين العقل البشرى وبين خانقيه من طائفة الطغاة المستبدين ! ويذكر ذلك التاريخ الحافل بالعظات أن صحفاً أخرى عاشت حياة غريبة منذ ميلادها إلى أن استل العسف بقسوة من جثمانها خيط الحياة.

ومن تلك الصحف التى كانت قصة منشئها وحياتها وموتها درامة عجيبة مدهشة ومأساة مروعة « القزم الأسود » التى أنشأها فى قلب العاصمة البريطانية « توماس جوناتان دولر » أحد عمال « وركشير » فكانت قذى فى أعين رجال السياسة، وشجى فى حلوقهم . ولقد قفز ذلك العامل الساذج إلى محل « كوبيت » ليتولى قيادة الرأى العام وليقف موقف مدرب الجنود فى طليعة الراديكاليين المتطرفين فى السياسة من أهل بلاده . ومن هنا نستطيع أن نتبين أن العاطفة الوطنية تتأجج على السواء فى قلوب المتقلبين بين جدران مكاتبهم ، ورجال الشارع الصاخبين فى حاناتهم وملاهيهم ، كما فى قلوب الأغنياء فى قصورهم العالية ؛ والفقراء فى أكواخهم الحقيرة !

وكانت صحيفة « القزم الأسود » تقذف الرعب والخوف فى قلوب الرجال أصحاب المناصب الخطيرة وتثير حولهم عاصفة من

الضحك والاستهزاء اذ نجحت نجاحا كبيراً فى الاستيلاء على مشاعر العمال وكسب ثقتهم ، فكانوا يجتمعون فى الأركان السحيقة والزوايا المظلمه لينصتوا إلى واحد منهم يتولى تلاوتها عليهم ويشرح لهم ما التبس عليهم فهمه من عباراتها الغامضة الصارمة . وفى الجهات الشمالية التى تكثر فيها المناجم كان كل عامل من عمال مناجم الفحم يخبىء واحدة منها بين طيات قبعته .

ولما نالت صحيفة « القزم الأسود » ذلك الحظ من النجاح نهضت إلى جانبها أقزام أخرى ذات ألوان أخرى لتعبر عن نفس الشعور الذى تعبر عنه صحيفة « القزم الأسود » . فكانت صحيفة « القزم الأصفر » تجذب من يعضدونها بالآراء الحصيفة وبالتحرير الكاتبين الشهيرين « وليم هارليث » و « لى هنت » ، وقد حملت حملات شعواء فى سبيل حرية الصحافة وحرية الكتابة والنشر . وظهرت أيضاً صحيفه « القزم الأبيض » بيد أنها لم تعش طويلا ، بل كانت ضعيفة لم تستطع البقاء أمام بطش الاستبداد فى ذلك العهد .

وهكذا غمرت البلاد البريطانية بفيضان عظيم من تلك الصحف التقريعية التى كان هدفها الأوحد تحرير الفكر الإنسانى تحريراً مقيداً بالقانون الطبعى الذى قصد اليه « جان جاك روسو » ، والقانون الدستورى لانجلترا . وقد ظهرت تلك الصحف فى « لندن » وفى غير

« لندن » من سائر مدن بريطانيا . ويذكر التاريخ من بين تلك الصحف صحيفة « المفزع » تلك الصحيفة التي جعلت شعارها صورة رمزية تمثل وحشاً خرافياً هائلا ! وكذلك صحيفة « بني برليتيشان » التي جعلت شعارها العبارة التالية :

« والدعوة إلى نظام الحكم الجمهوري » ، « حرية الفكر » و « البساطة » . وصحف « مسجل الشعب » ، و « قلنسوة الحرية » و « القبعة البيضاء » كانت أيضاً نشرات ثورية تقصد كلها الى تسويغ الإنسان لأن يستمرىء حلاوة الحرية التي هتف بالدعوى إلى استنشاق أريجها « روسو » العظيم .

على أن العظيم ذا الشخصية البارزة الذي كان من أشهر العاملين على اشعال نيران تلك الحرب الشعواء الضروس التي ثارت بين العقل وبين الاعتداء على الحرية كان « كربيت » ثم جاء بعده الكاتب المتمرد الثائر « ريتشارد كارليل » — ذلك الكاتب الذي جرع كأس الألم الممض حتى الثمالة حيث زج به في ظلمات السجون وتعذب طويلا في سبيل حرية الصحافة . ولا يعرف تاريخ القرن التاسع عشر الأوروبي رجلا رزح حينا ليس بالقصير تحت عبء الالام المبرحة مثل « ريتشارد كارليل » الذي كان في صدر حياته عاملا ساذجاً يكدح طيلة ساعات يومه في عمله الجثماني

حتى إذا ماجن الليل وأرخى سجوفه السوداء على السكون أوى الى كوخه الحقير كالحيوان الدنىء!..

ولكن مقالات «القزم الأسود» كانت جرساً قوى الرنين أيقظ النائم السابح فى بحار الأحلام فنهض نهضة جبارة عنيفةهائلة وأصبح من أكبر دعاة الثورة الفكرية، ومن ثم انخرط فى صفوف المجاهدين فى سبيل الحرية.

ولقد ذاقت زوجته وأخته مرارة السجن معه. وفى أخريات أيامه أنشأ متجراً صغيراً أسماه «معبدالتعقل والصواب!»، أو معبد «حرية الفكر» فى شارع الصحافة الذى كانت فيه تلك الآثار الأدبية الخالدة. وفى ذلك المعبدالمقدس جعل «كارليل» يبيع نشراته ورسائله، وكذلك رسائل ومؤلفات الكاتب الانجليزى الكبير «توماس بين» صاحب (عصر الادراك والتعقل) و(تعالوا نحتكم الى المنطق) وغير ذلك من المؤلفات النارية الحامية.

وقد هاجمت اللصوص فى ذياك العصر «معبد الحرية»، فأنشأ «ريتشارد كارليل» معبداً آخر يحمل اسم «اللصوص الشرعيين» بالقرب من شارع «فليت» أو شارع الأسطول فى لندن وعمد ذلك الرجل الى حيلة طريفة يهرب بها من وجه رجال البوليس الذين كانوا جادين فى أثره، ذلك أنه وضع على باب محله ستاراً بلون

الحائط وعليه أسماء جميع المطبوعات فأذا ما أراد شخص شراء شيء أشار بعصاه على اسم الكتاب أو النشرة أو الصحيفة التي يريد، ثم رمى بثمنها من كوة صغيرة فلا يلبث أن يرى ما يريد أمامه في حركة منظمة كحركة الساعة !.

و ما من شك في أن ذلك الرجل يعده تاريخ انجلترا بطلا عظيما من الأبطال الذين جاهدوا طويلا في سبيل حرية الصحافه وفك قيود العقل الإنساني من سلاسل التقاليد البالية .

هذا وقد ظل المستر ويكهام ستيد يعمل في الصحافة زهاء الخمسين عاما، وتعلم الاختزال وأتقنه، وتعلم كيف يلج المجتمعات، ويحضر المحاضرات في همة مستمرة ولكنه مع ذلك لم يلق النجاح المنشود فعمد إلى رجل صحفي قديم من أساطين الصحافة هو المرحوم ى . ت ستد . يستنصحه فأجمل له النصح باختصار فقال :

«كل ما يحضرك في الكتابة فأسرع وأكتبه ، وبعد أن تكتبه تصور أنك ستبعث به تلغرافيا ، وأنت في انجلترا ، إلى أستراليا على نفقتك الخاصة بحسبان أن الكلمة تكلفك شلنا مثلا . . وعلى هذا الأساس استبعد من كتابتك كل مالا يستأهل الشان ، وستجد أنك استبعدت كلاما كثيرا ، وبقي كلام قليل ، هذا الكلام القليل الباقي ابعث به إلى صحيفتك فهو المطلوب !

الصحافة تتزوج من الجمهور

تقول « جين آبوت » فى مقالها الذى نال فى سنة ١٩٤٥ « جائزة أحسن مقال فى تلك السنة » :

إنه لاريب فى أن كل شخص ذكى لبيب سيقر معى بأن لا وجود فى العالم على الاطلاق للحرية الكاملة . فليس فى وسع أحد أن يتصرف على الدوام على هواه ورغبته دون ضابط أو رقيب . والواقع أن حرية فرد ما أو دولة ما إنما تنتهى عند ما تبدأ حقوق فرد آخر أو دولة أخرى . وعلى هذا النحو يدرك كل فرد ذكى أن حرية الصحافة ينبغى بدورها أن تكون نسبية .

الجواب على ذلك السؤال يسير : وهو أن تتوفر الحرية لكل صحيفة بحيث تستطيع أن تنشر كل مايقوى القائمون بالأمر فيها على نشره من الانباء الصادقة ، وأن تضمن فى الوقت نفسه حرية نشر الرأيين المتناقضين المختلفين لأية مسألة من المسائل التى يدور بشأنها الجدل والنقاش ، وأن تتحرر الصحيفة وتقف موقفا نزيهاً مستقيما من أى موضوع يدور حوله الجدل والبحث ، ثم تتخذ لها موقفاً ثابتاً مستقراً منه توضحه فى افتتاحيتها . وحرية الصحافة لا يمكن توفرها إلا بالاعتماد على دعامة واحدة وطيدة هى : الصدق !

وعلى الرغم من أن التوراة قد ذكرت منذ دهور طويلة قبل ظهور الصحافة إلى عالم الوجود العبارة التالية : « اعرف الصدق ، يحررك ويطلقك من أسارك » فان المرء ليتلو فيها توجيهاً صالحاً لرجال الصحافة فى هذه الأيام ..

بيد أن الصحافة ناقصة فى حد ذاتها ، تكمل بالجمهور الذى اتخذها زوجة له ! والحق أن أية صحيفة لا تجد لها جمهوراً يطالعها ويقبل عليها ليست سوى أداة معدومة القوى . وهى بحاجتها إلى القراء ، مسلوبة الأيدى والنفوذ . وإذا نحن سلمنا بهذه الحقيقة وجعلناها نصب أعيننا ، استطعنا القول بأن القراء عامل مؤثر فعال فى حياة الصحف ووجودها . والحق أن ما يقررونه حاسم وقاطع فيما يتعلق بحياة الصحف على اختلافها فهم باقبالهم على جريدة ما ، وإهمالهم شأن أخرى ، إنما يقررون بطريقة قاطعة أى الجريدتين قد كتب لها النجاح وأيهما الفشل . ومع ذلك فلا نزال نصدم بكثير من الناس الذين يدعون أنهم يعيشون بمنأى عن الصحافة ، وهم ، لو عقلوا ، لأدركوا أنهم بقولهم هذا إنما يحكمون على أنفسهم بالموت والفناء ، وهم بعملهم هذا يتخلون عن مسئوليتهم فى صيانة حرية الصحافة ، وهى المسئولية التى تقتضيهم النظر فى علاقتهم بالصحافة نظرة مباشرة ، ومحاولة جعل الدور الذى يضطلعون به فى حياة

الصحافة دوراً إيجابيا فعالا .

وعلى الرغم من أن حرية الصحافة تتناول التحرر من قيود مختلفة يفرضها القانون ، وقيود تفرضها الظروف الاقتصادية وظروف المهنة ، فان الحرية الأساسية التى ينبغى أن تكون مكفولة موفورة فى هذا الصدد هى حرية القارىء ، وإذا اتفق أن كانت الصحيفة حرة فى حين أن قراءها غير أحرار ، تمثلت الصحيفة من عبودية قرائها عقبة كأداء تعوق سيرها وتعترض رسالتها من اول الأمر . وقد يكون نقيض هذه الحقيقة صحيحا ومفيدا فان الصحافة التى تؤذيها القيود وتعرقل حركاتها اللوائح والقوانين ربما استطاعت صنع بعض الخير لو أن قراءها كانوا أحراراً قادرين على استنباط ما بين السطور ، وإدراك ما حذفه الرقيب ، وفهم ما يرمى اليه المحرر اللبق من عبارات كبحت اللوائح من جماحها ، وخففت من حرارتها وقللت من جلائها ووضوحها .

أما حرية القارىء فتتفرع إلى حريتين اثنتين : أولاهما التحرر من الجهل والثانية التحرر من التعصب المقيت ، ذلك أن الجهل والتعصب ، كلاهما لا يستطيع الاهتداء إلى الحق والصدق مهما كان واضحا جليا أمامهما .

ينبغى أن يعرف القراء كيف تعمل الصحف !!

وثمة مسئولية ثالثة تتصل بمسئولية التحرر من الجهل ، ينبغى ذكرها ونحن بصدد الحديث عن مسئولية القراء. تلك هى مسئولية كل فرد فى أن يعرف شيئا عن طبيعة عمال الصحيفة . ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن الفيلسوف اليونانى ابيكتيتوس كان قد كتب يقول :

تنص قوانين الدولة على وجوب تعليم أحرار الناس فقط ، بيد أن الله يقول : « إن الرجال المتعلمين هم وحدهم الذين يصبحون أحراراً . . » ويكاد يكون من المستحيل على الجمهور أن يصون حرية شىء ما لم يتلق أى علم بشأنه ، ولا يعرف عنه سوى القليل التافه والجمهور فى حاجة إلى أن يعرف الوسائل الخاصة بالحصول على الأنباء ، وأن يقف على الظروف التى دونت فيها وسجلت ، كذلك ينبغى للجمهور أن يدرك كيف أن كثيرا من هذا العمل الحيوى إنما يتم تحت عبء الضغط الباهظ المرهق ، وأن الكثير من القرارات الصحفية الهامة ، يتحقق فى ثوان معدودات .

ولكن قد يتساءل المرء ، وكيف يتسنى للجمهور العلم بهذه المشاكل ؟ والواقع أن بعض الناس قد يعرفون ذلك بالمطالعة ، فى حين قد يقف عليه آخرون من أصدقائهم الصحفيين . غير أن الوسيلة الوحيدة التى تكفل للجميع معرفة صادقة كاملة بشئون الصحف وأعمالها ، هى الالتحاق باحدى مدارس الصحافة العامة التحاقا عمليا

مدة كافية من الزمن . وينبغى فى هذا المجال أن يتعلم الطلبة الصحفيون كيف يطالعون الصحف ، وكيف يستطيعون تفسير ما يقرأون فيها ، وكيف تتعاظم حساسيتهم وتتسع مداركهم فيلاحظون ما لا يتلونه مدونا مكتوبا ، كأن يستطيعوا تحليل الحقائق التى لم يتسع المجال لنشرها ، ومقارنة التفاصيل والروايات والحوادث بعضها ببعض .

ولقد كان من المألوف أن تكون الأنباء التى تسردها الصحف سهلة يسيرة الفهم ، ولكن هذا النهج ليس دائما اذا شاء القراء أن يجنبوا أنفسهم الغموض والاضطراب ؛ وإذا رغبوا فى ان ينأوا بجانبهم عن الافتراضات الكاذبة والظنون والأوهام والنتائج الخاطئة ، وجب عليهم أن يروضوا أنفسهم على مواجهة مثل تلك المعلومات والأنباء المتناقضة المعقدة .

غير أن الصحافة لا تستطيع أن تعرض الصدق الكامل على جمهورها مادامت لا تستطيع الظفر بالحقيقة الكاملة من مصادرها الخاصة ؛ وهنا أيضا تقع على الجمهور المسئولية فى الاهتداء إلى الحقيقة الكاملة ؛ ذلك أن المصادر التى تعتمد عليها الصحافة فى الحصول على حاجتها من الأنباء تختار بالضرورة من بين مصادر الجمهور نفسه إذ أنه من المستحيل على كل صحيفة أن تجعل لها ممثلا

أو مندوبا يوافيها بأنباء كل حادث ذى شأن وأهمية وعلى ذلك فكل فرد مسئول — متى استدعى للادلاء بنبأ للصحافة — عن إعطاء كافة المعلومات الكاملة الصحيحة غير المتحيزة ، والجمهور مسئول كذلك عن وجوب اعلان مصادر الأنباء والجهات التى استقيت منها المعلومات حتى يمكن التحقق من صدق تلك الأنباء والاعتماد عليها فى كافة الأحوال ؛ ومن واجب الجمهور أن يقدم المصلحة العامة على كل اعتبار شخصى آخر فى حالة التصريح بأية معلومات أو أنباء لرجال الصحافة . ولا شبهة فى أن نجوم المجتمع الراقى وكبار الموظفين الذين يحاولون الاشتهار بأى سبيل ، ورجال الدعاية المحترفين ، كل أولئك يفسدون مهمة الصحافة فى ترويج الصدق والحق ، ومن ثم يقضون على حريتها الحقيقية .

كذلك من واجب الجمهور أن يكون على الدوام يقظا لما يجرى من أمور ، ومتشوقا لأن يرى أن القوانين اللازمة لازالة مثل تلك القيود موجودة فى كتب هذه البلاد القانونية ، ولكى تكون الصحافة حرة ، وجب ألا تقف فى سبيلها عوائق وعراقيل مثل الضرائب الباهظة وصعوبة استصدار الرخص ، أو تعاظم ضغط الاعلانات وطغيانها على أنهر الصحيفة ، والحق أن الرقابة العسكرية الاختيارية التى التزمتها الصحف الأمريكية من تلقاء نفسها إبان

الحرب الأخيرة جديرة بألا تدع فى ذهن أحد من الناس شبهة من الشك فى أن صحفنا ، الأمريكية ، لاتحتاج إلى هيئة من الرقباء يمرون بأقلامهم الزرقاء على تقاريرها وأنبائها الأمر الذى سيجعل من جمهور القراء الرقيب اليقظ العادل على ماتنشره الصحف . ولقد أظهرت هذه التجربة الموفقة أن أفضل الحلول للمشاكل المتصلة بالصحافة ليس فى تطبيق القوانين واللوائح وإنما فى مناشدة الصحفيين التثبت بمبادئهم والاحتفاظ بكرامة مهنتهم

وهنالك حرية أخرى لابد من توفرها لكى تحقق للصحافة حريتها الكاملة ، تلك هى حرية المواصلات ولقد كانت الحرب العالمية الأولى أول فرصة سنحت لتحويل أنظار الناس بعض الشىء عن الأنباء والحوادث المحلية ، وصرف معظم انتباههم واهتمامهم إلى الحوادث الدولية ، وازدادت هذه الحالة توكيداً ورسوخاً بتقدم المواصلات العالمية ،ولقد كانت تسهيلات المواصلات على الدوام عاملا رئيسيا فى تقدم الإدارة الصحفية ، بيد أنها أصبحت اليوم عامل حياة أو موت إذ لا تستطيع الصحف بدونها أن تنشر الحقائق ؛ وبذلك تكون مسلوبة الحرية ، فالصحفى المقيم فى الصين ؛ الذى يعرف الحق ولكنه لايستطيع إرسال أنبائه ورسائله إلى أمريكا لايستطيع بحال من الأحوال أن يتقدم بيد محسنة خيرة إلى الشعب

الأمريكى ، فعلى الجمهور إذن متى رغب حقا فى الاحتفاظ بحرية الصحافه — أن يلح فى سبيل اتخاذ تدابير خاصة بعد الحرب — تسمح بتدفق الأنباء والمعلومات من أمة إلى أخرى دون عائق من الحدود أو التخوم الوطنية .

وبعد فهل يمكن أن تظل الصحافة بدون قيود ؟

هل ينبغى لها أن تظل دون ما « صمام أمن يكبح جماحها »

كلا ! ليس هذا بالحل الصواب ، فليس المقصود بحرية الصحافة أن تكون امتيازا يمنح للناشرين يستخدمونه أداة لمصالحهم ، وإنما المقصود أنها أمانة نيطت بذمم الصحفيين وضمائرهم ، ومن واجبهم أن يستخدموها فى الصالح العام ، ولكن لما كانت الصحيفة يديرها أفراد لهم مصالحهم الخاصة ومطامعهم الشخصية ، قابلون لاقتراف الاخطاء والآثام ، وجب أن توجد بعض القيود لكبح جماحها . ولما كان من المرغوب فيه أن تقيم الدولة قيداً ما على الصحافة ، فالجهة الوحيدة التى ينبغى أن تكون « صمام الأمن » فيما يتعلق بالصحافة هى : الجمهور ! لذلك وجب على جمهور القراء أن يكون يقظا حريصا ذكيا حتى يكون له أثره الفعال فى توجيه الصحف وتسديد خطاها للصالح العام !

كذلك ينبغي أن يكون الجمهور يقظا لاتفوته مرامى الدعاية وأهدافها وفى وسع القارىء أن يصبر على الدعاية فى حذر إلى أن يطالع مايقابلها أو يعارضها . وفى مقدوره أن يكشف عن مصدر تلك الدعاية وعن أهمية تفنيدها وتبديدها)

صاحب الجلالة أو السلطة الرابعة

يقول الأستاذ أميل زيدان بك فى مجلة (الهلال)

لكى نعرف قيمة شىء من الأشياء يحسن بنا أن نعمد إلى طريقة سهلة ، وهى أن نفرض أن هذا الشىء قد زال من الوجود : فافرضوا أن دكتاتورا جبارا ، بجرة قلم واحدة ، ألغى الصحافة على بكرة أبيها . فلا جرائد فى الصباح ولا جرائد فى المساء ولا مجلات مصورة أو غير مصورة !.

فماذا يكون أثر ذلك فى حياتنا ؟

لا شك أنها تفقد كثيرا من بهجتها ، ولا شك أننا نصبح فجأة كمن خيم عليهم ظلام حالك ، إذ نفقد الجانب الأكبر من المعلومات التى نعتمد عليها فى حياتنا ! فالجرائد فى عصرنا هى الصلة بين الفرد والعالم الخارجى . ولولاها لعاش فى عزلة عما يجرى حوله . . . ولو صح فرضنا — لا سمح الله — لأصاب المجتمع شلل يتناول أعضاءه جميعا إذ لا توجد دائرة من دوائر حياتنا الاجتماعية لا تغذيها الصحافة أو تمسها من قريب أو بعيد .

ومع ذلك فالصحف هى أرخص شىء فى العالم . ليعمل كل منكم

قائمة بالأصناف التي يمكن أن يشتريها بنصف قرش أو بقرش — وهي ليست كثيرة في هذا الزمن — وليقابلها بالجريدة أو المجلة التي يحصل عليها بهذه القيمة الزهيدة : ان الفرق كبير جدا بين ما يجنيه من فائدة أو لذة في الحالتين .

وقد يعترض عليّ أحدكم فيقول : كثيرا ما يحدث أن يمضي يوم أو أيام دون أن أطالع جريدة أو مجلة ولا أشعر مع ذلك بأنه فاتني شيء كثير .

وهذا ردي عليه : أجل ، قد لا تطالع الجرائد والمجلات أياما بل أسابيع ، ولكنك على الرغم منك تتأثر بها في كل ساعة ، فان من حولك يطالعونها وينقلون اليك ما فيها من فوائد ومعارف . ولو امتنع الجميع عن المطالعة لعلمت حينئذ ما تفقد من جراء ذلك .

وقد أعجبني تحديد أحدهم للصحافة بقوله : انها عقرب الثواني على ساعة التاريخ فكما أن عقرب الثواني يجزيء مجرى الزمن ويقسمه أقساما صغيرة ، كذلك الصحافة تتناول مجرى الحوادث التي يتألف منها التاريخ فتحللها وتشرحها وتدونها واحدة واحدة .

ولا أخالني في حاجة الى الافاضة في بيان شأن الصحافة في هذا العصر . . سيقول بعضكم : « كل فتاة بأبيها معجبة » أجل . إني ممن يتعشقون هذه المهنة وممن يفتخرون بانتمائهم الى « صاحبة الجلالة »

كما سماها البعض ، أو « السلطة الرابعة » كما سماها آخرون . ولكنى فى ذلك أصغى لوحى العقل بقدر ما أصغى لوحى القلب .

إن الألمان ينسبون الجانب الأكبر من انكسارهم فى الحرب العظمى الى فعل الصحافة والبروباجندة . فقد قال أحدهم ان القذائف الورقية كانت أفتك فى صفوفهم من القذائف المعدنية .

وقد روى لى أحد شيوخ الصحافة فى مصر أن وجيها من وجهاء العصر الماضى غضب على ابنه غضبا شديدا بل قاطعه مقاطعة حين علم أنه يريد الكتابة فى الصحف . أى يريد أن يكون « جورناجيا » ذلك لأن الصحافة كانت فى نظر بعض الناس غير محترمة و كانت كلمة « جورنالجى » تشف عن شىء من الزراية والاحتقار . . ولكننا نحمد الله على أننا عشنا حتى رأينا أمراء البيت المالك لا يستنكفون من الكتابة فى الصحف ، ولا يرون غضاضة فى أن تذيل المقالات السياسية والاجتماعية بامضاءاتهم الى جانب امضاءات الصحفيين العاديين .

قال لوردملنر : « ان الصحافة أجل حرفة فى العالم وربما استثنيت من ذلك منصب الوزارة » .

ان الصحافة ، ولا ريب ، من أكثر الأعمال جاذبية . ففى كل يوم يفد على مديرى الصحف والمجلات شبان يبغون الانخراط فى

سلكها . ولعل بينكم غير واحد ممن فكروا فى دخول هذا الميدان فالى هؤلاء أقول : ان باب الصحافة مفتوح على مصراعيه لكل راغب . ولكن إذا كان المدعوون كثيرين فان المختارين قليلون .

ولنتبسط الآن قليلا فى هذا الموضوع وننظر اليه من نواحيه المختلفة :

هل يخلق الانسان صحفيا — كما يخلق موسيقيا — أم يمكنه اكتساب المؤهلات اللازمة للعمل الصحفى ؟

كان يجيب عن هذا السؤال بقولى : إن الصحفى يولد وقد طبع بطابع خاص ، ولكنى أعود فأقول : إن التثقيف والمران كفيلان بتكييف الصحفى إلى حد بعيد .

وليس من اليسير أن نحدد الصفات التى ينبغى أن تتوافر فى الصحفى . فبينما نجد لمعظم المهن — كالطب والمحاماة وغيرهما — شروطا يجب على من يريد الالتحاق بها أن يستوفيها ، فاننا نجد شيئا من ذلك فيما يتعلق بالصحافة . فلا موضوعات معينة ولا امتحانات ولا شهادات تخول صاحبها حق ممارستها على الرغم من كثرة المعاهد .

ومع ذلك فانه يطلب من الصحفى — وخاصة فى هذا العصر —

أن يكون واسع الثقافة . فان قراء اليوم ليسوا قراء الأمس . ومن لم يتخذ للصحافة عدتها فقد قضى على نفسه بالفشل والخذلان .

ولقد انقضى زمن كان الشاب فيه إذا سدت فى وجهه أبواب العمل المختلفة لجأ إلى الصحافة واتخذها مرتزقا . وإنى أقول فى غير تردد انه لا توجد اليوم مهنة تتطلب من صاحبها ما تتطلبه الصحافة من تفكير ومهارة ويقظة واجتهاد .

ومن الأوهام التى كانت شائعة إلى عهد قريب أن كل من أجاد الكتابة صلح لأن يكون صحفيا ، والواقع على نقيض ذلك فقد يكون الانسان من أبرع الكتاب ولا يفلح فى ميدان العمل الصحفى . فالصحافة تستلزم أمورا أخرى جليلة الشأن لا يجوز اغفالها .

من هو الصحفى ؟

١ — وفى مقدمة ما يطلب من الصحفى أن يعرف نفسية الجمهور ، وليس هذا بالأمر الهين ، فالسؤال الذى يجب أن يتساءله المحرر كل صباح وكل مساء هو هذا : ما الذى يستحسنه الجمهور ؟ وما السبيل إلى اجتذابه واستمالته ؟

ولقد حدث لى غير مرة — كما حدث ولا بد لكثيرين من زملائى — أن أعجبت بمقال . . . حتى إذا ما نشر وجدت أنه لم يحز رضى القراء .

ويحدث أحيانا بعد صدور العدد من الجريدة أو المجلة أن يجيئك أحد القراء فيقول لك : ان المقال الفلانى جميل وهو أحسن ما فى هذا العدد . ثم لا تلبث أن يفاجئك آخر يقوله : حبذا لو لم ينشر هذا المقال — المقال عينه — فانه لا يستحق المطالعة .

ان نابغة الصحافة هو ذلك الذى يستطيع أن يجس نبض القراء ويتلمس ميولهم ويتتبع تقلبات تلك الميول وتلوناتها .

٢ — على الصحفى بعد أن يدرس نفسية قرائه — أن يحصل على المادة التى يود نشرها . وهى على أنواع ، باختلاف أنواع المحررين .

ولكن هناك عاملا يجب ألا يبرح عن ذهن الصحفى على الاطلاق وهو السرعة . فنحن فى عصر كل شىء يتم فيه بسرعة . لذا أصبح للسبق أعظم الشأن فى العمل الصحفى .

ويحتاج المحرر فى كثير من الأحيان إلى سعة الحيلة للوصول إلى غايته . ومن أبرع الحيل التى استخدمها الصحفيون أن أحدهم فى أثناء حرب الترنسفال كان يرقب نتيجة معركة خطيرة ، ولم يكن

فى تلك الجهة إلا مكتب تلغراف واحد ، وكان الى جانبه زملاء آخرون يرقبون تلك النتيجه أيضا . فلكى يسبق سواه طلب إلى موظف التلغراف أن يرسل صفحات من الكتاب المقدس بالتلغراف إلى جريدته حتى يحول دون استعمال زملائه له ولما عرفت نتيجة المعركة تمكن من ارسالها قبل سواه ، وأتبعها أيضا بقدر كاف من صفحات الكتاب المقدس ليضمن لجريدته الوقت اللازم لإذاعة الخبر على القراء .

ووفق صحفى آخر إلى عمل باهر ذهل له رجال السياسة على أثر الحرب العظمى وكان له دوى فى العالم كله فقد وسع هذا الصحفى الحصول على معاهدة الصلح ونشرها فى جريدته وهى — الشيكاغو تريبون — قبل أن تخرج من أيدى مصنفيها وفى حين كان مجلس الشيوخ الأمريكى يلح على الرئيس ولسون فى نشرها وهو يمتنع ويعتذر . وقد تم له ذلك بالتواطؤ مع مندوب احدى الأمم الصغيرة التى كانت تشكو من فداحة شروط الصلح . فقد استطاع الصحفى من اقناعه بأن نشر المعاهدة من شأنه أن يسترعى النظر إلى أمته المظلومة ويساعد على الدفاع عن مصالحها .

وقد يحتاج الصحفى ، بجانب المهارة وسعة الحيلة إلى الجرأة والشجاعة ، فان الصحفيين البلجيكيين أصدروا أثناء احتلال الألمان

لبلادهم جرائد كان محرروها ينشرونها ويوزعونها على الجمهور خلسة ولعل أهمها جريدة « بلجيكا الحرة » التي حيرت الألمان أيما حيرة فقد بثوا عيونهم للاهتداء إليها ، وجعلوا مكافآت كبيرة لمن يساعدهم على القبض على محرريها وطابعيها ، ولكن بلا جدوى . وما ذلك إلا لأن مطبعتها كانت تنتقل دواما على سيارة فاذا طبع العدد وزعت النسخ على بعض الأنصار وهؤلاء يوزعونها على أفراد الشعب .

٣ — وإذا حصل الصحفى على المادة التى يبغى نشرها وجب عليه أن يصوغها فى قالب انشائى مقبول . والانشاء الصحفى يكاد يختلف عن الانشاء الأدبى ، ولابد للمحرر من مراعاة اعتبارات جمة قد لا يحفل بها الأديب الفنان .

وسأسرد الآن نصائح خمسا أعتقد أنها أركان الاجادة فى التحرير الصحفى المصرى .

أولا — انظر هل موضوع المقال ملائم للجريدة أو المجلة التى تود نشره فيها وهل هو موافق لأغراضها . ثم انظر هل حجمه متناسب مع أهميته من جهة ومع حجم المقالات التى تنشرها تلك الجريدة أو المجلة من جهة أخرى .

ثانياً — تأكد من صحة المعلومات التى ذكرتها : حقق أسماء الأماكن ، وأسماء الأشخاص والأرقام والاقتباسات ولا تتردد

فى الرجوع إلى المصادر الموثوق بها .

ثالثاً — توخ الوضوح التام بحيث يفهمك القارىء العادى بدون اجهاد . فانك إذا ارهقته فى فهم ما تكتب أعرض عنك وعن الجريدة أو المجلة التى تكتب فيها . واستعمل أسهل الكلمات وأقربها إلى ذهن الجمهور .

رابعا — توخ دائما الايجاز والاختصار واحذف كل كلمة يمكن حذفها ، وكل عبارة يمكن الاستغناء عنها . . وابدأ مقالك فى الموضوع ذاته : لا تطل المقدمات والتمهيدات بل ادخل توا فى الصميم .

خامسا — ابحث دائما عما يشوق القارىء ويقتنص انتباهه . ليكن مقالك متشبعاً بالحياة . توخ الجديد والمبتكر وكل ما يثير التعجب ويستفز العاطفة . ومع ذلك اياك أن تصدم الذوق السليم أو أن تنزل عن المستوى الأدبى الواجب الاحترام . أو أن تأتى أمرا من شأنه أن يزعزع ثقة القارىء فيما يقرأ .

٤ — ولنفرض الآن أن المقالة قد كتبت فيجب أن تعد للطبع ولكن قبل اعدادها ينبغى أن تعمل لها عملية التنسيق والتجميل المناسبة لكى تسترعى نظر القارىء حالما يتناول الجريدة أو

المجلة . فان منظر المقالة يترك فى نفسه الأثر الأول قبل أن يتأثر من فحواها .

* * *

وإذا كانت واجبات الصحفى دقيقة بوجه عام ، فان واجبات الصحفى فى مصر أدق ، لأننا لا نزال حديثى عهد بالصحافة ، ولأن نسبة المتعلمين فيها أقل منها فى سوانا من الأمم ، ولأن للكلمة المطبوعة بيننا سحراً يستولى على العقول وأثراً ينطبع فى النفوس .

فعلى الصحفى فى مصر أن يحفل باخلاقنا الشرقية ، وألا يذهب فى المناقشة إلى مثل التهور الذى يذهب إليه بعض كتاب الجرائد الغربية . فلكل أمة أخلاقها وتقاليدها ، ونحن فى أخلاقنا وتقاليدنا أقرب إلى الحشمة والتأدب .

نزوة صحفى

كان «جيمز جوردن بنيت» صاحب جريدة «نيويورك تريبيون» صحفياً عظيماً، وكان لصحيفته مراسل فى لندن غير حائز لرضاه، فتلقى المراسل ذات يوم برقية تأمره بالسفر إلى باريس لمقابلة بنيت فيها - فداخله الشؤم مما أمر به.

وكان المراسل يعرف أن بنيت يحب الكلاب ويرى مع من يرون أن الرجل الذى تحبه الكلاب وتأنس إليه، لايمكن أن يكون رجلا لاخير فيه، فعمد قبل سفره إلى شرائح من الكبد ودسها فى جيوب ذيل السترة الرسمية الطويلة التى كان يرتديها.

فلما وصل إلى دار بنيت فى باريس، ظل ينتظر ساعة كاملة. ثم فتح الباب، ودخل الصحفى العظيم ووراءه طائفة من الكلاب تبصبص بذيولها وتتشمم، فلم تكد ترى المراسل حتى وثبت إليه وجعلت تلحس وجهه ويديه.

وإذا بوجه بنيت المتجهم قد انفرجت أساريره وشاع فيه الابتسام، وبدلا من أن يهوى على المراسل بالتعنيف والطرد، منحه أجازة أسبوع يقضيها فى باريس على حساب الصحيفة، وأعاده إلى لندن بعد أن زاد مرتبه زيادة كبيرة.

الأمم فى نظر الصحف

استعرضت إحدى كبريات الصحف الصينية الدول الخمس الكبرى ولخصت رأيها قائلة :

الفرنسى يتكلم ، ثم يعمل على الفور .

والانجليزى يتكلم ، ويعمل فى آن معا .

والأمريكى يعمل ، ثم يتكلم بعد العمل .

والروسى لايتكلم أبدا ، ويعمل فقط .

والصينى لايفتأ يتكلم ، ولا يعمل أبداً .

الخيال الصحفى

اشتهرت إحدى الصحف الأمريكية باطلاق العنان للخيال فى شتى الشؤون العالمية ، وفى خلال الحرب الماضية ، نشرت الجريدة عدة مقالات تتضمن تفاصيل دقيقة لمراسلها ، فى ميدان القتال ، وحدث أن تعرضت الجريدة لمعركة خاصة جاء وصفها لها غير مطابق للمعلومات التى لدى وزارة الحربية الأمريكية ، فأرسلت الوزارة أحد كبار موظفيها للاستفسار عن بعض النقط . وقابل الموظف رئيس التحرير وسأله عما نشر فى إحدى المقالات ، فقال رئيس التحرير :

تفضل بتوجيه أسئلتك إلى مراسلنا فى ميدان القتال . .

وسأل الموظف عن عنوان المراسل ، فأجاب :

— فى الغرفة المجاورة لهذه الغرفة ! . .

سحر الكلمة المطبوعة

قال اللورد ساتوود رئيس مؤتمر الاعلان الدولى فى خطاب ألقاه فى اجتماع المؤتمر السنوى الذى عقد فى جلاسجو منذ ٥ سنة :

« يجب أن نضع نصب أعيننا أن أهم شىء فى حياتنا العملية ، الشىء الذى يوفر لنا جميعا السعادة والاطمئنان ، هو ضمان استمرار السلام بين الأمم .

وانه لا يزال فوق مستوى قوانا ادراك سبب استمرار تعثر الانسان فى طريق القدر فى ذلة حقيرة : استمراره على افناء النفس ، واستمراره على الاغتواء بمثل هذه السهولة المروعة فى غابة الحرب العتيقة .

لماذا يستمر ظل الطائرات المدمرة يلوث الأرض الخضراء الزاهية فى كل مكان . ؟

لماذا تستمر هذه الحروب المبيدة على اجتياح جميع آمال البشر ؟

إنى أعتقد أن فى الكلمة المطبوعة ، ما دامت الحقيقة حرة

حرية مطلقة ، قوة أعظم صولة ونفوذاً من المدافع والغازات السامة وأكثر مناعة ، وأقوى حرارة من الصلب .

من الواضح الجلى فى هذا العالم . فى كل مكان من هـــذا العالم الفياض بدلائل تفوق الانسان وسيادته ، فى هذا العالم الذى حولت كل عناصره إلى أغراض مادية ، ان واجب الإنسان أن ينهض إلى ذروة الهبة التى حباه بها الله ، هبة الذكاء العظيمة . فذلك هو أعظم واجباته التى يجب أن يواجهها بشجاعة وعزم .

يجب أن يولد فى كل مكان فهم جديد لاخوتنا المشتركة .

أن الحرب الوحيدة التى يمكن أن تنهى الحرب يجب أن تكون عقيدة يؤمن بها العقل البشرى .

الفصل الثالث

الصحافة والأدب

العلاقة بين الصحافة والأدب موضوع قديم متجدد منذ نشأت الصحافة ، وقد كانت نشأتها كأثر من آثار الأدب ذاته ، إذ كان الصحفيون الأوائل أدباء من كتاب المقالات الأدبية الرائعة ومن ناظمي القلائد الشعرية الغالية .

وبينما كان الأدب تعبيراً بألفاظ جميلة عما يجيش فى النفس ويصوره الخيال ويهتف به القلب ، ونحس به من الآلام والنقد وأسباب الإصلاح ، كانت الصحافة مهنة مهمتها وقف الجمهور على ماجريات الحوادث اليومية أو الأسبوعية ، فتتناول أنباء الأدب ورسالته كما تتناول غيرها من أنباء العلوم والجرائم والمال وبحوثها ومن هنا كانت دائرة الصحافة أعم وأوسع نطاقا من دائرة الأدب ، وكان الأدب جزءا من الصحافة ، جزءاً صغيراً ، وقد يكون تافها ، لأن الصحافة تعنى بما على الهامش وبالسهل الميسر ، إلا إذا تخصصت الصحيفة للأدب دون سواه .

وقد استفتت مجلة الهلال حضرات : المرحوم عبدالقادر حمزة

باشا مؤسس جريدة البلاغ ، والمرحوم انطون الجميل باشا رئيس تحرير جريدة الأهرام ، وخليل مطران بك شاعر العروبة ، وأحمد حافظ عوض بك مؤسس جريدة كوكب الشرق ؛ فكان مما قاله المرحوم عبدالقادر حمزة باشا :

« إن المتعارف عليه هو أن الأدب عنصر من عناصر الصحافة . ولكن الصحافة ليست الأدب . بل هى فن أعم وأوسع ، فالأديب قد يكون كاتباً مبرزاً وبحاثة لايشق له غبار ، ولكن لن يكفيه ذلك لكى يكون صحافيا ، وإنما يكون بان يجمع إلى الأدب علوماً وفنوناً أخرى ثم بأن تكون له خبرة كافية بالناس وبالأشياء وبالحوادث وبأذواق الهيئات المختلفة ثم بان يرزق مع هذا كله الملكة الصحافية التى يستطيع بها أن يلفت نظر الجمهور إلى مايريد أن يبرزه أمامه ، فالأدب على هذا بضاعة من بضاعات عدة لابد للصحافى منها ولا ريب فى أنها بضاعة جميلة ، ولكن إذا اقتصر الصحافى عليها أو إذا هو برز فيها ولم يعط البضاعات الأخرى إلا القليل من عنايته ، لم يكن صحافيا . وبالعكس إذا هو أصاب فى الآداب نصيباً صالحاً من غير أن يصل فيه الى التبريز ثم أصاب مثل هذا النصيب فى البضاعات الأخرى ثم كان مبرزاً فى ملكته الصحافية فهو صحافى » .

• ولكننى أعود بعد ذلك فأسأل : هل الأدب الصحيح يمكن أن يتم للأديب من غير إلمام كاف بكثير من العلوم والفنون العصرية ، ومن غير خبرة كافية بالناس وبالأشياء وبالحوادث وبأذواق البيئات المختلفة ، ثم من غير أن يرزق مع هذا قدرة على أن يلفت نظر الجمهور إلى مايريد أن يبرزه أمامه ؟

• إن كان معنى الأدب أنه التبريز فى اللغة وفى الكتابة وفى معرفة الشعر فهو حينئذ أدب ضار غير منتج . أما إذا كان معنى الأدب أنه التثقيف الكامل علما ولغة وكتابة وخبرة بالناس والأشياء والأذواق ، ثم قدره على الإنتاج ، فهذا هو الأدب الواسع المنتج . وهذا الأدب الواسع يكون الفارق بين الأديب والصحافى . أن الأول يبحث ويكتب غير مقيد بوقت ، أما الثانى فانه يكتب ويخرج فيها كتابه مقيداً بالوقت الذى تظهر فيه صحيفته .

• ولكل إنسان أن يقول حينئذ إن انتاج الأديب أكثر تحقيقاً وأبعد غوراً من انتاج الصحافى . وهذا صحيح ولكن الأديب ينتهى مع ذلك بأن يتخصص فى ناحية معينة يتجه اليها أدبه . لأنه يختار الناحية التى تعجبه من نواحى الأدب فينصرف اليها . أما الصحافى فان عمله الذى لاينقطع يوما ولا ساعه ، والذى يطلب منه أن يكون حاضر البديهة حاضر الجواب على كل مايدعى لأن يكتب

فيه ، وهو فى كل ذلك لا يختار بل الحوادث هى التى تختار له كل يوم ألوانا جديدة وتدعوه لأن يتجه اليها ، هذا الصحافى ينتهى بان يتسع أفق الأدب والعلم والخبرة عنده ، فيكون كأنه الموسوعة بينما يكون الأديب بجانبه كأنه كتاب فى فن معين »

أما المرحوم الأستاذ أنطون باشا الجميل رئيس تحرير «الأهرام» الغراء فكان يرى أن الصحافى بحكم مهنته وعمله ينبغى أن يكون أديباً . ولا عكس . فلقد قال :

« نعم ينبغى أن يكون الصحافى أديباً . ومن حسن المصادفة ان أتلقى هذا السؤال وأنا ارتب بعض أوراق قديمة عثرت بينها على خطبة القيتها منذ بضع سنوات فى حفلة تأبين المرحوم سليم سركيس وقد طلبت إلى يومئذ أسرة الصحافة أن أقول كلمة باسمها فعرضت لهذا الموضوع : الأدب والصحافة . وأشرت إلى تلك العصبة المباركة من أعلام حملة الأقلام فى القطرين الشقيقين كالشدياق والبستانى وسمير ونديم وعبد الكريم سلمان والمويلحى ومحمد عبده وأديب اسحق وتقلا والحداد وعلى يوسف ومصطفى كامل وولى الدين يكن وغيرهم من الذين كانوا فى آن واحد من أعلام الأدب المعدودين وفرسان الصحافة المعلمين . كانوا من مؤسسى الصحافة العربية وكانوا أركان النهضة الأدبية فى النصف الثانى من

القرن الغابر والربيع الأول من القرن الحالى . ومن يكتب تاريخ الصحافة عندنا يكتب تاريخ الأدب فى تلك الحقبة من الزمن » .

« وإذا نظرنا إلى رؤساء الكتاب فى صحفنا اليوم وإلى كبار معاونيهم نجد الصحافى متلبساً بالأديب » .

« نعم ليس كل أديب بصحافى ، ولكن ينبغى أن يكون كل صحافى أديباً ، لأن الصحافة ، قد ارتقت إلى المنزلة التى صارت اليها وأصبحت أشبه شىء بدائرة معارف شاملة عامة ، وبات ارتباط وثيق بينها وبين الأدب » .

« وبعد . إذا رجعنا إلى تحديد الأدب ألا تراه أحوج ما يحتاج اليه الصحافى ؟ » .

« قالوا ان الأدب صناعة تعرف بها أساليب الكلام البليغ فى كل حال من أحواله » .

« وقالوا أيضا إن الأدب علم يتعرف منه التفاهم عما فى الضمائر بأدلة الألفاظ والكتابة ، ومنفعته اظهار مافى نفس الانسان من المقاصد وإيصاله إلى شخص آخر حاضراً كان أو غائبا » .

« وهل مهمة الصحافى غير هذا وهو يحاول إيصال مافى نفسه كل يوم إلى عشرات الألوف من قرائه ؟ . وهل يستطيع ذلك إذا لم يكن عارفا بأساليب الكلام البليغ فى كل حال من الأحوال ؟ »

« فعلا غنى للصحافى عن الصفات اللازمة عادة للأديب ، وهو فوق ذلك فى حاجة ماسة إلى صفات أخرى خاصة بمهنته ، لذلك قلت : ليس كل أديب بصحافى ، ولكن ينبغى للصحافى أن يكون أديبا » .

* * *

وأنت تعرف صلة الأستاذ خليل مطران بك بالصحافة والأدب فقد اشتغل بالصحافة عدة سنوات ، ومارس خبرة واسعة فيها وفى الأدب . ولكنه يرى أن الصحافة شىء والأدب شىء آخر ، على انه يمكن الجمع بينهما : « فهناك صحافى أديب وصحافى ليس بأديب . فالصحافى الأديب هو الذى تعلم تعليما وافياً وتمكن فى لغته وأخذ حظاً من البيان ثم زاول الصحافة وتصرف فى الموضوعات تصرفا لا ينسى الأساس الذى قام عليه علمه وأدبه من اتقان اللغة وحسن الديباجة ومراعاة الأصول . أما الذى تعلم تعليما بسيطا ودخل الصحافة لتلقط الأخبار ، أو أن عنـــده فطنة خاصة لفهم بعض الأمور التى تتعلق بالجماهير ، فهذا لا تستطيع أن تقول إنه أديب . وفى أوروبا يتحتم عادة أن يكون الصحفى أديبا ، لأن هناك وسائل للاعداد فى الصحافة ، وعندهم تنافس شديد يضطر الصحفى أن

يكون متضلعا فى اللغة والأدب ، خبيرا بهما الخـــبرة كلها . ولهذا يكثر عندهم الصحافى الأديب .

أما أحمد حافظ عوض بك فعنده أن الصحافة قسمان : قسم مالى ، وقسم يعتمد على العقيدة والمبدأ ومن هنا كان الصحفيون قسمين : قسم مالى أى تاجر ، وقسم مبدئى أى صاحب رسالة . أما المالى فليس بلازم أن يكون أديبا ، بل يكفى أن يكون على دراية بما حوله من الشئون العامة وإن كان له رأى فى توجيه جريدته مثل اللورد بيفربروك فى انجلترا ، وكوتيه صاحب الفيجارو الذى يملك معامل العطور المشهورة .

أما الصحفى ذو العقيدة ، فيجب أن يكون أديبا مثقفا ، أعنى مثقفاً ثقافة واسعة ، متتبعاً للحركة الفكرية والعلمية والأدبية خبيراً بالشئون العامة . ولذلك أقول إن الأدب لا ينفك عن الصحافة وهو أحد عناصرها وإن الصحفى أديب أو يجب أن يكون أديبا متى كان من القسم الثانى الذى يحمل القلم .

يقول الصحفى البريطانى الكبير « ويكهام استيد » : المعروف أن الجريدة تعتمد على الجمهور وتتوقف عليه ومن ثم يجب أن تخلص له ولمصلحته ، وينبغى لها ألا تنشر ما يلائم ذوق الطبقات المنحطة لكى تزيد من عدد قرائها ، وإن أحسن رد على السؤال سمعته فى

حياتى ، هو أنه يجدر بالجريدة أن تعنى بنشر الأصلح ، بطرق ممتعة جذابة ، تجعل الجمهور يتذوق ما يقرؤه ويستوعبه ، وهنا تأتى أسمى الصفات التى يجب أن يتحلى بها الصحفى . وليست الصحافة النافعة المجدية ، كالسكر الذى يغطى حبة ، ربما لا يستساغ طعمها لو كانت بدونه ، بل إن الصحافة النافعة المجدية ، تشبه أكثر ما تشبه الطعام الذى يعده طاه قدير ، يستطيع أن يتفنن فى المواد التى يستعملها فى إعداد ذلك الطعام ، بطريقة تجعل ما يقدمه منه شهيا ولذيذاً ومغذياً .

هـذا هو الفرق الصحيح بين الصحفى والأديب ، فالأديب يختار مواده ، ثم يعدها كما يعد الطعام بالطريقة التى تلائمه ، وإذا رغب الجمهور عما يقدمه اليه ، ولم يشتر كتبه ، فإن الخسارة تعود عليه (أى على الأديب) وحده ؛ أما الصحفى ، فعليـه أن يستعمل المواد التى ترد على سوق الأخبار يوما بعد يوم ، فاذا أساء استعمالها ، فان جريدته قد تخسر بأن يقل عدد المشتركين فيها ، وتضيق دائرة ذيوعها وانتشارها ؛ وربما يضر غيره أكثر مما يضر نفسه ، ومن ثم ينبغى على الصحفى أن يفكر دائما فى جريدته ، وفى خير الطرق التى تمكنه من خدمتها ، والعمل لصالحها .

وفى كثير من الأحايين ، قدلا يوافق الصحفى على المنهج الذى

تسلكه جريدته أو الخطة التى تتبعها ، فيريد أن يقرر ما إذا كان الأجدر به أن يترك الجريدة ، أم يقبل وجهة نظر رئيس تحريرها أو صاحبها ، باعتبارها أقرب الى الحق من وجهة نظره الخاصة ، وقد تصبح المسألة مسألة ضمير يضطر معها الصحفى أن يختار بين أن يفقد وظيفته ، أو أن يتظاهر بالموافقة على شىء يرى أنه خطأ ، وقد يفضل الصحفى النافع ، أن يفقد وظيفته ، ولكن ينبغى عليه قبل أن يفعل ذلك ، أن يتأكد تماما من أنه ليس مغترا فقط بآرائه ، أو مخطئا فى ظنه أنه أرجح عقلا من جريدته .

الجوائز الأدبية والصحفية

عرفت الجوائز بأنها رمز للجمهور ومكافأة للبطولة وإشادة بالنبوغ، وتشجيع للطلاب على المزيد والاقتداء. وقد عرفت مصر هذه الجوائز على صورة غير نظامية. فقد توضع فى برنامج المباريات الرياضية والأناشيد. وقد تقررها الجمعيات والمجامع. وقد تعمد اليها الجرائد والمجلات وأصحاب الإعلانات فيها ترويجا للصحف والسلع. وقد وضعت جوائز فى سنة ١٩٢٦ لأحسن الرسائل فى موضوعات معينة كرسالة الأزهر فى القرن العشرين. على أن أشهر الجوائز على الاطلاق جائزة نوبل العالمية التى تقررها الأكاديمية السويدية، فطالما تطلع اليها فحول العلماء والكتاب والمؤلفين والشعراء وارصدوا جهودهم الفكرية فى سبيل الظفر بها، ليس لفائدتها المادية فحسب وانما لأنها اعتراف صريح بنزعة الكاتب الى تحقيق المثل الأعلى فى إنتاجه والخروج برسالته من الحيز المحلى الضيق الى المحيط العالمى، وبث روح الانسانية المشتركة التى ينشدها أنصار السلام، وهذه هى التى أملت على الفريد نوبل فى شيخوخته أن يوقف ريع ثروته الكبيرة على العاملين فى سبيل السلام والدفاع عن الأخاء الانسانى تكفيرا للمانح عما نزل بالعالم من نكبات واختراعات، وقد

خصصت لأحسن البحوث فى العلوم والفنون والآداب .

ومن أشهر الجوائز الفرنسية جائزة جونكور ، وجائزة يتوفراست رينودو ، وجائزة التحالف الدولى ، وجائزة جريدة الأنترانسيجان ، وجائزة الأدب الكبرى التى تمنحها سنويا الأكاديمية الفرنسية .

وقد قررت جامعة فؤاد الأول منذ سنة ١٩٤٦ منح جائزة لأحسن المؤلفين فى الأدب .

أما جائزة جونكور فقد أنشأها الكاتبان أدمون وجول دى جونكور فى القرن التاسع عشر ، وهى تمنح للكاتب القصصى فى « المذهب الواقعى » وقد فاز بها من الكتاب : مارسيل بروست ، وجورج دوهاميل ، ورولان دور جليس ، أما المحكمون فى هذه الجائزة ، التى تمنحها الأكاديمية ، فهم نخبة أعلام الفكر والبيان . أما جائزة نيوفراست رينو دو ، فانها تمنح إلى الكاتب الذى يسعه تغليب الجانب الإنسانى الشعرى فى القصة على الجانب الواقعى الشائع .

أما الجائزة الثالثة فهى فى الحقيقة أعظم الجوائز الأدبية على الإطلاق لأنها لاتمنح إلا للكاتب القصصى المجدد حقاً ، للكاتب الذى يجدد فى الأسلوب وفى طريقة وضع القصة وفى مراميها

الإجتماعية والخلقية وفى اللغة الفرنسيه ذاتها ، وكثيراً ماتمنح لكتاب متطرفين جداً من حيث مذهبهم السياسى والإجتماعى ، والأعضاء المحكمون الذين يمنحون هذه الجائزة لايهابون الرأى العام ولايخشون سيطرة التقاليد ويعتقدون أن غايتهم هى البحث عن القصصى المجدد الصادق مهما تعارضت نزعاته وميوله وأفكاره مع النزعات والأفكار المسيطرة على الأدب التقليدى وعلى عقلية الشعب ؛ والدليل على ذلك أن هذه الجائزة منحت مرة للكاتب لويس فرديناند سيلين عن قصته « رحلة إلى أقصى الليل » وهى قصة تكاد تكون موضوعة باللغة الدارجة وتكاد تكون صرخة منطلقة من صدر رجل فوضوى ، ولكن الأعضاء المحكمين تلمسوا حركة التجديد الصحيحة فى الأدب بين ثنايا هذه القصة .

أما جائزة الأدب الدولى الكبرى وقيمتها ثلاثمائة ألف فرنك فهى تمنح لأى كاتب أجنبى يكتب بلغته القومية ، ويجوز أن تمنح لأى كاتب مصرى يستحقها . ومن أروع الأعمال الأدبية التى ظفرت بهذه الجائزة قصة لكاتبة مجرية شابة تدعى يولاند فولدس بعنوان : « شارع القط الصياد » وهو إسم شارع معروف فى باريس يأوى اليه الفنانون الغرباء ويعيشون حياة أقرب إلى الصعلكة والفاقة .

وفى الولايات المتحدة عشرات الجوائز الأدبية المختلفة لأن كل ولاية ترصد جوائزها الخاصة وتقصرها على أبنائها . أما الأنجليز فقلما يأبهون لأمثال هذه المظاهرة حتى أن برنارد شو لما منح جائز نوبل رفضها مع أن قيمتها تزيد على ٨ آلاف جنيه . وقد ظفر الكاتب الروائى شارلس مورجان بجائزة هاوتور .

الفصل الرابع

الاستبداد عدو الصحافة والحرية أساسها

كان المستبدون والديكتاتوريون أى الحكام بأمرهم فى العصر الحديث — كما كان فى عهد هتلر وموسولينى وكما هو قائم الآن فى روسيا السوفيتيه والدول البلقانية وهنغاريا والمانيا إذ تسيطر روسيا جهرة أوخفية على هذه البلاد — كان هؤلاء الأعداء الألداء للصحافة. وقد ضربت الأمثال بعداوة قياصرة روسيا والسلطان عبد الحميد خان الثانى للأحرار وعلى رأسهم الصحفيين.

يقول كاتب فرنسى فى مذكرات نشرها عن عهد السلطان عبد الحميد إن وفدا من الصحفيين الفرنسيين زار الاستانة فى ذلك العهد ووسط سفير فرنسا ليسمح له بمقابلة السلطان فسعى هذا سعياً حثيثا حتى نال إذنا بالسماح للوفد بالمقابلة.

وجاء الصحفيون فى الوقت المعين فاعلن كبير الأمناء

السلطان بوصولهم فتردد فى استقبالهم وأمره بأن يعتذر اليهم ويصرفهم وقال له اننى أخاف من رجال الصحافة أكثر من رجال السياسة ، فمع هؤلاء يجب على المرء أن يردد دائما ما يريد أن يسمعهم اياه ، واما الصحفيون فيجعلونك تقول ما يريدون هم أن تقوله . وهكذا ألغيت المقابلة واعتذر كبير الأمناء للصحفيين بأن جلالته متوعك المزاج .

ويقول الكاتب الفرنسى ان السلطان كان يخاف من الصحافة خوفا شـــديداً وانه سعى كثيراً لاستمالة الصحافة لأجنبية اليه واسترضائها فلم يوفق وأصلت عهده ناراً حامية .

كذلك كان الحكام بأمرهم يتخذون الصحافة المقيدة ، بوقا لستر فضائحهم والاشارة بتصرفاتهم . ومن هنا كانت ورقا وحروفا وأوامر ، لا صحفا ولا رأيا .

من أمثلة قضايا الحرية الصحفية

«قال الصحفي الأمريكي رونالد كلروس پيتي»: افرض أن صحيفة «نيويورك جورنال» قد نشرت على قرائها أن حاكم نيويورك رجل مرتش، ثم افرض أن محرر الصحيفة التي بعد أيام في غياهب السجن، وأن أعدادها جمعت من حيث تباع، وأشعلت فيها النار، فلم يبق في البلد سوى صحيفة واحدة هي لسان الحكومة تأتمر بأمرها.

نعم كل هذا من باب الفرض في أيامنا هذه، ولكنه كان حقيقة واقعة قبل أن تقررت في أمريكا حرية الصحافة. وقد كان الموظف المرتشي هو وليم كوسبي حاكم مستعمرة نيويورك البريطانية باسم ملك الإنجليز، وكان مشهوراً بقسوته، وبأنه يمد يده إلى خزينة المستعمرة، ولا يتحرج من ابتزاز المال من أفراد الشعب. أما محرر صحيفة «الجورنال»، أو بالحرى طابعها، فقد كان جون بيتر زنجر، وقد كان ذلك في سنة ١٧٣٥.

وفي اليوم الرابع من شهر أغسطس ازدحمت غرفة المحكمة بجمهور متلهف — أو بتلك الفئة من الشعب التي أدركت أن قضية هذا

الطابع المجهول هى قضية الشعب كله . وكان الرجال الذين جلسوا على منصة القضاء من أتباع الحاكم ، وكان الحاكم نفسه قد أقال رئيس المحكمة الأمين النزيه ، حتى يخلو له الجو ليضطهد الناس كما يشاء ، ثم حظر على أربع محاميين فى المستعمرة أن يترافعا حين تقدما للدفاع عن المتهم . وإذن فمن يجرؤ الساعة على الدفاع عنه ؟ .

ذلك بأن حرية المرء فى أن يطبع ما يراه ، لم تكن يومئذ سوى شعاع خاب من الضوء ، مع أن أهل الدول الديمقراطية اليوم يعدونها شيئاً مألوفاً . وقد فرض الملك هنرى الثامن نظام الرقابة على الكلام المطبوع قبل انقضاء زمن طويل على دخول الطباعة فى إنجلترا . بل انظر إلى هؤلاء الرجال الأحرار الذين هجروا أوربا إلى أمريكا لينشئوا فيها دولة حرة ، إنهم كانوا لا يفهمون الحرية إلا فى نطاق ضيق — أن يكون المرء حراً فى نشر ما ترضى عنه الأقلية الحاكمة ، وما يوافق آراءها.ولم يكن فى مستعمرة نيويورك فى عهد حاكمها كوسبى سوى صحيفة واحدة اسمها « الجازيت » ، وكان يصدرها رجل كان محتكراً لمطبوعات الحكومة . أى أن الحاكم كان يقبض على زمام الصحافة والقضاء بيده القاسية الملوثة .

فلذلك عمد فريق من الأحرار إلى إنشاء صحيفة « الجورنال » لكى يفضحوا فى صفحاتها فساد الحكم ، وجعلوا مقرها فى مطبعة

زنجر ، وكان زنجر نفسه يكتب بعض مقالاتها اللاذعة . نعم إن زنجر لم يكن كاتباً مجيداً، ولا محدثاً يقيم الكلام على أصوله الصحيحة ولكنه كان رجلا كريم النفس أبياً على الظلم . وكان قد رحل إلى نيويورك من ألمانيا وهو فى الثالثة عشرة من عمره ، وكان حظه من الثقافة قليلا ، ولكنه تجرأ على طبع الأصول التى جاءه بها أصدقاؤه الأباة ، فلما طبعها وقعت تبعة طبعها على كاهله دون غيره فلما أمر الحاكم بأن تشعل النار فى نسخ « الجورنال » أبى زنجر أن يكف .

ذلك بأن الحق لا ينقلب رماداً ، وقد كان الجمهور يقف أمام النيران المتأججة ، ويقرأ على ضوئها الطبعات الثالثة والرابعة من صحيفتهم التى لا تخاف فى الحق شيئاً . وازداد ما يباع من الصحيفة كل أسبوع ازدياداً مطرداً ، فضاق الحاكم بها ذرعاً ، وقرر فى آخر الأمر أن يودع زنجر غياهب السجن، وجعل مبلغ الكفالة لخروجه منه باهظاً يعجز أغنى الناس ، ولا سيما بعد أن حظر عليه أن يتصل بالمحامين ، أو أن يكلم أحداً من الناس سوى زوجته ، وذلك من خلال ثقب فى الباب .

كانت « أنه زنجر » زوجة تضاهى زوجها شجاعة وإباء ، فمضت فى إصدار الصحيفة تلبية لطلب زوجها ، ولم ينقطع عن الظهور سوى

عدد واحد منها . ولكن زنجر واقف اليوم فى المحكمة وعليه عيون القضاة التى لاترحم ، وهو متهم بجريمة كبرى ، وليس له وسيلة للدفاع عن نفسه .

أو هكذا ظن الحاكم . ولكن الجمهور المحتشد فى غرفة المحكمة الحارة ؛ انشق ليفسح الطريق لشيخ أشيب الشعر منحنى الظهر يسير بخطى وئيدة . هذا محامى الدفاع — آندرو هملتون ؛ أشهر المحامين فى المستعمرات . فقد سمع بمأساة الطابع المسكين ؛ فرحل على الرغم من الآلام التى تنتابه رحلة شاقة مسافة مئة ميل من مدينة فلادلفيا إلى نيويورك . وقد ظل وجوده فى غرفة المحكمة مكتوما ؛ ولعل ظهوره فيها ذلك الظهور الرائع أذهل القضاة . وإذا بالوجوه المتغطرسة قد انقلبت حمراً تحت الشعور العارية البيضاء ، وإذا المحلفون ، وهم من عامة النـــاس ، قد أخذ بعضهم ينظر إلى بعض نظرات تنبيء باهتمام متجدد .

وقد كان آندرو هملتون مهندسا بناء ، وهو الذى وضع تصميم « دار الاستقلال » المشهورة فى تاريخ أمريكا ، ولكنه وضع أمتن بناء وأبقاه يوم وضع الأساس لحق من أعز الحقوق على البشر وأثمنها

ومع ذلك كان النائب العام برادلى لايزال مقتنعا كل الاقتناع بأن القضية التى أعدها لايأتيها الباطل ، ساعة وقف وقال للمحكمين

قول المتعالى إن الموضوع المعروض عليهم للفصل فيه هو هذا ولا شيء غيره : هل تولى زنجز طبع الأشياء الكاذبة التى تحتوى على قذف فى الحاكم الملكى ؟ أما هل تنطوى هذه الأقوال على صدق وحق ، فشيء لا يسمح للمحكمين أن ينظروا فيه .

كان هملتون الشيخ خبيراً باساليب المحاكم ، فوقف فى وقفته عزة ووداعة وقال : « حضرات القضاة : إننى أوافق النائب العام على أن الحكومة مقدسة ، ولكننى أخالفه فى أن الشكاوى العادلة التى يتقدم بها شعب يعانى حكومة فاسدة ، تعد قذفا » .

فصاحت النيابة : « هذا كلام سخيف ، والقوانين التى أصدرها الملك تشارلز الأول تقضى بان كل نقد يوجه الى موظف فى الحكومة قذف ، سواء أصدق أم لم يصدق » .

فرد هملتون فى لهجة الرجل الرزين : « ان ذلك لا يمكن أن يكون ، فالاتهام الذى صدر فى حق زنجر ذكر أنه نشر مطاعن كاذبة ، فكلمة كاذبه لم تكتب عبثا فى قرار الإتهام ، قال : « فاذا دعيت الحقيقة قذفا ، كان ذلك سيفا فى يد ملك شرير ، أو جبان فاسد ، يهلك به الأبرياء » .

فهاج النائب العام وقال « كن حذراً يامستر هملتون فيما تقول ، واياك والشطط »

فقال هملتـــون وهو يبتسم : « حقا ، حقاً إن رجال الحكم لايعفون من الأخذ بأصول العدالة . وقد يكون فى وسعنا أن نقنع الحاكم بأن مصلحته تقتضيه أن يكون عادلا . ولكن ماقيمة هذا كله إذا فرض السكوت على كل رجل يتظلم ، أو إذا اتهمنا بالقذف كل رجل يبث شكواه ومظالمه لجاره ؟ » .

فقاطعه أحد القضاة منتهراً وقال : « إن القانون واضح لالبس فيه ، فالقذف قد يكون قذفا ولو كان صحيحا ، والصدق يزيد من فظاعة الجريمة متى قيل الصدق فى حق موظفى من موظفى الملك . فليلزم هملتون الصمت فى هذه المسألة . ولن يصغى القضاة الى حجته »

فانحنى هملتون وقال : « أشكر لحضرة القاضى ماقال » . ثم تحول حتى واجه المحكمين وصاح : « ياحضرات المحكمين ، إليكم نلتفت الآن للظفر بشهود على صحة الحقائق التى عرضناها ، ثم حظرت علينا حرية اقامة الدليل عليها . إن الحقائق التى نحن على أهبة إقامة الدليل عليها ذائعة مشهورة ، فلاملاذ لسلامتنا سوى عدلكم . ولما كانوا قد أنكروا علينا حرية إقامة الدليل على صحة مانشرنا فانى أستأذنكم فى أن أقرر أن منع الدليل ينبغى أن يعد أقوى دليل »

وفى وسعنا اليوم ، وقد انقضى قرنان من الزمان ، أن نسمع صوته الرنان ونحس السكوت المرهف المخيم على المستمعين . وكانوا

قد أصغوا إلى النائب المتعجرف بشعره المستعار، وألفاظه القانونية، وثيابه الموشاة، فلم يغلبهم ما رأوا وما سمعوا على عقولهم. ولكن هذا الشيخ قد استأثر بعنايتهم ساعة قدح الحقائق بالحق فطارت شرارة الحرية.

صاح هملتون: «إن المسألة المعروضة عليكم ليست مسألة قليلة الخطر أو مسألة خاصة، وهى ليست قضية طابع مسكين تحاكمونه الآن. كلا! بل هى مسألة قد يكون لعواقبها أثر فى حياة كل إنسان. إنها لأكرم قضية، إنها قضية الحرية، كل رجل يؤثر الحرية على الاستعباد سوف يجلكم ويكرمكم، لأنكم رددتم عدوان الاستبداد بحكم نزيه، ولأنكم وضعتم أساساً نبيلا يضمن لنا ولذريتنا ولجيرتنا ذلك الحق الذى منحتنا إياه الطبيعة وأقرته لنا الشرائع، حق فضح السلطة المستبدة ومقاومتها بقول الحق وكتابته»!

تأججت النار فى صدور القضاه، وإذا برئيس المحكمة يجمل فى عبارات مثقلة بالتهديد، خلاصة التهمة للمحكمين - فكأنه يوجههم إلى الحكم على زنجر بأنه مذنب.

وخرج المحكمون من مقصورتهم، فلم تكد تنقضى دقائق حتى عادوا وأصدروا قرارهم بالبراءة. فهز الهتاف أرجاء المحكمه حتى عجز القضاة عن إقامة النظام. وفى اليوم التالى أطلق سراح زنجر.

أما الحاكم كوسبي فقد هاله أن تفسد خطته، وأن يهان، فمرض وما لبث طويلا حتى مات. وطبعت خطبة هملتون ووزعت فى جميع المستعمرات الأمريكيه، وكان لها أثر كبير فى بلاد كثيرة.

وهذا المجهود الذى بذله شيخ شجاع منذ زمن طويل آتى ثمره فلما وضع الدستور الأمريكى نص فيه على حرية الصحافة فى التعديل الأول لبيان حقوق الانسان. ومنذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا، لم يستطع أحد من أهل الحكم أن يقضى على حق الصحافة الأمريكية فى نقد الحكومة مهما كان النقد مراً لاذعاً.

حرية القول والكتابة

تحدث معالى عبد الحميد بدوى باشا عن حرية القول والكتابة فى محاضرة له ، نجمل ما ورد فيها متصلا بحرية الصحافة والإذاعة والدعاية وما هناك من القيود والعقبات فيما يلى :

حرية القول . وقد يطلق عليها على سبيل المجاز حرية الرأى أو الفكر ، لأن القول لا يعدو أن يكون اعلانا لرأى أو جهراً به ولأن الرأى لا تكون له قيمة أو شأن إلا بقدر ما يجهر به ويتبادل بين الناس ، هى أن الإنسان يقول ما يشاء ويعلن ما يعرف أو يرى والقول هنا يشمل اللفظ باللسان ، كما يشمل الكتابة والرسم والصور وغيرها من وجوه أداء الفكر والأحاسيس .

أما حرية الرأى بالمعنى الحقيق ، فهى ألا يكلف المرء رأيا أو عقيدة غير ما يرى ويعتقد . وهى حرية لازمة أى أنها لا تعنى إلا صاحب الرأى ، أما حرية القول فهى حرية متعدية تعنى حق القائل فى القول والمستمع فى الاستماع وحق الجدل والمناقشة .

وكلا الحريتين جزءان من الحرية الشخصية بالمعنى العـــام ، ولكنهما يتميزان عن الحرية الشخصية بالمعنى الخاص ، وهى حرية

الإنسان فى شخصه أو بدنه ، وحريته فى الغدو والرواح ، وهى الحرية التى قامت من أجلها بعض الثورات لتقرير ضمانات تحد من سلطان أهل الحكم فيما يتعلق بالقبض على الناس أو حبسهم وتنظم محاكمتهم .

وحرية القول أو الرأى ليست هى الحرية السياسية ولا تختلط بها ، فالأولى تتعلق بالفرد أصلا وبالذات ، وإنما تتعلق الثانية بالشعب فى جملته وتقيد حقه فى حكم نفسه .

على أن بين الحريتين صلة ، فحرية القول هى التى أتت بالحرية السياسية ، وهى نظام الحكم المعروف بالديمقراطية ، وحرية القول من جانب آخر من مستلزمات الديمقراطية ، فان النظم الحرة لا تعيش إلا فى ظل حرية القول .

والحرية بوجه عام معنى يصف صلات الناس فى المجتمع ، سواء أكانت الصلات بين فرد وآخر أم بين الفرد والمجتمع . ولا يمكن ان تكون مطلقة . ولو أنها كانت كذلك لترتب عليها فناء بنى الانسان وفناء الحرية نفسها . لذلك لا تكون حرية الفرد حرية صحيحة ، إلا إذا كانت بحيث تكفل حريات سائر الأفراد وبقاء المجتمع الذى يتألف منهم .

فالحرية يجب إذن أن تكون مقيدة ، والقيد شرط وجودها

والتمتع بها . وتعيين مدلولها ومداها ، هو تعريف القيود التى تحدها ، إن كثيرة فالحرية ضيقة المجال ، أو قليلة فهى رحبة واسعة .

أما حرية القول فتتصل بعناصر الحياة المعنوية . فالأديان والأخلاق والسياسة ، أو نظم الحكم والعلوم والآداب والفنون ، كل ذلك مما أنبتته حرية القول وأثمره طول استعمالها منذ وجد الإنسان . وربما أنست المقاصد ما اتخذ فى سبيلها من وسائل . فإذا أخفى أثر حرية القول فيما يعتنقه الإنسان من دين أو يتخذه من خلق وقواعد سلوك ، أو فيما تدبر به صلاته بالأفراد والمجتمع وتساس به أمورهم ، أو فيما يطالعه من آيات العلوم والآداب والفنون ، فلا تبغ تأويل ذلك إلا فى أن حرية القول اختلطت بموضوعها ، فبرز الموضوع وهو المقصد ، وخفى أثر الحرية وهى الوسيلة .

لقد كانت الأديان ونظم الحكم والاجتماع والحريات المختلفة والأخلاق ، كلها ، ثمرة تلك الحرية ، وكلما استقرت الحضارة فى ناحية من هذه النواحى على حال ، لم تزل حرية القول ترقب تلك الحال وتنفذ الى نقائصها وعيوبها ووجوه سدها واصلاحها والدفع بها قدما ، أو تغييرها إذا رئى أن شيئاً آخر أفضل وأجدر بالاختيار . وها هو النظام البرلمانى . ألا يقال فيه إنه خير ما اهتدى اليه الانسان فى نظم الحكم ؟ أترى حرية القول سكتت عن مدارجة عيوبه

وضبط مقوماته من أحزاب أو انتخابات ؟ والحريات نفسها الا تتعقبها حرية القول وتنظر ناقدة فيما اتخذ لها من أسباب الحماية والتوفيق بينها وبين نظم المجتمع والأخلاق ؟ الا تتغير بين جيل وآخر بفعل النقد والتطور ؟ وأداة حرية القول نفسها من صحافة واذاعة وسينما ألا تسلط عليها تلك الحرية نفسها فتقوم اعوجاجها وتصلح فاسدها وتكشف ماتفعل المصالح بها فى بعض الأحيان ؟ وقد لايظن الناس أن العلوم والآداب والفنون إلا أرض تلك الحرية تجول فيها كل مجال . ولكن كم لحرية القول فيها أيضاً من قتال .

أطرح جانبا طبعا الوقت الذى نعيش فيه الآن ، فان الدستور أجاز تعطيل أحكام الدستور أثناء قيام الأحكام العرفية ؛ وقد أعلنت هذه الأحكام تنفيذاً لمعاهدة التحالف بين مصر وبريطانيا . وهذه الأحكام تجيز للسلطة القائمة على اجرائها مراقبة الصحف قبل نشرها . وقد كثر الكلام فى أمر هذه الرقابة ، ولعل أصدق حكم على مايجب أن تكون عليه هو ما أعلنه القائم عليها فى بريطانيا العظمى ، من أنها لم تستعمل فى تلك البلاد الا فيما يتصل بشئون الحرب ، وظلت حرية الرأى والنقد فى كل ماعدا ذلك من الشؤون مكفولة .

ولعل أول واجب بعد زوال تلك الأحكام هو أن يرجع

النظر فى القوانين ، ليدلل مافيها من عقاب فى سبيل تلك الحرية . وربما كانت أكبر عقبة فيها هى تلك الأحكام المبهمة الناقصة التى تؤلف جرائم الرأى ، وقد أشرت إلى طائفة كبيرة منها ، ولم أذكرها على سبيل الحصر . نقلت هذه الجرائم عن القوانين الفرنسية القديمة ، ورأى قانون الصحف الفرنسى الذى صدر فى سنة ١٨٨١ من الخير أن يلغيها . وبعض هذه الجرائم له أشباه ونظائر فى القانون الانجليزى ، ولكنها كما قلنا لا تطبق الا فى ظروف إستثنائية . والواقع أن هذه الأحكام العرفية قائمة والرقابة تحول دون نشر شىء يمكن أن تكون منه جريمة . ولكنى أعنى الوقت الذى سبق الحرب . ذلك ان النظام البرلمانى بما يقوم عليه من عدم مؤاخذه أعضاء البرلمان على ما يبدون من الأفكار والآراء فى المجلسين ، تعود على حرية القول خارجهما . ولقد كانت مواد جرائم الرأى قديما تطبق على وجه لا يتفق كثيراً مع حرية الرأى ، ويعاقب بها على عبارات هينة ، وكان هذا التطبيق يساير بطبيعة الحال تطبيق قانون المطبوعات المصرى الصادر فى سنة ١٨٨١ وهو القانون الذى كان يبيح للحكومة وقف الجرائد وتعطيلها إداريا .

وقد شهدت التجارب بأن قيود حرية القول تحرم أصحاب الرأى مخرجا ومتنفسا لابد منه ، كما تحرم الناس علما بوقائع وآراء قد

يفيدون منها كثيراً ، وتقيم مقام الحكم من يجوز ألا يكون أفضل من أصحاب الرأى أنفسهم ، أو أدنى إلى الصواب ، وهى تضفى على القديم حماية بل قداسة لا تخلو من الغلو والسرف ، وتوصد دون الجديد منافذ القول . وفى الحق ليست العبرة فيها دائماً ، بالحق والعدل فى ذاته ، بل بما يرضى أو لا يرضى أصحاب الحل والعقد وربما كان أصح فيصل وأضبط ضابط فى أمر هذه الحرية هو الأمن والسلام ، فما يتهدده حقيقة لا ظناً وتقديراً يكون محرماً وما لا يتهدده يكون مباحاً ؛ وثمة نقطة تحول فيها حرية القول إلى ما يشبه حرية العمل ، وهى هذه السلطة التى لا يجوز أن تبلغها حرية القول المطلقة .

ولقد أصبحت الصحف والاذاعة والسينما من وسائل التربية والتعليم . وصارت الصحافة والسينما تجارة وصناعة فى ذاتها . كذلك أصبحت الاذاعة والسينما خاضعتين حتى فى البلاد الديموقراطية ، لرقابة الحكومة .

ولكن هذه الوسائل بما لكل منها من ضرورة ومذهب فى القول ، وبما بينها من تسابق وتنافس وتفاعل وتعارض ، لا تزال بالرغم من تلك الضرورات والصلات ومن قيود الرقابة كفيلة بنشر حرية القول وإحيائها اذا هى سلمت من مرض الدعاية « propaganda »

والدعاية نوع من الدعوى هيأته هذه الوسائل الجديدة ، وتستخدم فيها كل وسائل التأثير التى يعرفها علم النفس ، وهى ترمى بالتكرار والايحاء إلى خلق رأى عام من غرار واحد يرى بعين واحدة ويسمع بأذن واحدة . وليست الدعاية على هذه الصورة أمرا جديدا ، ولكن ما للوسائل الجديدة من الانتشار والنفوذ وهبتها قوة لم تكن لها من قبل .

وفى الدعاية الطيب والخبيث ، ولكنها جميعا تضعف الشخصية وتقتلها وتحول دون ابراز كل ما أودعه الله فى العقول والنفوس المتباينة من خصال وملكات ، ودون أن يحيا الناس حياة خاصة كاملة .

وها نحن الآن نشهد عهدا فعلت فيه هذه الدعاية فعلها ، وغلبت فيه حرية القول على أمرها ، وتصلى حربا وقودها المدنية نفسها ، بعد أن عانت الانسانية فى بلوغها شدائد الأهوال ، وقطعت فى سبيلها ما لا يعد من الأجيال .

ولكن حرية القول التى قاومت العقاب والاضطهاد ، ودكت معاقل الاستبداد ، وخرجت من كل ما منيت به من محن وأحيطت به من سلاسل وقيود ، ظافرة تفيء على العالم فى كل ناحية من حياة الانسان ظلا ممدودا ، هذه الحرية جديرة بأن تتغلب على هذه المحنة ، وأن تكن أشد ما لقيت ، وان تضىء من جديد بنورها وتمده بروحها

الفصل الخامس

التعليم الصّحفي ومعاهده

فى مصر وأوربا وأمريكا مدارس ومعاهد وكليات وفى الأخيرة جامعات للصحافة . على أنه لايزال أكثر صحفيي العالم ممن لم يدخلوا الصحافة عن طريق الشهادات الصحفية الفنية . ذلك لأن هذه المنشئات الصحفية حديثة العهد ، ولأن الصحافة أو قل الفن الصحفى أشمل وأعم مما تسعه مدرسة أو يحدده منهج ، ولأن الصحافة فن وهواية قبل أن تكون عند العاملين فيها ، مهنة وحرفة .

وفى جامعة فؤاد الأول معهد للصحافه ينتسب إلى كلية الآداب . وفى الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، قسم للصحافة ، وقد استطاع أكثر خريجية الالتحاق بالأعمال الصحفية التحريرية والإدارية والكتابية بالصحف العربية والانجليزية التى تصدر فى مصر والبلاد العربية الشرقية ، وقد أخذت طلائعهم تغزو الميدان الصحفى فى مهارة وتنحى العناصر الضعيفة تدريجا . كذلك كانت فى المانيا قبل انهيارها مدرسة للصحافة فى برلين ، وكان يشترط فيمن يريدون

الالتحاق بها أن يكونوا قد أتموا الدراسة العالية وأدوا الخدمة العسكرية. وقضوا المدة المفروضة على كل شاب المانى فى فرق العمال المتطوعين.

والمدرسة داخلية. أى أن الطلاب يقيمون بها ليل نهار. والبرنامج يتضمن عدا الثقافة العامة والثقافة السياسية تربية الطلاب تربية رياضية.

وتعقد إدارة المدرسة مباراة سنوية لاختيار الطلاب الذين يصلحون للصحافة. ويستغرق اختيار كل طالب ثمانين دقيقة، يتعين عليه خلالها أن يجيب على ثمانين سؤالا. ويشترط للتفوق ألا تستغرق الاجابة على كل سؤال أكثر من ستين ثانية.

وفيما يلى نماذج من هذه الإسئلة:

— من هو كولبير؟

— من هو فاد كيت؟

— من هو صاحب مشروع الانتعاش الاقتصادى فى أمريكا؟

— كم عدد المراسلين الألمان فى باريس؟

— هل لك اتصال بصحافيين فى اليابان؟

— ماهو أهم فارق فى اختصاصات رئيس الوزراء فى فرنسا ورئيس الوزراء فى انجلترا؟!

— فى تونس مسيو باوتو ؟ !

— من هو راديك (كارل راديك الصحافى السوفيتى المشهور)

— من هو بيفر بروك ؟ !

— متى قتل كيروف ؟ ! (سكرتير الحزب السوفيتى)

— أين توجد مدينة شاربورج ؟ !

الفصل السادس

عنصر الأخبار مهمة المخبرين

لعل أهم ما فى الجرائد اليومية والسبب فى رواجها ونفوذها، هو عنصر الأخبار. ومن هنا أصبحت أجور المخبرين والمندوبين الخاصين فى الكثير من الصحف، أعلى من أجور كتاب المقالات والمترجمين.

وقد كتب الصحفى الانجليزى الكبير والناقد المسرحى المشهور مستر هانن سوافر مقالا ممتعا فى إحدى الصحف بعنوان « أنا مخبر صحفى »، ذكر فيه أشياء هامة عن المشتغلين بالصحافة يجدر بكل قارىء أن يعرفها، ونحن نقتطف من مقاله هذا ما يأتى:

قليلون هم الذين يعرفون شيئا عن رجال الصحافة رغم أنهم يعدون بالآلاف، ورغم أنهم منتشرون فى جميع بقاع الأرض وقد خرجوا من مختلف الطبقات ووصلوا الى مختلف المراكز.

وقد كان مستر رمسى مكدونالد واحدا منهم، وكذلك هول

كين وجون بارى ، وبرنارد شو ، وارنولد بنيت ... بل إن نصف كبار المؤلفين المسرحيين بدأوا حياتهم العملية بالاشتغال فى الصحافة وكذلك كانت نشأة الكثيرين من قادة العالم وكبار رجال السياسة والأدب ، فمسيو بريان كان صحفيا ، وكذلك كان موسولينى وكليمنصو وتروتسكى .

ويرى البعض أن الصحافة هى الدرجة الأولى من السلم المؤدى للشهرة بينما يراها البعض الآخر أحسن وأعلى درجة يصل الانسان اليها .

وقد نشأ إدجار والاس صحفيا ثم حاول أن يهرب من المهنة ، ولكنه لم يفلح ، وظل صحفيا فى كل شىء إلى أن مات .

واعتزل الكاتب الكبير فيليب جيبس الصحافة ولكنه ظل يعود اليها ويدنو منها ما بين حين وآخر . وتراه يفتخر دائما بانتسابه للصحافة الانجليزية ، بينما يفتخر اللورد نور ثكليف بأنه كان ولا يزال مخبرا صحفيا ، أكثر من افتخاره بأنه صاحب أكبر عدد من الصحف الكبيرة المحترمة .

وقد يسمع القارىء ويهتم بالنقاد المسرحيين والنقاد الأدبيين ولكنه لا يهتم بالمخبرين الصحفيين، مع انهم أهم عنصر فى الصحافة

ويوجد فى « فليت ستريت » — شارع الصحف فى لندن — مخبرون صحفيون اخصائيون فى وصف حوادث الحريق ، ومن بين

هؤلاء واحد يلقبه زملاؤه برجل المطافىء ، لأنه يمتاز بمهارته الفائقة فى الوصول إلى مكان الحريق ومعاينته أثناء اشتعال النيران ، رغم « الكردونات » التى يقيمها رجال البوليس حول المكان للحيلولة دون اقتراب الصحفيون وغيرهم منه .

وهناك (عصابة القتل) كما سمى الزملاء أولئك المخبرين المهرة الاخصائيين فى الكتابة عن حوادث القتل والكشف عن معمياتها التى يعجز رجال البوليس عن معرفتها فى كثير من الأحيان .

ولا تكاد تقع جريمة من الجرائم حتى يكون أفراد هذه (العصابة) أول من يذهبون إلى مكانها قبل رجال البوليس بل قبل أن يعرف بها الجيران ! .

وهناك أيضا المخبرون الصحفيون الذين يغشون المجتمعات الراقية للكتابة عن أهلها ووصف الأزياء الحديثة الفاخرة التى يظهرون بها ، هذا عدا مخبرى الأزياء الذين يسافرون إلى باريس لاستكشاف « المودات » الجديدة . وعدا مخبرى سباق الخيل ومخبرى الألعاب الرياضية على اختلاف أنواعها . وعدا المخبرين الآخرين الذين يضطر الواحد منهم إلى الاقامة فى محطات السكك الحديدية والموانى ليراقب المسافرين والعائدين من ذوى الشخصيات البارزة .

وقد شاركت أقسام الصحافة ، الهيئات الرياضية والجامعية والبوليسية والاجتماعية والجوية والسياسية والاقتصادية والملاحية نشاطها بما عقدت من المؤتمرات والمباريات والجوائز والبحوث .

الفصل السابع

إدارات الصحف

في بداية عهد الصحف فى أوربا ومصر والشرق ، كانت الصحف ملكا لأصحابها ، وكان صاحب الجريدة هو الكل فى الكل : كان هو المحرر والمترجم والطابع والبائع والمدير والمحاسب . ولا تزال فى لبنان وسوريا أسر تقوم بذلك ، فيكون الزوج وزوجته وأولاده هم أسرة الجريدة ، فيصفون الحروف ويديرون آلة الطباعة ويقيدون الحسابات إلى جانب التحرير والترجمة .

ومما يلاحظ أن الكثير من الصحف قد بدأ عن طريق المطبعة ، فأنشئت المطبعة فى بداية الأمر ثم رأى صاحبها أن يوجد لها مطبوعات بينها جريدة أو مجلة يصدرها .

أما كبريات الصحف والمجلات فقد أصبحت تنظمها دور كبيرة ذات إدارات واسعة كالحكومات ، بها أقسام إدارية وتحريرية . ففى الادارية : مكاتب الاعلانات العامة ، والاعلانات المبوبة ،

والاختزال والاشتراكات، والتوزيع والبيـــع ، والحسابات ، والمستخدمين ، والعمال ، عدا آلات صف الحروف والطباعة ، وقسم الهندسة والرسم .

وفى أقسام التحرير : مدير السياســة ، ورئيس التحرير ، ونائب رئيس التحرير ، ومساعد سكرتير التحرير ، ومحررو المقالات ، ومحررو الروايات ، ومحررو الصفحات الأدبية ، ومحررو الشئون المالية ، والمندوبون البرلمانيون ، والمترجمون على اختلاف أنواعهم ، والمصورون العاديون والكاريكاتيريون . وقد يتعدد رؤساء التحرير ، فللشئون الداخلية رئيس ، وللخارجية مثله ، وهكذا .

وكانت الصحف تستأجر دوراً فأصبح للكثير منها دورها ، كجرائد الأهرام والمقطم والهلال والجورنال ديجيبت وأخبار اليوم وآخر ساعة ، والمصرى ، والبلاغ ، والصباح ، والبصير .

وأصبح لكل من الأهرام والمقطم ومجلة دار الهلال شركة أكثرها من أصحابها أو ورثتهم .

وكان لجريدة المؤيد لمؤسسها شيخ الصحافة الأول المغفور له السيد على يوسف باشا دار عليها لوحة « دار المؤيد » بشارع محمد على بالقاهرة ، وقد استحالت شركة فى آخر أيامها .

وكان صف الحروف وادارة آلة الطباعة يجرى بأيدى العمال .

فأصبح لكل منها آلة تدار بالكهرباء . ولاتزال هذه الآلات مطردة التحسين .

وفى دور الصحف الأوروبية والأمريكية قاعات كبيرة ذات مناضد يجلس إليها المحررون وأمام كل منهم « آلة الكتابة » والتليفون ، واللاسلكى . وقد يوجد المئات من العاملين معا دون أن تسمع ضجيجاً أو همساً .

وترسل « أصول الجريدة » من مكتب المحرر الذى يكتبها على الآلة داخل أنبوبة إلى المطبعة فتصف فى الحال .

تحول الصحف إلى شركات

وتطور الحال حتى أصبحت الصحف تجارة ، يقصد منها توظيف المال من أجل الربح ، وأصابها مايصيب كل تجارة من عوامل الكسب والخسارة . و ستغلت الصحافة على وجهين : الأول انه نظر اليها كاداة لترويج منتجات الشركات والثانى أن تصبح هى شركات بذاتها .

وحسبنا أن نذكر أن صحف المرحوم اللورد نورثكليف فى انجلترا قد استحالت الى شركة تضامن ثم انتهت الى شركة مساهمة رأس مالها ثلاثة ملايين من الجنيهات . و ما كادت أسهم هذه الشركة تطرح فى السوق حتى بلغ رأس المال الذى اكتتب به خمسة وعشرين مليون جنيه ، وذلك فى مدة ربع ساعة فقط حتى اضطر أصحاب المشروع أن يقفلوا باب الاكتتاب بعد فتحه بربع ساعة .

وكانت معظم أسهم شركة نورثكليف بيد اللورد روذرمير «شقيق المرحوم اللورد نورثكليف» وقد نشر فى جريدته «الديلى مايل» يومئذ مقالة أشار فيها إلى المشروع الجديد فقال : ان الذين عندهم المام فى بمقتضيات الصحافة البريطانية قد كانوا يشعرون منذ عهد قريب ان صحافة الارياف فى انجلترا ليست فى المستوى الراقى الذى هى فيه صحافة المدن الكبيرة ، وان هذا نقص يجب تلافيه

لمصلحة الأمة نفسها . فالصحف التى تصــدر فى القرى ويدعمها رأسمال قوى ونظام واف هى قليلة جدا وقلما تجد بينها صحفا تنشر أنباء العالم وصور الحوادث المهمة . من أجل هذا بات الكثيرون من أصحاب الصحف الفردية يخشون على مستقبل الصحافة بسبب تلك الشركات ، لأن الصحف المتصلة بها هى فى الواقع مشروعات مالية قبل كل شىء ، مع ان الصحف وجدت فى الأصل للدفاع عن مبادىء معينة ولاذاعة الأنباء بين طبقات الأمة .

وتلى شركة صحف نورثكليف شركة أخرى لاتقل عنها شأنا وهى نقابة «برى وأخيه» أى الصحف التى يمتلكها السير وليم برى وأخوه وفى مقدمتها جريدتا المورننج بوست سابقا والديلى تلغراف وهما من أشهر الصحف الانجليزية . وقد كانت جريدة الوستمنستر غازيت من أشهر تلك الصحف ولكنها ادمجت فى جريدة الديلى نيوز .

وقد نشرت جريدة سبكتاتور الانجليزية مقالة فى هذا الشأن جاء فيها : «ان تحويل الصحف الانجليزية إلى شركات ليس عرضا جديدا من أعراض الصحافة فى انجلترا بل هو يرجع إلى بعض سنوات مضت ، ولكنه قد ازداد وضوحا وبسرعة منذ الحرب العظمى الأولى . والأرجح انه سيكون من أخطر المشاكل

التى ستواجه الديمقراطية فى هذه البلاد (يعنى انجلترا) وفى الواقع ان ما هو حادث اليوم بيننا قد حدث فى الولايات المتحدة أيضا لأن الصحافة هنالك ، نظرا لاتساع البلاد ، ليست خاضعة لنيويورك خضوع الصحافة الانجليزية للندن . وإذا كان لابد للصحف من اعتبارها مشروعات مالية قبل كل شىء فمن الصعب جدا ان نجتنب تحولها إلى شركات ، وليس ثمة حل لهذه المشكلة فى الوقت الحاضر ولا يسعنا الا الاعراب عن مزيد تخوفنا عندما نقابل الصحافة البريطانية الحاضرة بما كانت عليه منذ خمسين عاما . فالصحف الناجحة التى يمتلكها أفراد قد أصبحت نادرة جدا لأن النفقات التى تقتضيها تلك الصحف عظيمة جدا تكاد تخرج عن طاقة الافراد ويكاد أكابر الأغنياء يعجزون عن تقديم كل ما تتطلبه الصحف من النفقات . وفى الواقع أن الصحافة فى الوقت الحاضر ليست بالمورد الذى كان الناس يظنونها اياه فى السنين الماضية .

« وليس غرضنا التحامل على الشركات التى تملك الصحف البريطانية ولا نحن نرمى إلى انتقاد تلك الادارات ، وانما نحن نتكلم عن نظام الشركات الصحافية بوجه الاجمال ، وهو النظام الذى ظهر فى انجلترا فى العقد الأخير من القرن الماضى ولا يزال مستمرا بثبات ، وقد ظهر على أشده فى السنوات الأخيرة . ولا شك فى

أننا إذا نظرنا إلى مصلحة الجمهور رأينا نشوء الشركات الصحافية فى مصلحته ، لأن ما تستطيع النقابات نشره من الأخبار تعجز عنه جرائد الأفراد . ولكن للمسألة وجها آخر وهو أن الأنباء والمعلومات والاراء التى تجمعها الشركات،وتذيعها على نطاق واسع وبطريقة تكاد تكون ميكانيكية ليست لها القيمة الأدبية التى للآراء التى يذيعها أصحاب الجرائد الفردية والتى يعبرن بها عما يعتقدونه باخلاص تام . نعم قد تكون آراء صاحب الجريدة ومعتقداته خطأ ولكن لها مزية لاتجدها فى غيرها وهى أنها صادرة عن عقيدة واخلاص .

وإذا نظرنا إلى التايمز والمانشستر جارديان والسكوتسمان والآيرش تيمس وأمثالها من الجرائد غير الخاضعة للشركات ، رأيناها أحسن مثال للصحافة البريطانية الراقية لأنها تحافظ على أمجد تقاليد تلك الصحافة. والأرجح أن الذى حال دون اندماج جريدة التايمز فى إحدى الشركات الصحافية هو عزة «الماجور استور» ورفاقه وشدة أخلاصهم للمبدأ الصحافى وعلمهم بما لهم من النفوذ فى الشعب الانجليزى بأسره . فهم يرون أن الصحف انما وجدت لبث الآراء والمبادىء قبل الأنباء فهى مشروعات أدبية بقدر ما هى مشروعات مالية ، فلا يجوز المتاجرة بها كأنها سلع تباع وتشترى ولا يجوز أن

تنتقل من يد إلى يد كأنها فى سوق المزاد .

وقد أوضحنا قبلا الاتجاه الجديد فى الصحافة المصرية بأن تصبح شركات كبيرة .

طبعات متعددة فى اليوم الواحد

تعمد كبريات الصحف فى بريطانيا وفرنسا وأمريكا إلى إصدار طبعات متعددة متتالية من أعدادها فى اليوم الواحد . ولا تمتاز كل طبعة عن سابقتها إلا فى ناحية من الأخبار الهامة . وحسبنا أن نذكر من أمثال هذه الأهمية ، أخبار الانتخاب ، ومباريات المصارعة أو الملاكمة أو سباق الجياد ، أو سباق القوارب السنوى بين طلبة جامعة اكسفورد وبين طلبة جامعة كمبردج على نهر التيمس ، وأنباء الحرب ، وأنباء مؤتمرات الصلح ، وأنباء الحرائق ، أو الزلازل أو ثورة البراكين أو فيضان نهرى هائل . ففى كل طبعة يذكر كل جديد من هذه الأنباء ساعة فساعة .

الفصل الثامن

شركات الأنباء من الصحفيين

كان من أثر ازدهار الصحافة واتساع نطاقها أن تم تأليف شركات للأنباء تختلف قوة وضعفاً، مالا وشحا، نفوذاً وتواضعاً، وذلك بأن تنشىء الشركة لها فى أكثر البلاد أو أهمها وخاصة العواصم مكاتب يديرها مخبرون يتولون الحصول على الأنباء أو يلخصون ما تنشره الصحف المحلية. وفى مقدمة هذه الشركات، شركة رويتر، وشركة هافاس، وشركة وولف، وشركة تاس، والوكالة العربية، وغيرها مما سنفصله بعد.

أما شركات الصحفيين أو مكاتبهم، فإنها تستخدم الكتاب والمندوبين لأعداد الأحاديث والمقالات وبيعها إلى مختلف صحف العالم، أو إلى صحف معينة، بجريدة واحدة فى مصر، وأخرى فى لبنان وهكذا.

ذلك أن الصحف لم تعد تعول على مجهود محرريها، بل مضت

تستخدم عناصر عديدة من رجال الفن والأدب وتمنحهم المرتبات أو المكافأة عن كل مقال أو خبر .

كانت شركة الأنباء الألمانية الكبيرة « وولف » قبل الحرب العالمية الأولى تابعة لبنك « روتشيلد » الأوربى الذى كان مركزه الرئيسى فى برلين ، وكان القيصر غليوم الثانى يسيطر سيطرة تكاد تكون تامة على تلك الشركة ويوجهها على النحو الذى يحلو له ، ويجعلها تنشر الأنباء التى تهمه هو شخصيا بالكيفية التى يؤثرها والأسلوب الذى يريده ، ويتخذ منها اداة لأثار الحماسة فى نفوس الألمان والحيلولة دون وقوفهم على حقيقة الموقف الدولى ، وهكذا دفعهم دفعا إلى إشعال نار الحرب العالمية الأولى .

وبعد عشرين سنة ظهرت فى عهد هتلر وكالة الأنباء الألمانية D . N . B وريثة شركة « وولف » ، وأصبحت وكالة الأنباء النازية الرسمية ، وراحت تذيع أنباء فوارة بالأكاذيب والترهات حتى جعلت الشعب الألمانى يستعد مرة أخرى للانقضاض على الشعوب المجاورة له ! .

وفى إيطاليا استخدم موسولينى شركة « ستيفانى » التلغرافية — وكانت وكالة فاشستية رسمية ، لتحقيق الغاية نفسها ، وفى اليابان حيث كانت الصحف ووكالات الأنباء تحصل على اعانات من المصالح

الحكومية المختلفة عملت الحكومة على اخضاعها اخضاعا تاما قبل الشروع فى الأعمال العدوانية .

لقد كان الأمر دائما كذلك : كلما أرادت حكومة ما أن تشعل نار الحرب عملت أولا وقبل كل شىء ، على فرض سيطرتها على الأنباء ، وقد أهملنا ، فى مؤتمرات الصلح التى عقدت لتنظيم شئون العالم عقب الحرب العالمية الأولى ، هـــذا العامل الأساسى الذى لا يمكن أن يكون السلم ثابتا مستقرا بدونه ، ولهذا ينبغى علنا الا نفسى هذا العامل فى مؤتمرات الصلح التى ستعقد لتنظيم أحوال العالم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى أعقاب هذه الحرب .

وعبارة « حرية الصحافة » تنطوى على حجج عديده ، بيد أن المعنى الذى يجب أن يستخلص من هذه العبارة هو أن تهيأ حرية البحث عن الأنباء والحصول عليها للصحفيين فى كافة ارجاء العالم ، على قدم المساواه ، وأن ترسل الأنباء من مكان إلى آخر دون أن تفرض عليها أية رقابة ، وأن تكون جميع الصحف حرة فى نشرها، ويجب أن تكون شركات الأنباء حرة فى التنافس فيما بينها وفى تبادل الأنباء والبيانات والمعلومات ، فاذا تحقق هذا النوع من الحرية فلا يمكن بأية حال أن يظهر « جوبلز » جديد !! .

ولكى نفهم طبيعة هذه المشكلة قبل أن نلم بها ونعالجها ، نرى لزاما

علينا أن ننظر إلى ماوراء الحرب العالمية لنأخذ فكرة عن الوسائل التى كانت تذاع بها الأنباء الدولية فى ذلك الوقت .

ففى الولايات المتحـــدة نمت وكالات الأنباء بطريقة طبيعية لا غبار عليها ، فكانت هناك صحف عديدة وآلاف من مصادر الأنباء . وعندما اخترع التلغراف أضحى فى استطاعة الصحف أن تتبادل الأنباء المحلية فيما بينها ، وقد أنشئت شركة الصحافة المتضامنة « اسوشيتدبريس » لتحقيق هذا الغرض فى عام ١٨٤٨ وكان مبدأها « إذاعة أنباء صحيحة لا التواء فيها » ، وقد جرت على هذه السياسة حتى يومنا هذا ، وعندما أنشئت « شركة الصحافة المتحدة » (يونيتدبريس) فى عام ١٩٠٧ نسجت على منوال شركة الصحافة المتضامنة « اسوشيتدبريس » واقتفت أثرها .

أما فى أوروبا فقد نمت وكالات الأنباء ، كل منهما على حدة ، فشركة « رويتر » البريطانية ، مثلا ، لم تكن فى بداية الأمر شركة أنباء بمعنى الكلمة ، إذ كانت مهمتها مقصورة على نقل الرسائل الحكومية والبيانات والمعلومات الخاصة بالأسواق بين العواصم الأوروبية ، وعندما اخترع التلغراف أقنعت شركة رويتر مجموعة من صحف لندن بأن تجمع لها الأنباء الخارجية وتمدها بها ، وعندئذ أصبحت شركة « رويتر » شركة للأنباء بمعنى الكلمة ، وقد عنى

« رويتر » نفسه بنشر أخبار المملكة في العهد الفكتوري فمنح لقب « بارون » على الرغم من أنه كان بروسي المولد.

وفي تلك الأثناء كانت شركة « هافاس » الفرنسية وشركة « وولف » الألمانية تصطنعان سياسة واحدة قوامها « إذاعة الأنباء بالكيفية التي تريدها الحكومة ، والحصول على أكبر ربح ممكن » .

وقد تعاونت هذه الشركات الثلاث ، خلال بضعة الأعوام التي تلت عام ١٨٧٠ و كونت جبهة احتكارية « كارتيل » لم ير العالم لها مثيلا من قبل ، فقد بسطت سيطرتها على الأنباء الدولية ، وقسمت العالم إلى مناطق نفوذ عدة فيما بينها ، فكانت بريطانيا والممتلكات المستقلة والمستعمرات البريطانية ومصر وتركيا واليابان والصين من نصيب شركة « رويتر » ، وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وسويسرا وإيطاليا وبلاد أمريكا الجنوبية من نصيب شركة هافاس وألمانيا والدول السكندنافية وروسيا والدول السلافية والنمسا من نصيب شركة وولف ، وكان الغرض من التعامل بالأنباء — كالتعامل بالسلع والبضائع — هو الربح ولا سيما إذا حاولت حكومة من الحكومات أو مصرف من المصارف استغلال نبأ أو مجموعة من الأنباء . وكان البريطانيون يواجهون وقتئذ موقفا فيه شيء كثير من الشذوذ ، فقد كانت صحفهم حرة اما أنباؤهم الخارجية فلم تكن كذلك!

وعند ما انضمت شركة الصحافة المتضامنة الأمريكية «اسوشيتدبريس» إلى تلك الجبهة الاحتكارية بحجة في إبعاد رويتر عن الولايات المتحدة، فقد وافقت على تلقي تلغرافاته ووافقت شركة رويتر على تلقي تلغرافات الـ «اسوشيتد بريس» بيد أنه اتضح لهذه الشركة الأخيرة أن تلك الجبهة الاحتكارية لم تكن تتعاون معها تعاونا صادقاً، فقد كانت شركة «رويتر» لاترسل إلى الولايات المتحدة إلا الأخبار التي يريد البريطانيون أن يطلع عليها الأمريكيون، ولم تكن ترسل مع أنباء الولايات المتحدة إلى بقية أجزاء العالم إلا تلك التي يريد البريطانيون أن تطلع عليها الأمم الأخرى، وكانت شركتا «هافاس» و «وولف» تتبعان هذه الطريقة عينها كل منهما في منطقة نفوذها، وكان من جراء ذلك أن الأنباء التي كانت تذاع إذ ذاك عن الولايات المتحدة كانت ضئيلة ومشوهة حتى أن سكان آسيا ظلوا يعتقدون مدة طويلة أن الولايات المتحدة هي بلاد تتحكم فيها قبائل الهنود الحمر وعصابات السفاكين والمجرمين (الجانجستر) ومرد ذلك إلى الترهات التي كانت تضمنها تلك «الجبهة الاحتكارية» الأنباء التي كانت تذيعها من وقت إلى آخر عن الولايات المتحدة.

وكان الأمريكيون يجهلون الشيء الكثير من شئون العالم لا

بمحض إرادتهم بل مرغمين ، وأبلغ دليل على ذلك أن شركة «رويتر» كانت ، حتى بعد أن وضعت الحرب الأسبانية الأمريكية أوزارها ، تنقل أنباء الفيليبين إلى لندن قبل وصول تلك الأنباء إلى الولايات المتحدة ، وحدث فى غضون عام ١٩١٢ أن عمد اليابانيون إلى اضطهاد رجال الارساليات الأمريكية فى كوريا . بيد أن شركة « رويتر » التى كانت تربطها بالحكومة اليابانية صلات ودية للغاية أبت أن تذيع أنباء تلك الحركة الاضطهادية .

والواقع أن الحرب العالمية الأولى لم تقض على تلك الجبهة الاحتكارية ، وكل مافعلته أنها وسعت نفوذ شركتى «رويتر» و « هافاس » على حساب شركة « وولف » الألمانية ، ويقال إن الحكومة البريطانية كانت ، إبان تلك الحرب ، تملك شركة «رويتر» وفى أعقاب الحرب ابتاعها « رودريك جونس » وشركاه ، وكان « رودريك جونس » هذا فى أثناء الحرب مديراً للدعاية البريطانية وكان فى الوقت نفسه يتولى إدارة شركة « رويتر » .

ولما كانت شركة الصحافة المتحدة بمنجاة من تلك « الجبهة الصحفية الاحتكارية » ، فقد طفقت تذيع الأنباء الأمريكية فى البلدان الأخرى على أوسع نطاق ممكن . وبمضى الأعوام تضاعف

عدد مراسلي شركة الصحافة المتضامنة الأمريكية في الخارج، وجعلت هاتان الشركتان تتنافسان ولكنهما كانتا، على الرغم من اشتداد التنافس بينهما، تعملان كخليلتين في مضمار الصحافة الشريفة النزيهة، وأخيراً ظفرتا بالنصر التام على الجبهة الاحتكارية، ولم يكن ذلك راجعا إلى تبدل طرأ على سياسة شركتي «رويتر» و «هافاس»، وإنما كان مرده إلى أن هاتين الشركتين الأوربيتين كانتا تخشيان تضاعف نفوذ شركات الأنباء الأمريكية ومنافستها شركات الأنباء الأوربية في البلدان الأوربية نفسها.

ولكن حدث إبان هذه الحرب أن انتقلت ملكية شركة «رويتر» طوعاً واختياراً إلى صحف بريطانيا الحرة. وقد أفضى مستر — كريستوفر تشانسلور — المدير العام لتلك الشركة منذ مدة بتصريح قال فيه: «إن شركة رويتر هي حليفة لشركات الأنباء الأمريكية وقانوننا الأساسي يكفل لنا النزاهة والاستقلال عن اشراف الحكومة أو المصالح السياسية أيا كان نوعها.»

وفي القارة الأوربية حلت صحف حركات المقاومة محل شركتي «هافاس» التي تولى إدارتها المان. وفي أثناء تحرير باريس «ظهرت وكالة الصحافة الفرنسية» بين عشية وضحاها وأعلنت أنها ستكون شركة أنباء أهلية مستقلة، وطلبت إلى شركة الصحافة المتضامنة —

الأمريكية أن ترسل لها نسخة من قانونها لكى تهتدى به .

أما وكالات الانباء المحورية فلم تمكن شركات أنباء بمعنى الكلمة وإنما هى تابعة وخاضعة للحكومات التى تديرها وتنفق عليها ففى اليابان تشرف الحكومة إشرافا تاما على الأنباء الداخلية والخارجية — وترشحها — وتقطرها — قبل أن تسمح للصحف ووكالات الأنباء بنشرها واذاعتها !

وتقول الصحف الإيطالية : لقد كان موسولينى يقبض على زمامها بيد من حديد وكان كلما سئل عن الصحف ومكاتب الأنباء الايطالية أجاب فى لهجة ملؤها الفخر « الصحف ومكاتب الأنباء الإيطالية هى جوقة موسيقية أتولى أنا قيادتها . . . ولا أحب ان أسمع — نشاذا — أيا كان نوعه ونحسب أننا فى غنى عن القول بأن — النشاذ — هنا معناه الحرية .

وفى ألمانيا وضع النازيون أيديهم على الصحف الألمانية وكان كل نبأ يرسل من ألمانيا أو يرد اليها يمر أولا على وكالة الأنباء الألمانية الرسمية D . N . B ثم يعرض على « الاخصائيين » فى وزارة الدعاية الألمانية حيث « يغربل » بدقة وعناية وأخيرا يرسل للصحف . ومما يجدر ذكره فى هذا الصدد أنه كان يمكن منذ زمن غير طويل الاكتفاء بقراءة صحيفة ألمانية واحدة ذلك أن جميع

الصحف الألمانية كانت متشابهة فى الأخبار والتعليقات بل كان يلاحظ فى كثير من الأحيان أن مقالاتها الافتتاحية والرئيسية مكتوبة بأسلوب واحد تقريبا . وعلاوة على هذا الدور الذى كانت تقوم به وكالة الأنباء الألمانية الرسمية ، كان النازيون يستخدمون طريقتين أخريين لتوجيه الصحف الألمانية على النحو الذى يحلو لهم فكانوا يعينون رؤساء التحرير فى وظائف حكومية كبيرة ويدعون كبار الصحفيين إلى اجتماع صحفى يعقد فى الساعة الحادية عشرة من صباح كل يوم ، وقبيل انعقاد هـذا الاجتماع كانت الأنباء ترسل الى وزارة الدعاية حيث « تقطر » بعد عرضها على بعض الوزارات الأخرى .

وهذه أسماء أشهر الشركات والوكالات البرقية الحالية باللغات الأوروبية :

Reuter

The United Press . New york

The British Press , London

The Associated Press , New york

International News
Service . New york

The Arab news Agency , Lonbon

Tass Agency . Moskow
D . A . N . A . Berlin

اختصاص وكالات الأخبار

تقدم وكالة البريس اسوسيشن الأخبار الداخلية . وقد تألفت الوكالة من جمعية للصحف الاقليمية فى سنة ١٨٧٠

أما وكالة رويتر فتختص بالأخبار الخارجية ، وقد أسسها باول يوليوس رويتر فى آخر سنة ١٨٤٧ . ونقلت إلى لندن فى سنة ١٨٥١ وفى ١٨٦٥ أصبحت شركة محدودة وفى سنة ١٩٢٥ أصبحت البريس اسوسيشن تملكها كلها ، ثم أصبحت تملك نصف أسهمها .

وثمة وكالة اكستشنج تلغراف تقدم الأخبار الداخلية والخارجية ، وفى سنة ١٨٨٠ تألفت وكالة سنترال نيوز وكانت تحت سيطرة أمريكية بين سنة ١٩٠٨ و ١٩٢٧ فقط ، ووكالة الصحف المتحدة البريطانية ، ووكالة أسوشيتدبريس وهى وكالة امريكية . ووكالات صغيرة أخرى .

وقد دار البحث فى القاهرة حول إنشاء شركة مصرية لإذاعة الأنباء . ولعل المشروع يدخل قريبا فى دور التنفيذ .

الفصل التاسع

الورق والصّحف

واجهت الجرائد والمجلات فى بلاد العالم طراً وفى مصر أيضا فى خلال الحرب الأخيرة، مشكلة قلة الورق، فاحتجبت صحف، أو اندمجت فى غيرها، وصغر حجم الباقى منها، ومن ناحية أخرى أثرى صحفيون كانوا من متوسطى الحال أو من الفقراء من وراء حصولهم على ورق لم يكونوا يطبعون سوى أقله وكانوا يبيعون الباقى فى السوق السوداء.

ولعل هذا أثر من آثار الحرب التى جاءت بالثروة لبعض الناس وبالفقر والخراب للاكثرين.

وليس يخفى أن الورق الذى تطبع عليه الصحف فى عصرنا هذا مصنوع من الأشجار وقد قامت بعض الصحف والجمعيات المعروفة باسم «أصدقاء الشجرة» وصرحت على رؤوس الاشهاد بأن الصحافة ستقضى يوما ما شهيدة نهمها. وقد هالها ما شاهدته من انقراض

الغابات . ومما لا مشاحة فيه هو أن صناعة الورق هى السبب المهم فى القضاء على الغابات وقد بدأ الناس يشعرون بهذه النكبة من نحو ثلاثة أرباع القرن .

إن الصحف تفترس الأشجار افتراسا ولا تشبع منها ، ففى أوربا نحو ثلاثين الف صحيفة وتعد النسخ المطبوعة بالملايين منها . والورق المستعمل لطبعها يؤخذ من خشب الحراج الذى تصنع منه «عجينة» الورق .

وثمة — ما عدا الصحف فى أوربا — نحو الف كتاب تصدر فى اليوم من المطابع . ويصنعون أيضا ورقا لغير الصحف والكتب كورق اللف وورق الكتابة والنشرات على اختلاف أنواعها والمقوى (الكرتون) وغير ذلك .

وقدروا قبل الحرب بسنوات قليلة — استنادا الى الاحصاءات — أن متوسط ما تستهلكه الصحف فى أوربا كل يوم نحو الف طن من عجينة الخشب أو ٣٥٠ الف طن فى السنة .

فيكون ما تستهلكه أوربا من الخشب لصنع الورق فى السنة ٣٥٠ مليون متر مكعب للصحف وحدها . ففرنسا تستهلك ٦ ملايين ونصف مليون وانجلترا ٩ ملايين والباقى تستهلكه روسيا ونروج وكندا والولايات المتحدة . إلا أن هذه الأخيرة تستهلك

وحدها نحو ثلاثة أضعاف ماتستهلكه أوربا كلها.

وبدلا من أن تحصر صناعة الورق منتجاتها عندحدمعين نراها آخذة فى زيادة الانتاج . أما السرعة التى تستهلك بها المواد الأولية التى تصنع منها الورق فيستدل عليها من التجربة الآتية التى أجريت فى ألمانيا قبل الحرب بسنين :

أراد أحد المصانع المجهز بآلات عصرية حديثة الصنع أن يعرف مقدار الوقت اللازم لتحويل شجرة إلى صحيفة مطبوعة فاجريت التجربة أمام صاحب منصب كبير وجيء بثلاثة أشجار كبيرة فى منتصف الساعة الثامنة صباحا وشرعت فى الحال إحدى الآلات تعالجها فنشرتها وفصلتها ألواحا . وتناولتها آلة أخرى وحولتها إلى مسحوق الخشب . وعمدت آلة ثالثة إلى تحويلها عجينة وفى الساعة التاسعة والدقيقة ٣٤ صارت العجينة إلى ملفات اسطوانية فيها ورق معد للطباعة .

ولما لم يكن فى المصنع الآنف الذكر مطبعة أرسلت ملفات الى أقرب دار للطباعة ولم تكن تبعد عن المصنع سوى كيلومترين وفى تمام الساعة العاشرة نجز طبع الصحيفة على تلك الملفات .

وقد تمت تلك العملية العجيبة فى ساعتين ونصف ساعة ، وهذا الأمر قد حدث من نحو ثلث قرن فبالوسائل الحديثة التى

اخترعت فى خلال تلك المدة المذكورة لابد من أن يكون الوقت اللازم لتحويل شجرة إلى صحيفة قد نقص . فالصحافة والحالة هذه أكال نهم يفترس الورق ومن المهم لاستمرار الحضارة على اطراد السير ، ألا تحرم هذه الحضارة غذاءها فالإنسان فى أيامنا هذه يحتاج إلى تغذية عقله كما يحتاج إلى تغذية جسده .

ومعلوم أن صناعة الورق من عجينة الخشب حديثة العهد فقد نشأت من اتساع نطاق الطباعة وانشاء الصحف الرخيصة الثمن . فقبلا كانوا يتخذون الخرق لصنع الورق ولما صارت الخرق غير كافية استعملوا النباتات التى تكثر فيها مادة « الباغة » كالتبن والكولزا وقش الرز والذرة وغير ذلك ولكن مالبثت هذه المراد أن أصبحت غير كافية فحينئذ حولت الأفكار إلى عجينة الخشب وشرعوا فى استعمالها فى سنة ١٨٥٥ فى بلاد نرويج ووافق هذا الاختراع اختراع الصحيفة الرخيصة الثمن التى كانت تباع قبل الحرب بخمسة مليمات أو مايعادلها .

وتملك دور المطابع والصحف الكبرى فى أمريكا والسويد غابات ومصانع للورق خاصة بها .

الفصل العاشر

رواج الصحف

يرجع رواج الصحف إلى غزارة مادة الصحيفة وحسن تبويبها وأسلوبها فى التشويق والتعليق وسبقها فى الأخبار وبراعة تصويرها وانتشار التعليم فى الجهة التى تصدر فيها وصلاتها بالحكومة أو معارضتها القوية لها. ولقد كان يجب فى الولايات المتحدة، ونفوسها ١٣٠ مليونا أو فى الاتحاد السوفياتى، ونفوسه ١٨٠ مليونا، أن تكون الصحف أوسع كثيرا مما فى المملكة المتحدة ونفوسها ٤٥ مليونا. ولكن كثافة السكان أكثر أهمية من مجموعهم من وجهة توزيع الجرائد. وكانت أوسع الجرائد انتشارا خارج المملكة المتحدة قبل الحرب على وجه التقريب هى: جريدة برافدا (الاتحاد السوفياتى) ١٬٩٥٠٬٠٠٠ نسخة، وبارى سوار (فرنسا) ١٬٨٠٠٬٠٠٠ ثم نيويورك ديلى نيوز (الولايات المتحدة) ١٬٧١٨٬٠٠٠ وأوزاكا

ماينيشي شيمبون (اليابان) ٠٠٠ر٦٥٠ر١ وايزفستيا (الاتحـــاد السوفياتى) ٠٠٠ر٦٠٠ر١ بينما كانت الديلى اكسبريس أروج الجميع فقد بلغ ما يصدر منها ٠٠٠ر٥٥٠ر٢ نسخة يوميا وتليها الديلى هيرالد بمليونى نسخة يوميـــا وهى بذلك أوسعها انتشاراً أيضا وفى أيام الأحد كانت جريدة بيوبل توزع أكثر من ثلاثة ملايين نسخـة و « نيوز اف ذى ورلد » أكثر من أربعة ملايين وهذا أوسع انتشار فى العالم طراً . ولكى يتسنى طبع هذا العدد الهائل يجب أن تقدم الطبعة الأولى الى المطبعة مساء .

وقد بلغ انتشار الديلى اكسبريس حوالى ثلاثة ملايين نسخة فى أحد شهور سنة ١٩٤٢ .

المنافسة بين الصحافة والاذاعة اللاسلكية

منذ انتشرت محطات الأذاعة اللاسلكية ، وجف الصحفيون متساءلين : هل سيقضى على مهنة الصحافة ، مادام أن الأذاعات اللاسلكية تذيع الأنباء قبل طبع الصحف . وقد وضح أن هذه المنـــافسة ليست خطرة الخطر كله ، وأن من الممكن التوفيق بين الناحيتين ، فتكون الأذاعات مكملة للصحف . هذا إلى أن الأخيرة تقرأ وقت الراحة . وليس من الميسور الاستماع الى المذياع وقت العمـــل .

كذلك تعرض دور السينما جريدة أخبارية قبل عرض الشريط الجديد .

وقد شعرت الصحف الأمريكية قبـل غيرها بتأثير منافسة محطات الأذاعة اللاسلكية . فراحت تتربص بها الفرص لتحد من مميزاتها أو امتيازاتها . وتحصر برامجها فى أضيق حيز ممكن . وأرادت حمل السلطات على منع هذه المحطات من أذاعة الأنبـاء المحليـــة والتلغرافات الخارجية ولـكنها لم توفق .

وقد فصلت إحدى المحاكم الأمريكية منذ سنوات فى قضية

بين شركة الصحافة المتحدة الأمريكية ومحطة الأذاعة اللاسلكية في « بلنجهام » فظفرت المحطة من هذه القضية بامتياز آخر جديد وهو عدم الرضوخ للقوانين التي تضمن المؤلفين والمشتغلين بالأدب حقهم في استثمار مؤلفاتهم ومبتكراتهم .

وتتلخص وقائع هذه القضية في أن محطة الأذاعة اللاسلكية المذكورة نشرت أنباء احتفظت إحدى الجرائد المحلية بحقوق نشرها فطالبت الجريدة بتعويض . ولكن المحكمة رفضت طلب التعويض . وقررت في حيثيات الحكم أنه من حق محطات الأذاعة اللاسلكية أن تذيع الأنباء العامة التي تتلقاها الصحف من مندوبيها ومراسليها على اعتبار أن الأذاعة اللاسلكية وسيلة حديثة من وسائل نشر الثقافة فلا يجب عرقلة أعمالها لاعتبارات المصلحة الشخصية .

وهكذا فقدت الصحف الأمريكية أهم سلاح كانت تعتمد عليه في مقاومة المنافسة : ألا وهو « الاحتفاظ بحق نشر الأنباء الخاصة التي تنفق آلاف الجنيهات في سبيل الحصول عليها .

ومما هو جدير بالذكر بمناسبة الكلام عن المنافسة بين الصحف ومحطات الأذاعة اللاسلكية ، أن أحد المخترعين الأمريكان ابتكر جهازاً لتسجيل الأنباء اللاسلكية على الورق ، وهكذا يستطيع

الإنسان فى أية ساعة من النهار آن يقرأ ما أذاعته المحطة اللاسلكية من الأنباء والمحاضرات دون أن يكون ملزما بالاصغاء إلى جهاز الاستقبال وقت الأذاعة .

الفصل الحادى عشر

الرقابة على الصحف

الرقابة على الصحف صنفان : صنف يقوم على رقابة مواد الصحيفة قبل طبعها وصنف آخر يقوم على رقابة ما تنشره الجريدة بعد طبعها . وفى البلاد الديكتاتورية تقوم الرقابة بنوعيها فى السلم والحرب على السواء . أما فى البلاد الديموقراطية فلا تظهر الرقابة إلا فى إبان الحرب .

ومما يذكر أن الجنرال بونابرت قد أصدر فى يناير سنة ١٧٩٩ أمراً فى ست مواد ينظم به طريقة النشر فى مصر ويعين فيـــه الرقباء المسئولين عن المنشورات التى كانت تطبعها مطابعه العربية ، والمحررين الذين وكل اليهم تحرير صحيفتيه الفرنسيتين .

غير أن عهد الرقابة الفرنسية لم يحس به المصريون لأن الطباعة

كانت شيئاً لا يعرفونه . والصحافة التى أصدرتها الحملة كانت صحافة تخص الفرنسيين وحدهم .

وكان محمد على الكبير الذى خلق أمة وحكومة ، يعد من أهم معاوناته الصحافة التى أرادها لتثقيف الشعب ، وكانت جريـــدة الوقائع المصرية التى أصدرها فى سنة ١٨٢٨ شغله الشاغل فى الادارة والتحرير . وقد أثبت الوالى العظيم أنه صحفى بطبعه ، وأنه يستطيع إلى جانب الحرب والسياسة أن يكون مديراً لمؤسسة صحفية عربية هى الأولى من نوعها فى الشرق العربى كله ، فقد عين مديرها وربط حساباتها وفرضها على الأغنياء وكبار الموظفين ، وأهداها تسلية لزوجاته ، وقدمها تحية للعلماء والفقهاء ، وبعث بها لتثقيف تلاميذ المدارس وطلاب البعثات ، وكان يرى فى صحيفته الوقائع شيئاً رقيقاً لطيفاً وليس بالشىء الذى يعطى بالاكراه بل إنما هو يعطى بتدلل . فاذا تم للباشا تهيئة أسباب الطمأنينة للوقائع المصرية وهى من وسائله الحكومية المدللة ، أثبت أنه محرر من الطراز الأول فكان رقيباً على محرريها وهو أول رقيب عرفته مصر ، فهو يوعز بالخبر والمقال ويراجع كل موضوع ، ولا يستطيع كاتب مهما يبلغ شأوه أن ينشر حرفاً من غير موافقة ولى النعم ، وكان يعاقب المحرر إذا بدا منه أى تقصير ، وهو من أنصار التركيز والاختصار

فقد أرسل إلى مدير الوقائع خبراً لينشره فرده المدير إلى الأعتاب مبدياً ملاحظة على قصر الخبر فكتب اليه الباشا يقول « اطلعت على خطابكم الذى تقولون فيه إنكم استقللتم ما أرسلناه لكم لتنشروه فى الوقائع وأنكم أعدتموه لنا لنزيد فيه . إنك يا هذا رجل مبتل بالثرثرة » .

أما فى عهد سعيد باشا فقد وضح موقف الحكومة من الصحافة وخاصة الصحف الأجنبية فصدرت تشريعات كان من أهمها تشريع يحظر على الجرائد نقد الحكومة ويشترط على المحرر أن يقدم لمكتب الصحافة الأصول للموافقة عليها ، وذلك تجنباً لأذاعة الأخبار الباطلة ،وكان هذا المكتب ملحقاً بنظارة الخارجية

غير أنه قد اختلفت معاملة الرقيب للطابعين والناشرين ، فقد التزم أقصى الشدة مع الناشرين والصحفيين المصريين ، أما الناشرون والصحفيون الأجانب فكان سعيد باشا رفيقاً بهم كل الرفق ، ولقد فتح أحدهم مطبعة من غير إذن ، ونشر صحفاً من غير ترخيص وأراد البوليس أن يطبق القانون ويغلق المطبعة ويصادر الصحف ، فكتب اليه سعيد باشا يقول « يامبارك إن الأشياء التى مثل هذا ليست كلها واحدة مثلما تعلموا . إن أصول اليديه الواحدة مرفوع وملغى . افهموا ذلك » !؟ وعرف مبارك — أى البوليس — أن للاجانب معاملة

خاصة ، وفهم المسئولون الايحاء ونفذوا المطلوب !
كذلك كان فى عهد العرابيين رقابة ورقيب .

الرقابة فى الحرب العالمية الاولى

كان من بين الشركات التلغرافية العاملة بمصر شركة ألمانية هى شركة وولف ، وكانت تصدر إذ ذاك جريدة تركية لها خطرها هى جريدة للويد العثمانية ، وكانت الشركة والجريدة من أنشط مصادر الأخبار قبل وقوع تلك الحرب ، أى إبان التطورات السياسية التى أدت اليها . وكان همهما منصرفاً إلى بث الدعاية الألمانية والتركية وإظهار انجلترا وحلفائها بمظهر الظالم المعتدى .

ولم تكن الرقابة قد ضربت على الصحف المصرية بعد، ولكن قلم المطبوعات رأى فى اذاعة أنباء هذين المصدرين خطراً على قضية الحلفاء ، وخاصة لأن المصريين كانوا يومئذ يعانون من عنت السياسة الأنجليزية وسوء غايتها ما جعلهم يحسون العطف والميل إلى خصوم الدولة المحتلة لبلادهم وذلك قبيل الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) .

وإذا قلنا إن قلم المطبوعات لم يكن راضيا عن أخبار شركة وولف وجريدة اللويد العثمانية ، فما نحسب أحداً يغيب عنه أن الأنجليز هم الذين كانوا غاضبين ، ومن ثم أصدر قلم المطبوعات المصرى بلاغا رسميا للصحف المصرية هذا نصه :

« حيث ثبت أن أخبار شركة وولف وجريدة اللويد العثمانية عارية عن الصحة ومبنية على الغرض والتحيز وأنها ترمى إلى التأثير فى النفوس بما يخالف حقيقة الواقع ، وتحدث فى البلاد بذلك عدم الثقة وقلق الخواطر ، قررت الحكومة المصرية ألا ينشر من الآن فى الصحف المصرية شىء ما من الأخبار نقلا عن المصدرين الموما اليهما »

١٩ - ٨ - ١٩١٤

كان هذا الحادث أول عمل إيجابى فى الرقابة على الصحف المصرية أبان الحرب .

وقد صاحب هذا الضرب من الرقابة على الصحف نوع آخر إيجابى أيضاً ، إذ فرض على الصحف المصرية يومئذ نشر البلاغات الرسمية من الوكالتين البريطانية والفرنسية فى مصر ، وكانت هذه البلاغات عبارة عن دعاية حارة لقضية الحلفاء .

وفى ٣١ اكتوبر سنة ١٩١٤ نشرت جريدة الأجبشن غازيت

الانجليزية مقالا عنوانه « حول مراقبة المطبوعات » نوهت فيه بانتشار الأخبار الكاذبة ، وطالبت بفرض الرقابة على الصحف لمنع نشر تلك الأخبار المقلقة التى يخشى منها على اضطراب الأمن العام . وقد نشرت بعض الصحف المصرية ترجمة ذلك المقال وأيدت الرأى الذى دعا اليه .

وفى اليوم التالى أى فى أول نوفمبر صدر الأمر بفرض الرقابة على الصحف وعرض بروفاتها قبل الطبع على المراقبين .

وقد نشرت جريدة « الأهرام » فى عددها الصادر بتاريخ ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤ النبذة التالية :

مراقبة الصحف المصرية

« صدر أمر قائد جيش الاحتلال بمراقبة الصحف المصرية وما تكتبه عن الحرب قبل طبعه ، ولم تكن هذه المراقبة موجودة حتى الآن ، ولكنا نوقن أن إيجادها لايراد منه غير منع مايضر ويضل الرأى العام مع احترام الحقائق والحرية المعتدلة ، والأهرام التى ورثت منهج الاعتدال عن مؤسسيها ، وورث صاحبها خطة الدفاع عن مصلحة مصر الحقيقية عن أبيه وعمه ، لاتدخر ولا يدخر صاحبها وسعاً فى مواصلة السير فى تلك الطريق القويمة التى انتهجت

لها من يوم نشأتها ، فكانت أقوم السبل الموصلة الى الخير والمبعدة عن الضير ، وعلى هذا نسير ، وبهذا نعمل ، غير حائدين يمنة ولا يسرة . والهداية من الله »

ولا يظن القارىء أن الأحكام العرفية كانت معلنة وقت صدور أمر قائد جيش الاحتلال بمراقبة الصحف المصرية ، فان الحكم العرفى لم يعلن فى مصر إلا فى ٢ نوفمبر من تلك السنة ، أى فى اليوم التالى لتقرير الرقابة على الصحف .

وبدىء فعلا فى تنفيذ الرقابة على الصحف قبل طبعها فى أول نوفمبر ، وكان على كل جريدة أن ترسل « بروفتين » من كل ما تزمع نشره الى المراقب المختص فيراجعه ويقر منه ما يشاء ويحذف ما يشاء ثم يوقع على إحدى البروفتين ويحتفظ بالأخرى للمراجعة بعد صدور الجريدة .

وبدأت الصحف تظهر فى صورة لم يكن الجمهور يألفها من قبل فكانت المقالات يتخللها مساحات بيضاء من أثر قلم الرقيب . وأول بياض فى جريدة الأهرام كان فى العدد الصادر بتاريخ ٣ نوفمبر سنة ١٩١٤ .

وكان من الأشياء التى تكتمها السلطة العسكرية أنباء اعتقال طائفة من المصريين والأتراك الذين اشتهروا بالعداء لانجلترا وإعلان

ذلك والدعوة اليه ، فكانت الصحف تحتال لنشر تلك الأخبار بحيل لطيفة .

ولعل أظرف حوادث تلك الرقابة أن جريدة « الجريدة » التى كان يصدرها الأستاذ الكبير أحمد لطفى السيد باشا ، صدرت فى ٨ نوفمبر سنة ١٩١٤ ومقالها الافتتاحى محذوف برمته ، وكان الرقيب قد ضرب بقلمه الأحمر على جسم المقال دون عنوانه وإمضاء كاتبه وكان ذلك المقال يستغرق عمودين كاملين ، فظهرت « الجريدة » فى ذلك اليوم وليس فيها من المقال الافتتاحى إلا عنوانه وهو « موقفنا الجديد » ، وتحته رقم واحد . دلالة على أن المقال مسلسل ، وأن هذا أول فصل منه ، ثم ظهر فى ذيل العمودين الأبيضين توقيع كاتبه وهو الأستاذ عبد الحميد حمدى .

ولم يكد يظهر هذا العدد حتى بادرت السلطة إلى إرسال الانذار التالى إلى مدير الجريدة وقد أمرت فيه بتعطيل الجريدة يوما . واليك نص الانذار :

جناب المحترم مدير جريدة « الجريدة »

« بأمر جناب اللفتننت جنرال ج . غ . مكسويل قائد جيوش جلالة ملك بريطانيا العظمى بالقطر المصرى أبلغكم أنه طلب منكم حذف الفصل الافتتاحى من عدد جريدتكم الصادر بتاريخ ٨ نوفمبر

الجارى ، استبقيتم هذا العنوان وامضاء الكاتب له . فقدتقرر توقيع الجزاء على جريدتكم بتعطيلها عن الصدور يوماً واحداً انذاراً لكم بعدم العودة الى ذلك فى المستقبل ، مع العلم بأنه يجب عليكم نشر هذا الجواب فى صدر العدد الآتى وبناء عليه لا يصدر عدد يوم السبت المقبل من جريدتكم » .

وأرسل مثل هذا الانذار الى جريدة البروجريه الفرنسية .

ولم تقتصر الرقابة على المطبوعات والصحف التى تصدر فى مصر بل كان ما يرد من الصحف الأجنبية من الخارج لا يوزع إلا إذا أقره الرقيب ، وكانت الصحف الانجليزية تنشر أحيانا ما لا تقر السلطة المحلية نشره فى مصر ، فكان المراقبون يطمسون من تلك الصحف بحبر أسود كثيف مالا يريدون اطلاع قراء تلك الصحف الأجنبية فى مصر عليه .

ومما يذكر أنه قدعرفت « الرقابة » أيام قدماء المصريين وفرضت أول ما فرضت على الصور الكاريكاتورية ، فقد حرصوا على ألا تمس هذه الصور الأخلاق والدين والسياسة وكان عقاب المصور الكاريكاتورى الذى يتجاوز الحدود ، الجلد .

الرقابة فى عهد الحرب العالمية الثانية

كانت هذه الرقابة مصرية ، ولكن السفارة البريطانية وهيئة أركان حرب الجيش البريطانى كانتا توعزان بعدم نشر أشياء حرصا على سلامة الحلفاء وتنفيذا لمعاهدة سنة ١٩٣٦ .

ومن بواعث الأسف أن الوزارات المصرية قد استغلت الرقابة — المفروض أنها خاصة بسير الحرب — فى التنكيل بخصومها ومنع نشر آرائهم ، وفى الترويج للسياسة الحزبية .

وكانت الرقابة يومئذ — على نقيض الرقابة فى الحرب العالمية الأولى — تأمر بحذف المقالات والأخبار ، ووضع غيرها محلها ، ولا ترخص بصدور الصحيفة بيضاء . وكانت تراجع الإعلانات والوفيات وتتناولها بالحذف .

الفصل الثالث عشر

الصحافة في مصر

في عهد الاحتلال الفرنسي

كانت مصر ولاية عثمانية فى الدولة العليا التى أنشئت فيها أول مطبعة فى القسطنطينية فى ١٧٢٨ . ولم يفكر أحد من الحكام الباشوات الذين تعاقبوا على حكم مصر فى إنشاء مطبعة أخرى فى القاهرة أو فى الأسكندرية .

ولم يمض ستون يوما على نزول الحملة الفرنسية إلى الأراضى المصرية حتى أصدر نابليون صحيفته الاخبارية السياسية Courrier de l'Egypte أى « بريد مصر » . وظهر العدد الأول منها فى ٢٨ أغسطس سنة ١٧٩٠ فى أربع صفحات . وكانت الجريدة تظهر مرة كل أربعة أيام فى الشهر الأول ، ثم جاوزت هذه المدة وأصبح صدورها غير منظم . وقد وضعت للجريدة منذ نشأتها سياسة محددة لم تبتعد عنها فى يوم من الأيام ، فهى لاتتعرض بالنقد لأعمال

الحكومة الفرنسية بأى حال من الأحوال ، وكان المحرر يخضع لاعتبارات كثيرة عند اختيار الأخبار ونشرها ، فمصير الجريدة حتما إلى أيدى الضباط والجنود الفرنسيين المقيمين بمصر وغيرها .

وكان قواد الجيش لايهتمون بشىء مثل اهتمامهم بالروح المعنوية القوية التى يجب أن تسود قوات الاحتلال ، ولا يأذنون بنشر أى خبر يمس تلك الناحية من قريب أو من بعيد .

وكانت تسرف فى وصف ساحات القتال ، وتحاول أن تثبت الكلمات الأخيرة لمن يموتون بين قصف المدافع وصليل السيوف ، وتكثر من وصف الحفلات التى يحضرها نابليون بونابرت ، وتتحدث باسهاب عن حركات المقاومة التى يقوم بها الأهالى فى مختلف البلاد . ولكنها كانت ترمى فى الأولى إلى مدح القائد العام ورجاله ، وتدعى فى الثانية أن الفلاحين يستقبلون الفرنسيين فى كل مكان بالفرح والابتهاج ، لأنهم يخلصونهم من عسف البدو الرحل وظلم المماليك .

وكانت النداءات والتنبيهات التى تصدر للاهالى تجمع بين الثناء على بونابرت والتهديد بالشدة والحزم .

وكانت تترجم وتنشر فى الجريدة حتى يطلع عليها الجنود ،

فيتخيلون مبلغ قوتهم ويتصورون مدى نجاحهم . مثل ذلك ما جاء فى أحد المنشورات من « أن نابليون قد منع القوات من إحراق مدينة القاهرة وسلبها ، لأنه حكيم ، وخير ورحيم بالمسلمين ، فهو حامى الفقراء . ولولاه لما بقى أهل القاهرة على قيد الحياة » .

ومضى كليبر ومينو من بعد بونابرت على نفس الطريقة من الدعاية بين الأهالى . وكان مينو خاصة يذكرها فى منشوراته بالمظالم التى عانوها وبالدماء التى سالت فى القاهرة وبولاق والمحلة الكبرى عندما استمعوا لأهل السوء ، ويهددهم آخر الأمر بالنار والحديد إذا ما سولت لهم أنفسهم العودة إلى مناوأة رجال الاحتلال . ويختم النداء بما يأتى : « سلام من اتبع الهدى . . . والويل لمن ابتعد عن الصراط المستقيم . »

وكانت جريدة لوكوربيه تعنى عناية خاصة بأخبار الرحلات والبحوث العلمية للبعثة الفرنسية العلمية التى كانت نواة للمجمع العلمى المصرى .

ويقول « الأستاذ اميل غالى » إن هذه الصحيفة كانت تعنى بنشر أنباء الحالة الصحية وحالة الأمن العام ، والنزاع الذى كان محتدما يومئذ بين انجلترا وارلندا ، وأنباء السياسة الفرنسية الداخلية والخارجية فى حرص على نشر ما يفيد فرنسا فقط .

أما فى الناحية الأدبية فقد حرصت لوكوريبه على ألا تثير شعور الحنين للوطن . فاهتمت ببعض الشعر الذى يمدح الجيش وقائده . ونشرت بعض القصائد التى تصف النيل والبلاد والآثار المصرية وصفاً يحببها إلى القلوب ويدنيهامن الذوق الفرنسى. ولكن هذا كان يفتقر إلى الوحى الصادق والتعبير الصحيح ، فلا عجب إذا ظهرت هذه الناحية ضعيفة مبتذلة سقيمة .

وجاءت الجريدة أيضاً ببعض الاعلانات التى تهم قراءها ، مثل الاعلان المنتظم عن المجلة الأدبية التى يصدرها المجمع العلمى المصرى ، وإعلانات أخرى عن بعض الحوانيت أو عن أشياء مفقودة أو عن حفلات ساهرة وغيرها . . . ومع ذلك فقد ظل هذا الباب ضيقاً وبقى عدد الاعلانات محدوداً طوال مدة ظهور الصحيفة .

هذه بعض النواحى التى اهتمت بها الصحيفة الفرنسية الأخبارية السياسية الأولى التى ظهرت فى مصر ، ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر لكى نعطى صورة واضحة لها بقدر المستطاع .

وقدأشرف على تحريرهاتباعاً المواطن كوستاز Costas ثم المواطن فورييه Fovrier ثم المواطن الدكتور ديجنت Desgenettes وقد صدر منها ستة عشر ومائة عدد يحمل الأخير تاريخ ٩ يونية سنة ١٨٠١ .

وطبعت الأعداد الثلاثون الأولى فى مطبعة مارك أوريل Mark Aurel أما الأعداد الأخرى فقد قامت بطبعها المطبعة التى أحضرها نابليون.
وكانت لغتها بسيطة يتخللها الكثير من الأخطاء المطبعية وبعض الغلطات اللغوية. وقد لاقت رواجاً كبيراً بين المواطنين لأنها حملت لهم أخبار إخوانهم فى البلاد الأخرى وأنباء فرنسا موطنهم الأصلى.

وفى أول أكتوبر سنة ١٧٩٨ صدر العدد الأول من La Decade Egyptienne أى العشرية المصرية وهى أول مجلة فرنسية أدبية علمية اقتصادية تظهر فى مصر، وقد تقرر انشاؤها فى أول اجتماع للمعهد العلمى المصرى حتى تكون سجلا له تنشر فيه بحوث علمائه وتقارير أعضائه.

وقد جمعت الأعداد التسعة الأولى، التى ظهرت بانتظام مرة كل عشرة أيام، فى مجلد أهدى إلى نابليون

ومما كانت تتحدث عنه بحيرة المنزلة ووادى النطرون. وحلل رنيو Régnault غرين النيل ووصف فوريه Foureir الواحات ودرس تاليان Tallien نظام الحكم فى مصر قبل الحملة، وأبان طرق جباية الأموال الأميرية، وتحدث عن نظام الأوقاف.

وقد كتب علماء البلاد هذه التقارير باللغتين الفرنسية والعربية..

وكان للترجمة شأن ملحوظ فى «لاديكاد»، إذ نقل المستشرق حنا يوسف مارسيل Jean Joseph Marcel إلى الفرنسية شعراً. وكانت ترجمته صحيحة ماعدا بعض الألفاظ والعبارات التى اضطر إلى إضافتها لتكوين الشعر، كما ترجم أمثال لقمان الحكيم وشرح قيمتها عند الشرقيين مستشهداً ببعض الآيات القرآنية مثل: «ولقد آتينا لقمان الحكمة».

والخلاصة أنه يمكننا أن نقول إن مجلة «لاديكاد» كانت سجلا فيما يرجع إليه الناس إذا أرادوا أن يطلعوا على مختلف الموضوعات الشائقة التى شغلت نخبة مختارة من العلماء الفرنسيين الذين أقاموا فى مصر من سنة ١٧٩٨ إلى سنة ١٨٠١.

وبانتهاء الحملة الفرنسية خلت مصر من الطباعة والصحافة. ولكن لا يمكننا أن ننكر أثر «لوكوريه» و«لاديكاد» فى تاريخ بلادنا. ومع أن المصريين كانوا يجهلون اللغة الفرنسية فى ذلك العصر، فان انتشار هاتين الجريدتين بين العامة والخاصة من الفرنسيين، قد وجه نظرهم إلى تلك القوة الجديدة التى يمكن الانتفاع بها للصالح العام.

فى عهد محمد على

صدر جرنال الخديو فى ١٨٢٢، وفى السنة نفسها الوقائع المصرية

فالجريدة العسكرية ، وفى ١٨٣٣ جريدة لومنيتو اجبسيان بالفرنسية وفى ١٨٤٦ جريدة لسبيتاتورى جبسيانو بالايطالية .

فى عهد اسماعيل

وانقضت بعد إنشاء (الوقائع المصرية) خمس وثلاثون سنة لم يبعث فيها وجود هذه الجريدة الرسمية فى نفوس المصريين رغبة فى إصــــدار جريدة أهلية . وجاء عهد الخديو اسماعيل فتحركت بتشجيعه هذه الرغبة فى النفوس فظهرت مجلة « اليعسوب » فى سنة ١٨٦٥ وكانت طبية أنشأها الدكتور محمد على البقلى باشا وابراهيم الدسوقى،

وتلتها فى سنة ١٨٦٧ أول جريدة سياسية هى « وادى النيل » لمنشئها عبد الله أبو السعود افندى وكانت تصدر مرتين فى الأسبوع

ثم جريدة (نزهة الأفكار) فى سنة ١٨٦٩ لمنشئيها ابراهيم بك المويلحى ومحمد بك عثمان جلال .

ثم مجلة (روضة المدارس) فى سنة ١٨٧٠ أنشأها على مبارك باشا حينما كان وزيرا للمعارف . وكانت الحكومة تتولى الانفاق عليها . وكان يتولى التحرير فيها كثير من الأعلام منهم على مبارك باشا وعبد الله فكرى باشا والشيخ حسونه النواوى والشيخ حسين المرصفى ورفاعه بك رافع ومحمود باشا الفلكى ومحمد قدرى باشا والشيخ حمزه فتح الله .

وفى سنة ١٨٧٧ ظهرت جريدة « الوطن » لصاحبها جندى ابراهيم بك ثم جريدة (مصر) لصاحبها تادرس شنوده المنقبادى بك وكان السيد جمال الدين الأفغانى يكتب فيهما بعض رسائله .

ويطول الشرح اذا نحن أردنا أن نذكر جميع الجرائد التى صدرت فى عهد اسماعيل فنكتفى بان نذكر منها جريدة « الكوكب الشرقى » لسليم باشا الحموى وجريدة « الأهرام » لمؤسسها سليم بك تقلا وقد صدرت فى سنة ١٨٧٥ فى الأسكندرية وكانت فى أول ظهورها أسبوعية ثم صدرت بجانبها جريدة « صدى الأهرام » يومية ، ثم عطلت هذه وبقيت « الأهرام » وانتقلت بعد الثورة العرابية الى القاهرة ، وهى تصدر الى اليوم .

ونذكر أيضا جريدة « أبو نضاره » وقد صدرت فى سنة ١٨٧٧ لصاحبها الشيخ يعقوب صنوع المصرى الاسرائيلى . وهى أول جريدة سياسية هزلية مصورة وسنتحدث عنها بعد

وفى عدد من جريدة « صدى الأهرام » فى سنة ١٨٧٨ ، وعدد آخر من جريدة « الوطن » فى سنة ١٨٨٨ ونجد مجالا واسعا لمن يريد أن يقارن هذه الصحائف الأربع الضئيلة بالصحائف الاثنتى عشرة أو الست عشرة التى تصدر فيها الصحف اليوم ليعرف أى تقدم تقدمته الصحف المصرية ولا سيما فى السنين الأخيرة حتى صارت أعظم

الصحف فى الشرق القريب بعد أن كانت الصحف التركية هى التى لها هذه المنزلة فيه .

ونظرة سريعة فى هذين العددين ترينا .

أولا — أنه كان من المألوف أن تنشر المقالات الافتتاحية والمقالات غير الافتتاحية بغير عنوانات . ولهذا كان على القارىء أن يقرأ المقالة ليعرف موضوعها . أما الآن فما على القارىء إلا أن يقرأ العنوانات ليعرف الموضوعات ويعرف ما يهمه وما لا يهمه منها

ثانيا — أن ثلاثة أرباع الجريدة على الأقل خاص بأخبار خارجية والربع الباقى فقط هو الخاص ببلاغات الحكومة وبأخبار مصرية . ولعل السبب فى ذلك أن الأخبار الخارجية تنقل من جرائد أجنبية أما الأخبار المصرية فتحتاج الى مخبرين ومحررين

ثالثا — ان بعض الصحف كان يلجأ الى السجع فى الكتابة فكان من أجل ذلك يستخدم تعبيرات لا نستطيع نحن الآن أن نقرأها من غير أن نبتسم .

فهذه مثلا جريدة نشرت قصيدة فى مدح رياض باشا جعلت عنوانها :

« دولتو رياض باشا بلغه الله ماشا »

ومنذ ٢٥ سنة فقط كان هذا النوع من الكتابة لا يزال سائغا فى بيئة الصحف اليومية الجدية . فقد أرادت صحيفة أن تنتقد قاضيا

من قضاة محاكم الاخطاط فكتبت فى ذلك كلمة جعلت عنوانها : قاضى خط باط فى الخط ، وأقول مرة أخرى إن هـذه الجريده لم تكن هزلية بل كانت جدية ويومية .

ودارت فى حرب البلقان فى سنة ١٩١١ معركة فى بلدة تسمى قطية فكتبت تلك الجريدة نفسها مقالا عن هـذه المعركة جعلت عنوانه « معركة قطية وما جرى للترك يا عنيه » .

وأرادت هذه الجريدة أيضا أن تمتدح مشروعا نافعا من مشروعات الحكومة فجعلت عنوان ما كتبته فى ذلك « كلك منافع ياتوم » .

وصدر قانون للدمغة فشكا منه الصاغة فكتبت : « عريضة الصاغة بعد تلك الغاغة » ، وكتبت عن البترول « كيف يحل ويزول مشكل البترول » .

وهناك من أمثال هذا كثير .

وفى القصيدة التى نشرتها جريدة الوطن فى سنة ١٨٨٨ فى مدح رياض باشا :

قال الشاعر :

ياهنا مصر سناها فى الدجى ضا

واليها الأنس والاسعاد آضا

برياض العدل فيها العز يزكو

بل ويكفى أن للعدل رياضا

على أن أول مايلاحظه الباحث أن خمسا وثلاثين سنة انقضت على وجود «الوقائع المصرية» حتى وجدت أول جريدة أهلية ثم توالى صدور أكثر من خمس عشرة جريدة بين سياسية وأدبية وفكاهية فى المدة من سنة ١٨٦٥ الى سنة ١٨٧٧ . وذلك مع أن المدارس كانت قد فتحت أبوابها للتعليم الحديث منذ عهد محمد على الكبير، والبعثات المصرية الى أوربا كانت قد توالت منذ عهده أيضا، فأخرجت لمصر علماء شاهدوا الصحافة فى أوربا وعرفوا قيمتها فى تربية الجمهور ولكن تفسير هذا الجمود سهل وهو يرجع إلى أمرين: الأول أنه كان من الضرورى بعد فتح المدارس وبعث البعثات إلى أوربا أن يمضى زمن كاف لتربية نشأة حديثة تعيش الصحف من اقبالها عليها، والثانى أن المدة ما بين سنة ١٨٦٣ وسنة ١٨٨٧ فيها حركة فكرية اتصلت بالحركة الأولى فقويت الحاجة إلى الصحافة وظهر حينئذ عبدالله النديم بجريدته «التنكيت والتبكيت» ثم بجريدته «الطائف» فقربت نظارة ذلك العهد جريدته هذه الأخيرة حتى قررت أن تخصها بتدوين أعمال مجالس النواب دون الوقائع المصرية .

وخمدت الحركة الفكرية بعض الشيء على أثر النتيجة التي انتهت اليها الحوادث العرابية، ولكن هذا الخمود لم يكن إلا وقتيا، لأنها عادت بعد سنوات قليلة فهبت من مرقدها، وهبت الصحافة معها. وكانت هبة الصحافة في هذه المرة أشد قوة وأوسع ميدانا. وكان من رجالها والمغفور له السيد علي يوسف باشا شيخ الصحافة الأول صاحب المؤيد. أول صحيفة يومية سياسية مصرية صميمة، ومصطفى كامل باشا صاحب اللواء. وأحمد لطفي السيد باشا مدير الجريدة. والمرحومون محمد بك فريد والشيخ عبدالعزيز جاويش مديرا اللواء فالشعب. وسليم بك تقلا صاحب الأهرام. والدكتور فارس نمر أحد أصحاب المقطم. والدكتور يعقوب صروف أحد أصحاب المقتطف. وجورجي بك زيدان صاحب الهلال.

وكانت لكل واحد من هؤلاء الرجال آراء يخالف فيها الآخر، وليس المقام مقام استعراض هذه الآراء، ولكني أقول إن المناقشة الحادة والتي كانت تصل في كثير من الأحيان إلى أقصى حدود العنف بين هؤلاء الرجال وصحفهم، هي التي ساعدت في وقتها على تكوين الرأي العام، وساعدت في الوقت نفسه على أن تخطو الصحافة خطوة جديدة في سيرها إلى الأمام.

وجاءت بعد هذا الحركة الفكرية القوية التي هبت في سنة ١٩١٨

والسنين التى تلتها فخطت الصحافة خطوة أخرى ، بل خطوات ، وظهرت قوتها جلية فى توجيه الرأى العام ، وفى زيادة عدد الصحف وعدد قرائها وتنوعها وسبقها للصحف الأوروبية عدا انجلترا وأمريكا .

الصحافة الهازلة والكاريكاتيرية

عرفت مصر منذ القرن الماضى، الصحافة الهازلة والكاريكاتيرية مقتبسة ذلك عن الصحف الأجنبية، وبخاصة الفرنسية.

ومن أوائل ماصدر فى هذا الصدد، جريدة «أبو نظارة» التى وسعت شهرتها — البلاد التركية والفارسية — إلى جانب مصر وجاراتها العربية. كانت جريدة الخاصة والعامة، وكانت روحها مصرية بلدية حرة. أنشأها يعقوب رفائيل صنوع الصحفى اليهودى الهزلى بالاشارة الى نضارته الزرقاء التى سماه العامة بها، وكان مدرسا للموسيقى والرسم واللغتين الايطالية والفرنسيه. وكان ممثلا، وكان ممن يحضرون مجالس السيد جمال الدين الأفغانى.

وكان صاحب أسلوب ونكتة ونقد لاذع صريح مرير، وكان يصدرها فى أربع صفحات حافلة بالأدب الرفيع والوضيع والأزجال والمحاورات والمداورات، وبرسوم المحرر نفسه إذ تعلم التصوير والرسم فى إيطاليا.

وكان يترجم بعض نكاته المصرية الى الفرنسية.

ولغلوه فى النقد والتجريح لكبار رجال الدولة والأجانب، صادرت الحكومة جريدته ونفته الى باريس، وهناك لبث يوالى

صدورها إلى ١٩١٢ . أى ٣٤ سنة ، أى الى وفاته . وكان دخولها مصر ممنوعا فكانت تدخلها باسم « أبو زمارة » ثم باسم « أبو صفارة » ثم « الحاوى » أما مبدؤها فهو « الحاوى الكاوى ، اللى يطلع من البحر الداوى ، عجايب النكت للكسلان والغاوى ، ويرمى الغشاش فى الجب الهاوى » .

وعرفت مصر « حمارة منيتى » والسيف والمسامير ، والمسامرات ، وخيال الظل ، والكشكول ، والمسرح ، وروزاليوسف ، وآخر ساعة ، والصحف الأخيرة صحف صدرت فى أول أمرها كاريكاتيرية ناقدة جريئة .

أما الصور الهزلية فكانت معروفة من عهد فراعنة المصريين ، أى قبل ثلاثة آلاف سنة . فقد عنى قدماء المصريين بتصوير الحالات النفسية ، ولقد صوروا « ست » فى صورة وحش وسموه ، « ست الملعون » لأنه قتل أخاه أوزيس وألقى بجثته فى النيل كما قتل أخته ومثل بجثتها شر تمثيل ، كما صوروا أوزيس فى صورة (قطة) .

وتفنن قدماء المصريين فى تصوير عظمائهم بأوجه حيوانات صغيرة وكبيرة جميلة وقبيحة بحسب اخلاقهم وميولهم وطباعهم ونفسياتهم

وكانت صور قدماء المصريين حافـلة بالتشنيع على رجال الكهنوت كما امتازت بتصوير الأسرى وتصوير نفسياتهم على

وجوههم . ومعبد (أبو سفبل) بين أسوان ووادى حلفا يحتوى من جانبيه على صور كاريكاتورية مدهشة يقول الفنيون إن الهزل فيها وخاصة فى إبراز الشفاه والأنوف والكآبة من ابدع ما وفق اليه الكاريكاتيريرن .

وكان قدماء المصريين يمثلون - بالتصوير الهزلى - اوت والميزان والصراط ومن ثقلت موازينه ومن خفت ولا تزال هذه الصور فى معابدهم .

وأخــذ الأغريق فن التصوير الهزلى عن قدماء المصريين فاستعملوه - أولا - فى الآثار والأنتيكات ، واستعملوه كثيرا فى التشفيع على الآلهة ، وعلت فى هذا شهرة مصورهم انتفيل الذى خلق من خياله شخصا جعله رمزا ثابتا سماه (جول ليس) أى (خنزير) كما هو الحال فى شخص جحا وجون بول !!

ويقال إن الفرس كانوا قبل ألف سنة يحملون صورا هزلية على الأمتعة الخزفية والمنسوجات ، ولكن لم يبق منها شىء يدل على الصور الكاريكاتورية فى ذلك الزمن ، ولم يحدثنا العرب عن غير صور قصور الملوك ، كما أن الصور الكاريكاتوريه كانت على أمتعة الشعب الرومانى ولكنها ذهبت لأن الرومانيين والاغريق لم يحافظوا إلا على الصور الدينية والتاريخية العليا ، ولم تكن لهم صحافة تبق

مجاميعها للاجيال المتعاقبة، وفى وصف تلك الأمتعة يقول عبده ابن الطبيب .

حتى اتكأنا على فرش يزينهـــا

من جيــد الرقم أزواج تهاويل

فيها الدجاج وفيها الأسد مخدرة

من كل شيء يرى فيها تماثيــل

وليس فى وسعنا الرجوع إلى الكتب العربية من مؤلفات القدماء. وهذه الكتب العربية لم تعرف الا فى زمن الاسلام وكان المسلمون يحرمون التصوير لأنه يذكر الناس بالوثنية ، ولو لم يكن معروفا فى الجاهلية مانهى عنه الرسول عليه الصلاة والسلام .

ولكن العرب لم يعدموا وسيلة للتعبير عن أفكارهم الكاريكاتورية بالكتابة فى النثر والنظم كقول الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ولو كان هذا مصورا ، أو لو أن مصورا رسم رجلا على هيئة وعل ينطح صخرة فخدع احد قرنيه لكانت من أجمل الصور ولا سيما

حين يكون الرجل المرسوم من عظماء القوم (١) .

وفى ديوان الحماسة الذى جمعه أبو تمام فى شعر الجاهلية والاسلام باب للهجاء فيه أعاجيب الخيالات التى لو صورت لكانت من ابدع التحف ، وهل صورة كاريكاتورية أدعى للضحك مما فى قول القائل

* * * * * * *

الأنف بالعرض والعينان بالطول

وفى غير الحماسة من كتب الأدب كثير لا يحصى ، نذكر منه قول حماد عجرد فى بشار

* * * * * * فكأنه

قرد يقهقه أو عجوز تلطم

وقول جرير فى أحد الشعراء يضعه بين امه وأبيه .

. . . .

فالجحش بين حمارة وحمار

وقوله فى هجاء بنى تغلب قوم الاخطل

وإذا وضعت أباك فى ميزانهم

قفزت حديدته اليك فعالا

---

(١) المحاضرات الصحفية فى ٩٣٦

ومن الصور البديعة ما وصف به ابن الرومي رجلا أحدب قال :

قصرت أخادعه وطال قذاله

فــكأنه متربص أن يصفعا

وكأنمــا قد ذاق أول صفعة

وأحس ثانية لهــا فتجمعا

ومن الملوك والحكام من أحب التصوير الكاريكاتيرى ومنهم من غضب عليه ، كلويس السادس عشر . وفى ايطاليا برع الرسامون الكاريكاتيريون وفى انجلترا تجد رسوم الكاريكاتورى هوجارت رواجا كبيراً . وبدأ الكاريكاتيرى فى أمريكا : هون آرت .

صحفيو الرعيل الأول

كان بين صحفي الرعيل الأول فى مصر، نفر من «كتبة العرائض» وصغار الأزهريين الذين تركوا الأزهر والعلم فى سبيل الرزق، فكانوا يسودون الصفحات، ويكتبون الغث والسمين، والحق والهراء، وكان أجرهم على هذا قروشا أو ملليمات.

ولهم نظائر فى أوربا ذاتها. ففى فرنسا قالوا إن القصصى الكبير اسكندر ديماس كان يدير معملا لصنع الروايات. مستخدما فيه شبانا يعهد اليهم ديماس فى إعداد «البضاعة» التاريخية، وفى إيطاليا نفر من هـذا الصنف. وقد عرفت مصر فيمن عرفت الشيخ الشربتلى الذى ظل اسمه يرن فى جوانب المجتمع القديم زهاء ربع قرن ككاتب لبق وصحفى قدير له مكانته وله رشاقة أسلوبه وتبويبه فقد كان يشرف على تحرير ماينوف على عشر صحف مابين يومية وأسبوعية، وكانت قهوة (العلم) بميدان باب الخلق فى ذلك الحين يجتمع كتاب مصر وصحفيها وكان الشيخ الشربتلى يتخذها مكانه المختار، فتجده هناك منذ الصباح الباكر يحمل تحت إبطه محبرته النحاسية وأوراق تحريره وأقلامه فى انتظار أصحاب الصحف

وكانت طريقة اتفاقهم معه من أفكه ما يروى ، إذ كان يبادر بسؤال محدثه عن نوع الكتابة التي يريدها ، هل هى من النوع العادى أم المتوسط أم الفاخر ؟

أما الأول فمن نوع وأسلوب المؤيد واللواء وهذا ثمن تحريره خمسة قروش للعمود الواحد . والثانى من أسلوب المرحوم الامام الشيخ محمد عبده والسيد توفيق البكرى وهذا بعشرة قروش . أما النوع الفاخر فيشبه كتابات الجاحظ والهمذانى وهذا لا يقبل التحرير به الا بخمسة عشر قرشاً .

ومن الفكاهات المستملحة عنه انه كتب ما ينوف عن عشر مقالات عن (السرطان السياسى) كان يتحدث فيها عن مجاهل أفريقيا وعادات سكانها وعن الهنود الحمر وشذوذ طباعهم فكان يلفق الحوادث ويرتب وقائعها ترتيبا قصصيا حتى أنه يخيل اليك أنه زار هذه المناطق ودرسها دراسة وافية .

واحتاج فى ذات يوم لأن يملأ نهراً من صحيفة يومية كان يحررها فبدأ يكتب خبر حريق حدث فى جهة كذا وبالغ فى الوصف وتقدير الخسائر وأثنى على رجال البوليس والمطافىء فى مكافحة النيران وبعد أن جمع المقال عاد عمال المطبعة يلحون عليه فى تكملة أسطر العمود . فأتمه على الوجه التالى :

وبعد كتابة ما تقدم أبلغنا أنه لا صحة لما ذكرنا . فحمداً لله على أنه لطف بعباده .

السجع فى الصحف

لما كان « السجع » هو اللون الأدبى السائد فى المقـــالات والمؤلفات الأدبية ، الى أوائل القرن الحالى ، فقد انتقل السجع إلى الصحافة فعمدت معظم الصحف إلى اختيار العناوين «المسجوعة» لا لمقالاتها الأدبية بل للسياسة وأخبار الأقاليم والدواوين . من ذلك أن طلبة كلية الحقوق أضربوا عن الدراسة فى إحدى المناسبات فنشرت إحدى الصحف الخبر تحت عنوان : « التمرد والعقوق، بين طلبة الحقوق »

ووقعت بعض جرائم فى بنها،فصارت إحدى الصحف تنشرها تحت عنوان : « الفوضى والخلل ، فى بنها العسل » !.

وحدث أن تكاثرت حوادث الاصطدام بمركبات الترام ، فنشر الخبر بعنوان : جاى . . . جاى من حوادث الترامواى » ! . .

وكانت احدى الصحف تنشر أخبار « الباب العالى » أى أخبار

سراى يلدز ، وذلك قبل تحرر مصر من النفوذ التركى فصارت تنشر الأخبار تحت عنوان : « الجواهر واللآلى فى أخبار الباب العالى » !

وعتبت إحدى الصحف على زميله لها لأنها لم تجاملها فى مناسبة ما ، فكتبت مقالا بعنوان : « الليالى من الزمان حبالى ، أين ذهبت حقوق الزمالة » ! .

أما المؤلفات الأدبية ، فكان يتحتم على مؤلفها أن يختار لها عنوانا « مسجوعا » والا سقطت قيمتها فى نظر « الكتبى » الذى يبيعها ، فيمتنع عن عرضها !

ولذلك كانت معظم الكتب التى أصدرتها المطابع فى ذلك الحين ، تحمل عناوين مسجوعة تنطوى على مفارقات طريفة . . . وبخاصة إذا أراد المؤلف اختيار عنوان لكتابه ، يدمج فيه اسمه كمؤلف . كما حدث للأديب المعروف « فارس الشدياق » الذى لم يجد عنوانا لكتابه يتفق مع اسمه سوى : « الساق على الساق ، فيما هو الفارياق ، لفارس الشدياق » . . .

واختار مؤلف آخر لكتيب صغير أصدره عنوان : « صيحة الديك ، للسيد عبد اللطيف أبى فريك » . . . وأغلب الظن أن المؤلف ، لو كان يلقب باسم آخر ، لجاء كتابه بعنوان آخر ! . .

ويضيق بنا المقام إذا ذكرنا ما تعيه الذاكرة من أسماء أمثال هذه العناوين، ويكفى أن يعرف القراء أن فى دار الكتب المصرية وحدها نحو ١٢٠ الف كتاب جميع عناوينها مسجوعة .

عصر المبارزات والصحافة

رافق عصر المبارزات ، أو عصر الفروسية الفردية ، عصر الصحافة ، فاذا نشر كاتب مقالا فى أوربا ، طلب المعتدى عليه فى فى المقال ، مبارزة خصمة . وقد حدث فى سنة ١٩٠٧ أن نشرت صحف باريس ، التى كانت تعنى عناية خاصة بحوادث المبارزات ، خبراً عن مصر ، وضعت له عناوين مثيرة كهذا العنوان : «مبارزة على الطريقة الباريسية فى القاهرة» ، وكان بطلا هذا الحادث فى مصر «مستر رودى» ، الصحفى الأيرلندى ، ونشأت بك . أما الأول فكان يحرر بجريدة اللواء الانجليزية التى كانت تصدر باسم «اجبشيان ستاندارد» وكان يحمل حملات شعواء ليس فقط على الانجليز بل أيضا على لفيف من المصريين . وأما «نشأت بك» ، فهو الآن حسن نشأت باشا ، الغنى عن التعريف . وقد تبادل الخصمان رصاصتين فلم يصب

أحدهما الآخر ، والصحف الباريسية التى نشرت الخبر بكثير من التفاصيل ، أسفت لأن هذه المبارزة انتهت على هذا الشكل السليم !

وبعد الثورة المصرية التى أعقبت الحرب العالمية الأولى ، صدرت فى مصر جرائد عديدة باللغة الفرنسية ، بينها جريدة « لسبوار » لسان حال الوفد المصرى . وكانت تظهر فيها مقالات بتوقيع مستعار ونشرت مقالة ذات مرة عدها الصحفى الفرنسى « بوندفو » محرر « جرنال دى كير » مهينة له ، فدعا للمبارزة صاحب التوقيع المستعار ، وبرز الأستاذ دومانى قائلا إنه يحل محل الكاتب المجهول الذى لا يريد أن يظهر شخصيته ، وكان هو صاحب تلك المقالات وصاحب التوقيع المستعار . واختار الأستاذ دومانى شاهديه وهما الأستاذ « جوزى كانزى » صاحب مجلة « ليجبت نوفيل » والأستاذ حبيب جاماتى ، فاجتمعا بشاهدى الصحفى بوندفو ، وهما الأستاذ « بيزيا » المدرس بمدارس الحكومة المصرية ، وشخص آخر غاب عنا اسمه . وتم الاتفاق على أن تكون المبارزة بالسيف . ولكن « أولاد الحلال » تدخلوا فى الأمر — كما هدد البوليس بالتدخل فيه — وتم الصلح بين الخصمين على يد الشهود .

ولم يكن الأستاذ كانزى ، أحد شاهدى الأستاذ دومانى ، حديث العهد بحوادث المبارزة ، فقد نشب خلاف صحفى بينه وبين

الأستاذ « ليون كاسترو » صاحب جريدة « لاليبرتيه » في ذلك الوقت أيضا ، فدعاه الى المبارزة ، والتقى الخصمان في صحراء مصر الجديدة ، وأصيب الأستاذ كاسترو بجرح في ذراعه اليمنى ، وسلم الشرف الرفيع من الأذى !

عزومة

في خلال الثورة المصرية ، قامت بعض السيدات بالاحتجاج لدى دار « المندوب السامى على اعتقال الزعماء ولم يرق اشتراك المرأة في الحركة السياسية أحد أصحاب المجلات المصورة فكتب مقالا ملأه بالطعن والسخرية و « التنكيت » . .

وثار أحد الشبان ، من أقارب إحدى السيدات اللاتي جاء ذكرهن في المقال ، وكان على معرفة وثيقة بصاحب المجلة ، فدعاه الى تناول الشاى بمحل « صولت » — وكان إذ ذاك بجوار مبنى شيكوريل — ولبى الصحفي الدعوة ، ولكنه لم يكد يبدأ بتناول الشاى ، حتى انهال عليه الشاب ضربا ولو لم يخف لانقاذه بعض الحاضرين ، لقضى عليه !.

زيارة

وحدث أن تناول أحد الصحفيين، كبيرا معروفا، وأخذ عليه اشتراكه فى بعض الحركات السياسية، ثم تتابعت حملاته عليه بما يليق، وبما لا يليق..

وأشار بعض كبار المحامين على « الكبير » أن يلجأ إلى القضاء ولكنه رفض، وأبى الا أن يأخذ ثأره بيده.

وفى ذات يوم قصد الكبير الى ادارة الجريدة واقتحم مكتب المحرر الذى هب للقائه مرحبا وقد توهم انه جاء ليسترضيه، وإذا بالكبير يخرج من معطفه «كرباجا» وينهال به على الصحفى، ولم يتركه الا بعد أن أشبعه ضربا.. ثم غادر دار الجريدة دون أن يجسر أحد على التعرض له... ومن ذلك الوقت كف الصحفى عن التعرض للكبير بالخير أو الشر...!

نكتة قاتلة

وعرف أحد محررى الصحف الهزلية، التى كانت كثيرة العدد فى ذلك الحين، بشدة وطأته على بعض الأعيان المعروفين، وتناول أدق شؤونهم الخاصة فى معرض التنكيت.

وحدث أن كتب « نكتة » جارحة ماسة بكرامة أحد أعيان

الصعيد ، ولم تمض أيام حتى تربص أحد « الفتوات » للصحفى ، وفاجأه بضربة قاضية على رأسه ، فشجها وسقط جثة هامدة ، وقد اعتقل القاتل والوجيه الذى اتهم بتحريضه ، وقضى على الأول بالاعدام وعلى الثانى بالأشغال الشاقة ١٥ سنة ..

حصار

وعمد أحد أصحاب الصحف الهزلية إلى « التنكيت » على شاب من أهالى الاسكندرية ، هو نجل صاحب إحدى شركات النقل .

وحدث أن سافر صاحب الجريدة إلى الاسكندرية ونزل فى أحد الفنادق وعلم الشاب بنبأ وصوله ، وفى ذات ليلة حاصر الفندق زهاء ثلاثمائة عامل تسلحوا بالهراوات ، وطالبوا بتسليم الصحفى اليهم ...

وخشى صاحب الفندق مغبة الأمر ، فأوعز إلى الصحفى أن يهرب من سطح الفندق إلى سطح المنزل المجاور ، وبهذه الوسيلة نجا من موت محقق ، وعاد إلى القاهرة فى أول قطار ..

مقلب

وحدث أن منح أحد الوجهاء رتبة « الباشوية » فانتهز أحد

أصحاب الصحف الهزلية ، هذه الفرصة ، ونشر للوجيه صورة كبيرة ومعها مقال كله مديح واطراء فى شخصه الكريم ، وذلك ليظفر منه باشتراك كان الصحفى يقدره بخمسين جنيها على الاقل

وعمد أحد المحررين الخبثاء إلى تغيير المقال ، بمقال آخر كله هجو وسب وتشنيع ، وطبع المقال مع الصورة دون أن يدرى صاحب الجريدة شيئا ، اذ كان قلما يهتم بمطالعة جريدته . . .

ولم يكد ينتهى طبع العدد ، حتى هرع صاحب الجريدة إلى دار الوجيه ومعه خمس نسخ أوفدها اليه مع بعض الخدم وجلس فى الصالون يترقب الجزاء . . . ولم يطل انتظاره . . . فقد دهمه أربعة من الخدم الاشداء وأوسعوه ضربا وتهشيما وألقوا به فى الطريق . . .

فى عماد الدين

وعند ما بدأت النهضة التمثيلية وامتلأ شارع عماد الدين بالفرق التمثيلية والغنائية وغيرها ، قامت المعارك الطاحنة بين النقاد والفنانين والفنانات . . .

فكلما قسا أحد النقاد على ممثلة أو راقصة أو مطربة ... عمدت إلى استئجار أحد « البلطجية » فيوسع الناقد ضربا حتى اضطر بعض

النقاد إلى حمل السلاح للدفاع عن أنفسهم . . . على أن بعض الفنانات كن يأخذن ثأرهن بأيديهن ، دون حاجة إلى استئجار « البلطجية » أو الفتوات . . . من ذلك أن فنانة معروفة ، فاجأت أحد النقاد وهو يجلس فى « قهوة الفن » بقولها :

ـ أنا جايبه لك هدية يا أستاذ ، ثم فتحت حقيبة يدها وأخرجت منها « فردة حذاء » وانهالت بها عليه .

عريان افندى

وهاجم أحد النقاد راقصة أجنبية ، واشتدت وطأة حملته عليها فدبرت له مكيدة ؛ واستدرجته إلى الصالة التى تعمل بها ، حتى إذا أخذ مكانه ، أحاطت به مع بعض زميلاتها ومزقن ملابسه حتى خرج من الصالة شبه عار . . وقد عرف بين الزملاء فيما بعد باسم « عريان افندى » ! . .

هجوم

وعرف أحد النقاد بصداقته لفنانة كبيرة ، غير انهما اختلفا ، وإذا بالناقد يهاجمها فى مجلته مهاجمة مقذعة بعد أن كان يرفعها بكتاباته إلى السماء السابعة .

وفى ذات يوم ، بينما كان الناقد يسير فى الطريق ، إذا بالفنانة تخلع حذاءها وتهب للقائه ، فهرب منها ، لكنها ركضت خلفه حتى أدركته أمام قسم الأزبكية وأعملت فيه حذاءها . .

وقد رفع الناقد « المضروب » قضية على الفنانة ، لكن المحكمة قضت ببراءتها إذ أعدت ضربها للناقد من باب الدفاع عن النفس

صفحات من الحوار السياسى

نذكر من ذلك أنه فى ١٩ ابريل سنة ١٩٢٣ صدر الدستور المصرى فى عهد وزارة يحيى ابراهيم باشا . وأخذت البلاد تستعد لاجراء الانتخابات لأول مجلس نيابى فى تاريخها الحديث .

وقد تمت هذه الانتخابات وعقد البرلمان المصرى طبقا للدستور الجديد لأول مرة فى يوم السبت ١٥ مارس سنة ١٩٢٤ . وكانت معركة الانتخابات حامية . وكانت الخصومة شديدة قبيل المعركة الانتخابية بين سعد زغلول باشا وعبدالخالق ثروت باشا . فوجه ثروت باشا كتابا إلى سعد باشا فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢٣ ، استهله بالعبارة الآتية :

« السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فما زلتم بعد عودتكم إلى مصر توجهون المطاعن القاسية إلى شخص تعلمون فيما بينكم وبين أنفسكم

وبينكم وبين ربكم من وطنيته ماتعلمون . لستم فرداً عاديا فتسوغ له الخصومة ماتسوغه لغير المسئولين . فلقد رأيتكم منذ عودتكم لاترون شيئا مما جرى فى غيبتكم يستحق الرضا ويوجب الاغتباط »

وبعد أن استعرض ثروت باشا الكثير من المواقف السياسية التى وقفها لخير البلاد ومنهـــا موقفه فى الحصول على تصريح ٢٨ فبراير قال :

« لا أخالكم نسيتم زيارتكم لى بمنزلى مع زملائكم أعضاء الوفد إثر قبول استقاله رشدى باشا واعتذارى النهائى لجلالة الملك عن عدم قبول الوزارة مالم يؤذن للوفد بالسفر الى الخارج ، وما وجهتموه لى إذ ذاك من عبارات التقدير والثناء » .

إلى أن قال : « نحن الآن أحوج مانكون إلى أن يقف الزعماء فى هذه البلاد المغلوبة على أمرها من قادتها قبل خصومها ، موقف الناصح ، فكفانا تناحراً ، وكفانا تهاتراً .

« لقد اعتذرت لكثيرين ممن دعونى للخطابة رغبة فى المحافظة على بقية وحدة تفككت وتجنبا لزيادة الفتنة والانقسام »

« وإن عجبت لشىء ، فعجب أن أراكم — ولم أنافسكم المجد يوما من الأيام — تجعلون همكم أن تنالوا من وطنيتى . وما كنت إلا جنديا من جنود الوطن . لم أقصد إلا للعمل الخالص خدمة بلادى

غير متطلع من وراء ذلك إلى مجد أناله أو فخار أكتسبه . ولقد طالما صرحت بأن لافضل لى فيما أستوجب عليه شكراً أو جزاء ، وإنما يرجع الفضل فيه الى توفيق الله تعالى ، وتعضيد جلالة مليك البلاد واجتماع كلمة الأمة » .

وطلب ثروت باشا فى آخر كتابه أن يحتكم هو وسعد باشا فى أوجه الخلاف التى بينهما إلى مجلس من الأمراء يضمون اليه رؤساء الوزارات والوزراء السابقين وأعضاء الهيئات النيابية وغيرهم من أولى الرأى فى البلاد . يدلى فيه كل منهما بحجته ويبسط ما لديه من الأدلة والمستندات .

ثم قال : وانى لأرجو — وأنتم لاتريدون إلا خير البلاد — ألا تجدوا ما يمنعكم من قبول هذا الاقتراح الذى يمهد سبيل الوفاق ولو تام ان شاء الله » .

رد سعد باشا

وقد رد سعد باشا على خطاب ثروت باشا فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٣ . وجاء فى رده مايلى :

« حمل الى حضرة أمين بك واصف خطابا منكم تتبرأون فيه من المطاعن التى وجهتها اليكم ؛ وتطلبون الاحتكام الى حضرات

أصحاب السمو الأمراء ومن يضمونهم من الوزراء السابقين وغيرهم من أهل الآراء . . . وأفيدكم أن الأمة تحت رياسة مليكها العادل بعد أن تليت أوراق اتهامكم ، واستجوبت شهود أفعالكم وأقوالكم وسمعت دفاعكم ودفاع أنصاركم حكمت ضدكم ، وأعلنت هذا الحكم فى جرائدها ومحافلها ، ثم نفذته باسقاطكم من الوزارة وإبعادكم عن النيابة ، فسقطتم من ذلك المنصب السامى ، وأبعدتم عن هذا الشرف الرفيع ، فلم يمكن لى بعد هذا الحـــكم الصادر من مصدر كل سلطة تحت أسمى رئاسة : أن أتنازل عنه لأقف معكم فى مستوى واحد ، وأصحاب السمو الأمراء أنفسهم يعرفون أن هذا القضاء فوق كل بحث وكل نقض وابرام .

ثم استطرد سعد باشا فقال : « ماأنت بزعيم فى الأمة ، ولا رئيس حزب فيها ، حتى تكون هناك أهمية لخلافك أو وفاقك . ولكنك فرد اختبرته السلطة الانجليزية فوجدت فيه آلة صالحة لترويج سياستها ضد بلاده فسلطته عليها فأذاقها عذاب الهون » .

وختم خطابه بما يلى :

« وأصبحت بعد ذلك فردا لا يهم منك الا التحذير من ماضيك والاعتبار بحاضرك والاحتياط لقابلك .

« أمامك المنابر العامة فأعلها إن وجدت سميعا . والجرائد السيارة

فاكتب بها إن وجدت قارئا ، والنوادى الخاصة فتحدث اليها إن وجدت نصيرا .

« أما التحاكم إلى الأمراء ، فشرف ، ولكن لايحوزه الا الاكفاء » .

تعليق الصحف على ما تقدم

وكتبت جريدة « السياسة » حينئذ تعلق على رد سعد باشا بقولها : « أدر نظارك إلى سعد زغلول يخاصمه عبدالخالق ثروت الى الأمراء من أهل البيت الحاكم فى مصر ليفصلوا بينهما فى أمور معينة فيتعالى سعد عن الخصومة » .

ثم قالت الجريدة فى فقرة أخرى : « وبعد ، فقد كان لسعد مندوحة عن أن يركب متن الحماقة والشطط وأن يدرع بهذه الدروع ، فقد كان يستطيع أن يجيب ثروت إلى ما طلب قاصراً استكباره على طالب الاحتكام . ولكن سعداً لايستطيع أن ينطق الا حمقاً ولن يستطيع أن يفاوض الا فى جريمة . ولن يستطيع أن يعتبر هذا البلد بما فيه الا موضعاً لغطرسته وكبريائه وفحشه وفجوره » .

وكتبت « البلاغ » بتاريخ ٢ يناير سنة ١٩٢٤ ما يلى : « يعرف صاحب الدولة عبدالخالق ثروت باشا أن الأمة مجتمعة تحت رئاسة جلالة

الملك حكمت عليه حكما لا يقبل النقض والابرام ، ولكنه حاول أن ينسى ذلك وأن يفر من هذا الحكم فكتب فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢٣ خطابا إلى معالى الرئيس الجليل سعد باشا شحنه بالأكاذيب والمغالطات ، وطلب فيه أن يحتكم معه إلى مجلس من الأمراء ورؤساء الوزارات والوزراء السابقين والهيئات النيابية وغيرهم من أولى الرأى ، أى أن ثروت باشا طلب حكما جديدا غير الحكم الذى أصدرته الأمة ووافق عليه جلالة الملك فنفذه ، وبديهى أنه ما كان لسعد باشا أن يجيبه إلى هذه الرغبة » .

وقالت الجريدة نفسها فى عدد آخر :

« فى أى شىء يريد ثروت باشا أن يحتكم إلى الأمراء والوزراء وممثلى الهيئات النيابية ؟ . . أفى ائتماره مع السلطة الانجليزية على نفى سعد وصحبه ، توطئة لمجهود آخر يبذل لايجاد العلاقات بين مصر وانجلترا . . . أم فى خديعة الناس وكذبه على الجمهور ، إذ يعلن تارة أنه لا يؤلف وزارة . وتارة أخرى أن له شروطا فى تأليفها ، ثم يظهر أنه كاذب . أو يريد أن يحتكم فى خروجه على الاجماع مرة ثانية ، وإنكاره على الأمة حق وضع الدستور بواسطة جمعية وطنية تنتخبها الأمة انتخابا حرا ، وذهابه فى الانكار إلى حد اتهامها بالثورة بسبب هذا الطلب البرىء ؟ » .

« حقاً إنه لغرور من ثروت باشا ، وحقاً إذن لم يكن لهـــذا الغرور إلا جواب واحد هو الاحتقار » .

خطبة صدقى باشا والتعليق عليها

وكانت المعركة الانتخابية لبرلمان سنة ٩٢٤ على أشدها — كما قدمنا — وقد ألقى معالى اسماعيل صدقى باشا خطابا على المندوبين الثلاثيين بدائرة سند بسط الانتخابية قال فيه :

« إنى أتقدم إلى البرلمان لأننى من صميم أهل المنطقة ، ولا أستند فى ترشيحى إلى مايسمونه بالتضحية ، لأننى أعتبر أن مقاعد البرلمان ليست بالجوائز أو المكافآت توزع على من ذاق الحبس والتشريد ، بل هى مراكز الحكم والرأى تصلح البلاد أو تتدهور بحسب من يشغلونها ، على أن الألم فى سبيل الوطن ليس من التضحية فى شىء إذا هو اقترن بارتياح الضمير وبشعور المرء أن عمله صادف تقديراً من أهل بلاده — وأن نفيه الى مالطة كان مثارا للذة معنوية كبرى .

« لقد تكلم ســـعد باشا كثيراً بشأن تصريح ٢٨ فبراير ،

ولكنه أهمل بعض الشيء المفيد فيه ، فماذا كان يريد معاليه أن نفعله بمصر بعد قطع المفاوضات وبعد نفيه ؟؟ أكان الواجب في رأيه أن نلبس الحداد ، وأن نقبع في دورنا انتظاراً للفرج ، إذ لا يصح ، والوكيل غائب ، أن يعمل أحد لاستقلال البلاد ، أو أن نعمل مستمرين في الجهاد لخلاص البلاد » .

وقد ردت عليه جريدة « البلاغ » بمقال جاء فيه .

« أما صدقي باشا فقد حانت له فرصة الكلام يوم الثلاثاء الماضي أمام بعض أهالي الدائرة التي هو مرشح فيها فماذا قال ؟

« لم يكن في استطاعته أن يفر من التهمة كما فر منها ثروت باشا لأنه متقدم للانتخابات ويجب عليه أن يسعى بكل الطرق لتبديد التهم التي تقوم ضده في أذهان المندوبين ، وقد علم أنه اتهم بتهمة الوثيقة السرية ، وأن المندوبين الذين يخاطبهم عرفوا هذه التهمة واستبشعوها فليس يفيده أن يفر أمامهم منها ، وإنما يحتم عليه الواجب أن يقول لهم كلمته فيها ، وهذا هو الذي فعله » .

من الشيخ شاويش الى سعيد باشا

وكتب المرحوم الشيخ عبدالعزيز جاويش كتابا مفتوحا إلى المرحوم محمد سعيد باشا نشرته « الأهرام » في ٩ يناير سنة ١٩٢٤ ،

وكانت معركة الانتخابات للبرلمان قد حمى وطيسها جاء فيه :

« تشهد الأمة فى هذه الأيام أعجوبة من أعاجيب التخاصم والتحاكم ، أردنا أن نتحاكم إلى المندوبين الثلاثيفيين فكان مثلنا فى ذلك مثل خصمين عمد كل منهما إلى محكمة خاصة به ثم سرد عليها ماشاء من مدعياته وأدلته ، يرمى خصمه بما وسعته جعبته من سهام التهم والمثالب ، ثم يريد كل منا مع ذلك أن يحق له القول على خصمه ولم يضمهما بعد مجلس ولا توحدت لهما محكمة ، أو ليس هذا من أعاجيب التحاكم فى قوم يقولون إنهم دستوريون ؟ !

« لقد كنت - ولا زلت - بفضل الله - فى ثروتك وجاهك وضخام ألقابك ، كما كنت أنا ولا أزال - بحمد الله - فى قناعتى بالكفاف فى كل شيء ، لا نطمع من كراسى البرلمان إلى جلال نريده أو مال نستزيده ، أو جاه نستفيده ، وإنما كل همنا ، كما أقول أنا وتقول أنت ، أن نكون لوطننا خداما أمناء ، وحماة أكفاء ، وأبناء بررة أوفياء . . إذن فلم لا يضمنا مجلس نتحاكم فيه إلى المندوبين الثلاثيفيين لقسم الجمرك ، بل ويشهد ذلك غيرهم ممن يشاء من ذوى الرأى السديد والعقل الرشيد ، ثم ايدلى كل منا بما قدم لوطنه وما أخر ، فأينا حقت له الكلمة على صاحبه ، كان خليقا أن يستمتع بالثقة التى يحرزها ، ويضطلع بالأمانة التى يحملها . ذلك يوم الأربعاء

ندعوك لشهود ماسيقام فيه من الاجتماع الانتخابى فى الساعة الخامسة بمسرح الكونكورديا . فلتأت بما استطعت من أدلتك على إخلاصك لبلادك مبسوط اليدين بما قدمت من الأعمال فى وزارتيك وفيما وليهما من الأعوام » .

من هو الشيخ شاويش ؟

وكتبت جريدة البلاغ بهذا العنوان مايلى :

« والشيخ قادر على ما لم تستطعه الأوائل . والشيخ يكره « أنا » ويحب « نحن » ، والدليل على ذلك أنه وحده هو الذى جعل نار الحرب تستمر خمسة عشر عاما فى طرابلس « وبقوته غذاها وبهمته قواها وبعين عنايته برعاها ، أما أنور ومصطفى كمال وعزيز المصرى والسنوسى وشيوخ الزوايا الأبطال ، أما الأيدى المصرية التى ذللت كل صعب فى سبيل المجاهدين ومهدت الطريق أمامهم حتى حصلوا على كل شىء من مصر ؛ ومروا بكل شىء من مصر ، أما المساعدات الأدبية والمادية التى قامت بها الأمة المصرية ، اما الهمة التى بذلتها تركيا سراً وعلانية ، كل ذلك لايعد شيئاً مذكوراً فى نظر الشيخ « أنا » بل قل لاوجود لهذا ولا أثر لأحد إلا الشيخ ، كل هذا ليقال « لا مجاهد إلا الشيخ » .

الصحافة المصرية اليوم

بلغ عدد ما صدر من الجرائد والمجلات والنشرات الدورية منذ صدور العدد الأول من جريدة « التنبيه » المونيتور التى كان يصدرها جيش الاحتلال الفرنسي فى مصر — ألفى صحيفة ، احتجب أكثرها ، وعاش أقلها على صورة اختلفت قوة وضعفا ، فليس مقروءاً ولا ذائعاً غير بضع جرائد ومجلات من الجرائد اليومية والصباحية : الأهرام والمصرى . والأساس . وصوت الأمة . والكتلة . والأخوان المسلمون . والسياسة .

ومن الجرائد المسائية : المقطم . والبلاغ والدستور . والبصير . والزمان .

ومن الصحف التى تصدر بالفرنسية صباحا : الجورنال دیجبت والبروجريه اجبسيان . وبالانجليزية الاجيبشيان ميل . والاجيبشيان غازيت . ومن المسائية : البورص اجبسيان . ولا ليبرتيه . والباترى .

وهناك صحف أجنبية تصدر على الأكثر باليونانية ، وعلى

الأقل بالإيطالية والأرمنية .

ومن الصحف الأسبوعية :

أخبار اليوم . وآخر ساعة . وروز اليوسف . والمصور . والاثنين . ومسامرات الجيب . وكلمة ونص . والنداء . والصباح . وأبو الهول . والجامعة . ورابطة الشباب . واليراع . والعالم العربى . والرسالة . والثقافة . وأخبار الدنيا . وشيخ الصحافة .

ومن الصحف القانونية : الجريدة القضائيه . والإدارة والبوليس القضائى . والمحاكم . والقضاء المصرى . والمباحث القضائيه . والدوائر القضائية . ومجلة كلية الحقوق . والقانون والاقتصاد . والتشريع . والشرائع .

ومن المجلات الشهرية : المقتطف والهلال . والمختار . والفصول والكتاب . والكاتب المصرى . وبنت النيل . والدنيا الجديدة . وأنا وأنت . والحسان . والنيل . والمصرية .

وهناك مجلات فنية ، للزراعة ، والصناعة ، وصحف للتجارة والرياضة ، وسباق الخيل .

الصحف الاقليمية المصرية

يصدر فى المديريات المصرية احدى وأربعون صحيفة اقليمية وكلها تصدر باللغة العربية منها اثنتان وعشرون جريدة فى الوجه البحرى وتسع عشرة فى الوجه القبلى . ومنها صحيفتان يوميتان احداهما فى طنطا والأخرى فى بنى سويف . ومنها ٣٥ جريدة ومجلة أسبوعية ومنها ثلاث جرائد نصف شهرية ومنها مجلة شهرية واحدة تصدر فى أسيوط وهى موزعة كالآتى :

١١ فى الغربية و٧ فى الدقهلية و ١ فى الشرقية و٢ فى البحيرة و١ فى القليوبية و ١ فى الجيزة و٣ فى بنى سويف و ٥ فى الفيوم و٣ فى المنيا و ٤ فى أسيوط و ١ فى جرجا و١ فى قنا و ١ فى أسوان .

هذا ولا توجد جرائد اقليمية فى مديرية المنوفية وهى المديرية الوحيدة التى لا يصدر بها صحف .

وظلت الصحف الاقليمية بغير سجل رسمى معترف به حتى سنة ١٩٠٩ ثم تسجلت بصفة رسمية بعد أن جدد أصحابها الإذن باصدارها

وكانت أول صحيفة اقليمية تسجلت هى صحيفة « الحرية » أسبوعية سياسية فى طنطا وكان تاريخ تسجيلها ٢٩ مارس ١٩٠٩ ؛

وتعد « الكمال » على رأس صحف الوجه البحرى ويصدرها الأستاذ نجيب يوسف وكيل الأهرام العام فى الوجه البحرى .

أما جريدة « الانذار » فهى جريدة أسبوعية يصدرها الأستاذ صادق سلامه عضو مجلس نقابة الصحفيين ومندوبها فى مؤتمر الصحافة الدولى فى سنة ١٩٤٧ ، وهى عروس صحف الأقاليم .

الفصل الثالث عشر

التشريع للمطبوعات

فى ١٣ يوليه ١٨٢٣ أمر محمد على بعدم جواز طبع أى كتاب فى المطبعة الأميرية فى بولاق — وكانت المطبعة الوحيدة — إلا إذا أذن للمؤلف ، بالطباعة .

وفى اول يناير ١٨٥٩ صدر قرار المجلس المخصوص فى عهد الوالى سعيد باشا بالشروط التى تتوافر فى إنشاء المطابع ونشر المطبوعات ثم صدر أمر تال بانشاء مكتب للمطبوعات والصحافة

وفى ٢٦ أكتوبر سنة ١٨٦٦ أمر الخديو اسماعيل بجعل مكتب الصحافة تابعا لوزارة الخارجية ، وكان يراجع ما تكتبه الصحف .

وفى ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨١ صدر قانون المطبوعات وكان مؤلفا

من ٢٣ مادة تتصل بشروط إنشاء المطابع والصحف وبحق الحكومة فى تعطيلها ومصادرتها بانذارين من وزير الداخلية أو بقرار مجلس الوزراء من غير انذار .

وفى ١٩٣٠ صدر قانون جديد للمطبوعات أما إدارة المطبوعات فهى تابعة للداخلية ، وأهم اختصاصاتها ، مراجعة طلبات الترخيص للصحف ، وتسجيل أسماء الصحفيين المقيدين فى الجدول ، وصرف الاستمارات لهم ، ومراجعة ما ينشر فى الصحف والكتب فى مصر والخارج ، ومعرفة مدى انتشارها وإطلاع الوزارات على ما يهمها من ذلك .

الفصل الرابع عشر

نقابة الصّحفيّين المصرية

منذ عشرات السنين حاول الصحفيون المصريون والمتمصرون تأليف نقابة لهم. وقد وفقوا بعض التوفيق فى إنشاء بعض النقابات الحرة التى لم تعترف بها الحكومة، أو التى لم يصدر فى شأنها قانون، وفى ١٩٤١ أصدرت وزارة حسين سرى باشا القانون رقم ١٠، بعد أن مهدت إلى ذلك بتأليف لجنة تولت إدارة شئون الصحفيين وقبولهم. وقد انتخب حضرة الشيخ المحترم الأستاذ محمود أبو الفتح أول نقيب للصحفيين فى العهد الجديد؛ وكان جبرائيل تقلا باشا صاحب الأهرام نقيبا فى عهد النقابة الحرة، ورئيسا للجنة الممهدة للقانون المشار اليه.

هذا وقد أذاعت محطة الأذاعة فى اذاعتين احداهما صباح الجمعة

٢ مايو ١٩٤٧ والأخرى مساء الأحد ٤ منه حديثين على جانب عظيم من الأهمية احدهما للشيخ المحترم الأستاذ محمود أبو الفتح والآخر للاستاذ مصطفى القشاشى سكرتير النقابة ، جاء فيهما :

حديث الأستاذ محمود أبو الفتح

أنشئت نقابة الصحفيين بموجب القانون رقم ١٠ سنة ١٩٤١ ومن أحكامه ونصوصه ألا ينضم إلى النقابة ولا يقبل بين أعضائها ممن احترفوا الصحافة من قبل أو يفكرون فى احترافها إلا من توفرت لهم خبرة فنية أومؤهلات علمية وأخلاقية . وتؤلف الجمعية العامة للنقابة ممن تتوفر فيهم هذه الشروط وتوافق على عضويتهم لجنة الجدول المؤلفة برئاسة سعادة رئيس محكمة الاستئناف وعضوية سعادة النائب العام مع مستشار آخر من المستشارين ومندوب عن وزارة الداخلية ونقيب الصحفيين .

والجمعية العامة للصحفيين هى التى تنتخب اثنى عشر عضوا يؤلف منهم مجلس النقابة . ثم ينتخب المجلس من بين أعضائه الاثنى عشر : النقيب الذى يرأس النقابة والوكيلين والسكرتير وأمين الصندوق .

وتمتاز نقابة الصحفيين بأنها تجمع بين أصحاب الصحف والمحررين وأن مجلس إدارتها يمثل كل فريق من الفريقين بنصف أعضائه .

وقد عمل الفريقان منذ إنشاء النقابة إلى الآن بروح التضامن والتآزر والتعاون ، فاستطاعت النقابة وضع لائحة لاستخدام أعضائهـا تضمنت كثيراً من المزايا التى لم ينص عليها فى لوائح وقوانين العمل الخاصه بالطوائف الأخرى ، ووضعت لائحة لتنظيم صندوق الادخار الخاص بأعضائها ، ولائحة داخلية للتنظيم الداخلى للنقابة وفروعها واستصدرت من الحكومة قانونا بربط إعانة سنوية للنقابة ، وإعانة مستقلة أخرى للادخار ، كما استصدرت قراراً آخر من الحكومة بالتنازل عن نحو ألفى متر مربع فى وسط القاهرة تبنى عليها دار خاصة للنقابة تتجاور مع مبنى نقابة المحامين ، ومبنى نادى القضاة .

وقد اشتركت النقابة وستشترك أيضا فى كثير من المؤتمرات الدولية التى عقدت فى أمريكا وفى أوروبا وفى مصر ، فرفعت اسم مصر ، ومثلت النهضة المصرية ، والصحافة المصرية أحسن تمثيل

وتناول نشاط النقابة انشاء ناد خاص بحضرات أعضائها يتردد عليه رؤساء الهيئات والأحزاب المحلية والأجنبية من أبناء البلاد ، أو من ضيوفها الذين يتوافدون عليها من الغرب والشرق ، وقام بعض حضرات الوزراء بالتحدث إلى الأعضاء فى النادى عن برامج أعمالهم فى وزاراتهم أو عن رحلاتهم ، وتتوافد جميع طبقات الأمة على النادى كذلك لسماع ما يلقى فيه من محاضرات فى مختلف نواحى

الثقافة والاجتماع والفن والأدب .

ومع أن نقابة الصحفيين لم يمض على انشائها أكثر من ست سنوات ، فقد سبقت في ميادين العمل لمصلحة أعضائها والمصلحة العامة كثيرا من النقابات التي سبقتها إلى الوجود بعشرات السنوات . على أننا مازلنا بمعاونة جميع الأعضاء ، وبفضل التضامن والتآلف بيننا جميعا نعمل لتحقيق كل ما ينشده الجميع لنقابتهم ، وما فكروا أو يفكرون فى تحقيقه من مشروعات وآمال لمصلحة المهنة وأبنائها

وإن مانلقاه من عطف وتشجيع حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم مما يضاعف نشاطنا دائما ويحقق آمالنا . فقد تفضل حفظه الله وشمل النقابة وأعضاءها بعطفه الكريم فى كثير من المناسبات . ويحظى أعضاء النقابة بشرف الدعوة الى حفلات القصر العامر . ولهم مكان ممتاز فى التشريفات الملكية . حفظ الله جلالته ذخراً للأمة والوطن .

٭٭٭

حديث الأستاذ مصطفى القشاشى

سكرتير النقابة

أشار حضرة الشيخ المحترم الأستاذ النقيب محمود أبو الفتح إلى أعمال نقابة الصحفيين وإلى أثر نادى الصحفيين فى النهضة الثقافية الاجتماعية بالاجمال . ولما كان الكثيرون يجهلون كثيرا من الأعمال التى حققتها النقابة منذ انشائها أو الأهداف التى حققها النادى المتفرع من النقابة ، نقول إن نقابة الصحفيين منذ انتخبت مجلس ادارتها الأول فى الجمعية العامة الأولى التى عقدت برئاسة سعادة يس أحمد باشا فى قاعة محكمة الاستئناف الأهلية جعلت شعارها العمل لمصلحة الصحف ولمصلحة أعضاء الأسرة الصحافية على اختلاف ألوانهم الحزبية والسياسية ، فاستطاعت النقابة أن تحقق كثيراً من أهداف ورغبات أعضائها رغم عدم الاستقرار السياسى بسبب ظروف الحرب ، وكان انصراف النقابة إلى العمل للمصلحة العامة وحدها من أسباب معاونة الوزارات المختلفة لها ، فحصلت من وزارة رفعة النحاس باشا على تنازل عن أرض تشيد عليها النقابة داراً خاصة بها وعلى امتياز باعفاء تليفونات الصحف من المحاسبة على المكالمات

الزائدة على المقرر ، كما استصدرت منها قانونا بربط الاعانة السنوية للنقابة ، وقرارا باعانة خاصة لصندوق الادخار ، وامتيازاً بتخفيض ٧٥ فى المائة من أجور السكك الحديدية للأعضاء . وأمر سعادة فؤاد سراج الدين باشا عندما كان وزيراً للداخلية بالاستيلاء على نادى قصر النيل وتسليمه إلى نقابة الصحفيين وهو النادى الحالى للنقابة .

وفى عهد وزارة المغفور له أحمد ماهر باشا اعتمد معالى مكرم عبيد باشا بصفته وزيراً للمالية إعانة خاصة للنقابة قدرها عشرة آلاف جنيه لمبنى النقابة ، وقررت وزارة المعارف مساواة أبناء الصحفيين بأبناء المدرسين فى امتيازات التعليم .

وفى عهد وزارة دولة النقراشى باشا زيدت الاعانة السنوية المقررة للنقابة والاعانة السنوية للادخار ، وتقررت إعانة سنوية خاصة من وزارة المعارف لنادى النقابة فى مصر . واعتمد عبد المجيد بدر باشا بصفته وزيراً للمالية مبلغ خمسة آلاف من الجنيهات لتكملة مبنى النقابة ، ووافق دولة النقراشى باشا كذلك على عدم التصريح باصدار صحف جديدة أو إسناد رئاسة تحرير صحف قبل استشارة النقابة مع الأخذ برأيها ، وعلى أن تشترك النقابة مع وزارة الداخلية فى تعديل قانون المطبوعات .

وعندما كان سعادة الأستاذ عبد الرحمن البيلى وزيراً للمالية اعتمد

إعانة سنوية خاصة لفرع النقابة بالأسكندرية .

هذا عن الصلة بين الحكومة والنقابة ، أما الصلة بين الصحف ومحرريها فقد بذلت النقابة ومازالت جهوداً كبيرة لتخفيف أعباء العمل عن أعضائها مع توفير جميع الوسائل الأدبية المادية للاعضاء بما يتفق وكرامة العمل الصحفي والمظهر الاجتماعي الواجب لأعضاء النقابة فى هذا العصر . فكل صحيفة ملزمة الآن نحو عضو النقابة الذى يعمل بها بأن تدفع له مرتبه الشهرى المتفق عليه مع علاوات الغلاء المقررة ، ومع نسبة قدرها اثنان ونصف فى المائة من المرتب تودع من الصحيفة باسم المحرر شهريا فى صندوق الادخار بالنقابة .

هذا وصندوق الادخار فى النقابة يؤدى لمشتركيه من الأعضاء خدمات جليلة منها قروض لمدد طويلة جداً بفوائد ٣ فى المائة فقط والأعضاء الذين طرأت عليهم ظروف أقعدتهم عن العمل تصرف لهم إعانات تتناسب مع حالتهم وظروفهم ، وجميع دخل الصندوق من الأرباح أو التبرعات يوزع على مشتركيـــه فى آخر كل عام أو يضاف إلى الأرصدة الخاصة بهم .

وفى المواسم والأعياد تقررت أيام عطلة لأعضاء النقابة فوق العطلة الأسبوعية المقررة الآن أيضاً ، وفوق مدة الأجازة المقررة ســـنوياً .

وأخذت المحاكم باقرته لائحة العمل الصحفى من صرف شهر مكافأة للمحرر عن كل سنة يقضيها بالعمل بالصحيفة .

ويهتم مجلس النقابة الآن بتقريب وجهات نظر أصحاب الصحف مع وجهات نظر المحررين فيما يتعلق بنظام المعاشات والمكافآت المقترح .

أما نادى النقابة فقد بدأ مع النقـابة صغيراً فى شقة متواضعة بعمارة ايموبيليا ثم أصبح الآن من أفخم أندية القاهرة ، وفى أظهر مكان بأكبر شارع من شوارعها ، وأعضاء النقـابة يعتزون بناديهم ويقضون فيه أوقات فراغهم .

وأعضاء الهيئات الرسمية والإجتماعية والأدبية يتوافدون على النادى لسماع مايلقى فيه بين وقت وآخر من محاضرات وأبحاث فى الأدب والإجتماع والفن .

والحفلات التى تقـام فى النادى بمنـاسبة المواسم القومية أو الأعياد الملكية يترقب الشعب إذاعتها ، حيث يشترك فيها مشاهير أهل الفن ، ويسودها النظام الكامل والتنسيق الجميل .

وكذلك الحفلات التى يقيمها النادى فى الأوبرا الملكية يتفضل حضرة صاحب الجلالة الملك ويشملها برعايته السامية ؛ وتنفد تذاكرها قبل موعدها بأسابيع .

ويقيم النادى مآدب شهرية خاصة بأعضاء النقـابة لايحضرها

سواهم ، وفى هذه الحفلات العائلية يتسامر الأعضاء كأبناء أسرة واحدة ، وكأنهم يعملون فى صحيفة واحدة .

وقد بدأت النقابة بإنشاء دارها الجديدة ، وسيكون النادى الجديد فى النقابة الجديدة مزوداً بكل مايحتاج إليه أعضاء النقابة سواء للعمل أوللراحة .

الأسلوب الصحفى

اتخذ الأسلوب الصحفى فى مصر ، منذ القرن الماضى ، صوراً عديدة ، من الشعر والنثر والزجل واللغة العامية واللغة المصرية ، ومحاكاة الأسلوب الصحفى الأوروبى ، أعنى أن الأسلوب الصحفى المصرى قد تقلب تبعاً لنهضة البلاد ونهضة الصحافة نفسها ، وللازمات السياسية ، ونشوء الأحزاب والبرلمان ، والثورة المصرية وقد أدى هذا كله الى طائفة من المهاترات والجدل المقبول والحملات الطائشة ، شأن كل نشاط ، وكل جديد .

وقد أدى هذا إلى محاكمات صحفية عديدة ، فحوكم المغفور له السيد على يوسف باشا شيخ الصحافة الأول لنشره برقيات عن حملة فتح السودان فى القرن الماضى ، وحكم ببراءته ، وحوكم المغفور لها

محمد فريد بك الرئيس الثانى للحزب الوطنى والشيخ عبد العزيز شاويش لمقالاتهما فى جريدة اللــواء لسان الحزب الوطنى . وحوكم بعد ثورة ١٩١٩ ، صحفيون عديدون وأغلقت جرائدهم . وكانت هذه المحاكمات مثاراً لأبلغ مرافعات المحامين المصريين عن حرية الصحافة كما أبانت عن نزاهة القضاء المصرى وميله إلى تقرير مبادىء الحرية الصحافية والنقد البرىء ، وجنوحه بعدئذ إلى المعاقبة على الحملات الصحافية القاسية وقد اختلفت الحكومات والأحزاب المصرية ضيقاً وسعة ، وخفة وشدة ، فى تقديم الكتاب للمحاكمة .

الصحافة فى السودان

كان السودان منذ عهد الخديو اسماعيل الى اليوم يعتمد فى غذائه الاخبارى والأدبى والصحفى على الجرائد اليومية والمجلات المصرية . فلا تزال خاصة القراء هناك على الأقل تترقب فى شوق ما تأتى به صحف مصر ، وبخاصة حين تتناول شئون السودان بسطاً وتعقيبا .

وكان أول عهد السودان بالصحف ، حين أنشأت حكومة السودان جريدة الغازيتة السودانية ، الجريدة الرسمية ، ونشرت فى أول اعدادها نص اتفاق ١٨٩٩ ، وكذلك كانت الغازيتة العسكرية

للجيش المصرى تطبع فى الخرطوم حين كان بها الجيش والسردار .

بعد هذا رأت « ادارة جريدة المقطم والمقتطف فى القاهرة » أن تصدر صحيفة فى الخرطوم ، فانتدبت من تحريرها الأستاذين « خليل ثابت بك » و « لبيب الجريديني » . فصدرت جريدة « السودان » ذات وجهين : عربى وانجليزى وكانت صورة ثانية للمقطم فى تحريره وامتدادا لنظرته السياسية مصطبغة بالصبغة المحلية مطبوعة بالطابع الاقليمى ، وقد عنيت بنشر الثقافة العربية وافساح المجال لطائفة من الأدباء النازحين والوطنيين ، إلى جانب اهتمامها بالشئون الاقتصادية مما كان موضع اهتمام حكومة الحاكم العام على اختلاف رؤسائها وتباين أوضاعها ، وكانت تصدر فى الأسبوع مرتين .

وفى ١٩٠٩ أصدر أسعد أفندى يسى صحيفة « المساح » ، وقد احتجبت وشيكا ولحقت بها بعد قليل مجلته الدينيــة المسيحية « كشكول المساح » ، وكان المساح قد جاء الخرطوم « راسلا لجريدة « الظاهر » المصرية التى كان يصدرها المرحوم محمد أبو شادى بك .

وفى ١٩١٢ استطاع الأديب السيد عبد الرحيم قليلات ، الموظف يومئذ بمصلحة الوابورات ، اقنــاع « صاولى وخريستانثو » أصحاب مطبعة فكتوريا وأصحاب « رائد السودان — أو —

سودان هرالد » التي كانت تصدر بالانجليزية واليونانية ، في إصدارها أيضا باللغة العربية تحت رئاسته إلى جانب « السودان » وقد أشرك الأستاذين : فؤاد الخطيب — وكان مدرسا للآداب العربية بكلية غردون — وجميل الرافعي .

لكن السلطات البريطانية هنـــاك لم يرقها مقالاته ، فامرت بابعاده من السودان ، وقد خلفه بعدئذ الأستاذ جميـل الرافعي ، فالأستاذ توفيق وهبي ، فالأستاذ حامد سعفان ، ثم رؤى أن يقوم بتحريرها سوداني قح هو السيد حسين الشريف ، مدرس اللغة العربية . وكان كاتبا أديبا صريحا كتب سلسلة مقالات في جريدة « الرائد » التي كان يرأس تحريرها تحت عنوان « شعب بلا جريدة كقلب بلا لسان » .

وبعد احتجاب « الرائد » أصدر جريدة « حضارة السودان » في ٢٧ فبراير ١٩١٩ أي في أتون الثورة المصرية التي أعقبت اعلان عقد هدنة الحرب العالمية الأولى في ١١ نوفمبر ١٩١٨ .

وقد تم يومئذ إنشاء شركة مساهمة عمادها تجار يرأسهم سعادة السيد عبد الرحمن المهـــدي باشا . غير أنها أخفقت ، واحتجبت الجريدة ، لتظهر مرة أخرى يحمل امتيازها زعماء السودان : سعادة السيد علي الميرغني باشا ، والسيد عبد الرحمن المهدي باشا والمرحوم

الشريف ، يوسف الهندى . وكانت « الحضارة » تصــدر نصف أسبوعية واقتنت مطبعة جريدة السودان ، حين قررت « إدارة المقطم والمقتطف » حجبها عن الصدور ، معينة محررها الأول الشيخ المحترم الأستاذ خليل ثابت بك ، رئيساً لتحرير « المقطم » فى ١٩٢٥ . ثم باعت « الحضارة » هذه المطبعة إذ تعاقدت مع دار الطباعة المعروفة باسم « مكروكوديل » التى كانت تطبع مطبوعات حكومة السودان ولما مرض الأستاذ حسين شريف ناب عنه الأستاذ عبد الرحمن أحمد الذى كان يومئذ مدرسا فى مدرسة الخرطوم الابتدائية ، إلى أن توفى الأول فى ٥ يونية سنة ١٩٢٧ . وخلفه الأستاذ الشيخ أحمد عثمان القاضى الذى كان مدرسا فقاضيا شرعياً فداعية وطنيا مع مصر ؛ ثم رأى — كما يقول — أن يترك الحالة السلبية ، وأن يكون عاملا ايجابيا مساهما بالتحرير . وكان يقوم برحلات إلى مصر ومديريات السودان ، على نفقة إدارة الأمن العام . وبعد أن احتجبت هذه الجريدة ، صار مراقبا للصحف العربية فى خلال الحرب ، ثم عضواً مؤسساً لحزب الأمة الذى ينادى بالاستقلال التام عن مصر .

وفى سنة ١٩٢٨ أصدر التاجر سليمان داود منديل أفنــدى « الجريدة التجارية » الأسبوعية وبدل اسمها فى سنة ١٩٣١ إلى

« ملتقى النهرين » وكانت مندمجة مع الحضارة فى بعض الأعوام منذ سنة ١٩٣٤ .

وفى سنة ١٩٠٢ ظهرت مجلة « النهضة السودانية » لمحررها المرحوم محمد عباس أبو الريش ، ومجلة دورية كشفيه كانت تصدرها « لجنة الكشافة فى كلية غوردون » التى أصدرت لنفسها منذ سنة ١٩٣٣ « مجلة كلية غوردون » يحررها أساتذتها وطلبتها .

وفى سنة ١٩٣٣ صدرت مجلة مرآة السودان نصف شهرية للأستاذ سليمان كشه .

وفى أول يونية سنة ١٩٢٤ ، صدرت مجلة الفجر لمحررها المرحوم الأديب عرفات عبدالله ، وكان من أعضاء جمعية اللواء الأبيض التى قامت بالثورة الوطنية ضد الانجليز ولمصلحة مصر فى ١٩٢٤ . ومات عرفات فى ١٩٣٦ بذات الرئة .

وفى ١٩٣٤ أصدر الشيخ عبد الرحمن أحمد المدرس سابقا ، جريدة « السودان » على مثال « حضارة السودان » تقريبا وقد احتجبت بعد بضع سنوات ، لكثرة النفقة ورفض الحكومة إعانتها .

وفى سنة ١٩٣٥ صدرت للمرة الأولى جريدة يومية فى السودان هى جريدة النيل أصدرتها شركة الطباعة والنشر المساهمة بالسودان التى كانت يومئذ مؤلفة من السيد عبدالرحمن المهدى باشا ومحيو

كونتومخلوس والسيد مصطفى أبوالعلا .

ثم صدرت جريدة « المؤتمر » وجريدة « صوت السودان » وجريدة « الأمة لسان حزب الأمة منذ سنة ١٩٤٥ ؛ وجريدة الرأى العام ومجلة السودان الجديد ، والرائد ، والشباب ، وجريدة الأشقاء لسان حزب الأشقاء وهو الحزب الذى ينادى بوحدة وادى النيل تحت التاج المصرى .

تاريخ المطبعة العربية

يبدو أن تاريخ إعداد المطبعة الأولى التى تستخدم الأحرف العربية ، لايزال غامضا ، فعند بعض المؤرخين أنها ترجع إلى القرن الرابع عشر الميلادى . وثمة من يزعم أن أول مطبعة عربية قد تأسست فى روما فى سنة ١٥١٤ م ، وأن هذه المطبعة قد طبعت خلال القرن السادس عشر عدة من الكتب العلمية إلى جانب الكتب الكثيرة المتعلقة بالديانة المسيحية ، وكان من جملة هذه الكتب : الكافية لابن الحاجب ، والقانون فى الطب لابن سينا ، وتحرير أصول أوقليدس فى الهندسة لنصير الدين الطوسى . .

ولا مجال للشك فى أن هذه الكتب المطبوعة كانت ترسل إلى

الأسواق الشرقية، وتباع فيها [١]

ومما يؤيد ذلك، أن التواريخ العثمانية تذكر فرمانا صادراً من السلطان مراد الثالث بسنة ست وتسعين وتسعمائة هجرية أى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بعد الألف ميلادية — يأمر الولاة والقضاة والحكام والأمراء — فى جميع أنحاء السلطنة — بإباحة توريد وبيع «الكتب المعتبرة المطبوعة بالعربية أو الفارسية».

وكان هذا الفرمان قد صدر بناء على عريضة قدمها التاجران المسميان «برانتون» و «أوراسيو ولدباندينى»

ومما يجدر بالذكر أن نص الفرمان مطبوع فى ذيل كتاب الهندسة الآنف الذكر. ويستفاد من غلاف الكتاب [٢] أنه طبع فى روما سنة ١٥٩٤ ميلادية، أى قبل مجىء الحملة الفرنسية إلى مصر، بمدة تزيد على قرنين كاملين!

وأما فى القرن السابع عشر، فقد زاد عدد المطابع العربية فى مختلف البلدان الأوربية، ومن المؤكد أنه كان يوجد عندئذ أمثال هذه المطابع فى البندقية، وليدن وفينا أيضا.

---

(١) الحملة الفرنسية والنهضة المصرية للأستاذ ساطع الحصرى
(٢) صورة فوتوغرافية

ثم إن الطباعة بالحروف العربية كانت قد دخلت عاصمة الدولة العثمانية أيضاً ، قبل مجىء الحملة الفرنسية إلى مصر ، بمدة تقرب من ثلاثة أرباع القرن. وكان بين الكتب التى طبعتها أولاً « دار الطباعة » المؤسسة فى « البلدة الطيبة قسطنطينية ، صانها الله عن الآفات والبلية » المعجم المعروف باسم « صحاح الجوهرى » ، وقد تم طبع الكتاب المذكور — مع ترجمته إلى التركية — سنة ١١٤١ هجرية أى ١٧٢٩ ميلادية .

وكان بين الكتب التى طبعت فى السنة التالية « تاريخ » عنوانه « درة اليتيمة فى أوصاف مصر القديمة » ، وضعه « السهيلى » من كتاب « ديوان مصر القاهرة »[1] .

وقد طبع هذا الكتاب — مع رسالة مذيلة له بقلم المؤلف نفسه عن « تاريخ مصر الجديدة » سنة ١١٤٢ هجرية المقارنة لسنة ١٧٣٠ ميلادية .

ويبدو أن السفارة الفرنسية نفسها كانت أسست فى القسطنطينية مطبعة تطبع بالحروف العربية ، قبل الحملة الفرنسية على مصر ، بمدة غير قصيرة . وقد طبعت هذه المطبعة — سنة ١٧٨٦ — كتابا

---

(1) idem — page 70 ، 71

عنوانه « أصول المعارف — فى ترتيب الأوردو — وتحصينه مؤقتاً — من تأليف مهندس ده لافيت قلاده المرسل من طرف فرنسا للدولة العلية العثمانية والمعلم فى المهندسخانة الكائن بدار السلطنة السنية »

وعلى غلاف الكتاب عبارة تصرح بأنه طبع « بدار الطباعة الكائنة فى بيت دولة الفرنساوية — فى قسطنطينية سنة ١٢٠١ »(١)

وكانت توجد مطبعة عربيه واحدة فى حلب ، وأخرى فى الشوير

وبعض المكتبات العامة تحتفظ بانجيل عربى مطبوع فى « مدينة المحمية . سنة ألف وسبعمائة وستة مسيحية » .

يبدو من ذلك أن المطبعة التى أتت بها الحملة الفرنسية إلى مصر لم تكن أول المطابع العربية ، حتى فى البلاد العربية نفسها .

ومما يجدر بالذكر فى هذا الصدد ، أن « فرانسوا شارل روا » ألف كتابا عن حكم نابليون فى مصر ، يعترف بذلك صراحة ؛ إذ يقول — عندما يذكر زيارة بعض المصريين للمطبعة التى أتت بها الحملة الفرنسية — : « إن الشيخ محمد الفاسى الذى كان شاهد مطبعة القسطنطينية والسوريين الذين كانوا يعرفون المطبعة الموجودة

---

(١) صوره فوتوغرافية vesika in 37 idem

فى دير ماوونى بلبنان .. سلموا بأن مطبعة القاهرة كانت أرقى منهما .

على أنه ينبغى أن نذكر أن المطبعة العربية التى جاءت بها الحملة الفرنسية إلى مصر ، كان الغرض منها طبع الأوامر والمنشورات والتنبيهات التى تصدر إلى الجمهور المصرى . أى لم تطبع بها أية كتب علمية .

هذا وليس صحيحا أن المطبعة العربية التى أتت إلى مصر مع الحملة الفرنسية بقيت فى مصر بعد جلاء جيوش الحملة وأنها صارت بعدئذ أساساً لمطبعة بولاق الشهيرة فى عهد محمد على الكبير .

ذلك لأن المطبعة المذكورة لم تبق فى مصر ، بل إنها أعيدت إلى فرنسا — مع الجيش ومعداته — عند الجلاء [1] .

وأما مطبعة بولاق ، فمن المؤكد أنها جلبت فى عهد محمد على من إيطاليا ، على يد شاب ، وهو « نيقولا مسابكى » من بيروت [2]

ونعود فنذكر هنا إن تلك المطبعة لم تكن أول مطبعة تطبع بالحروف العربية ، ولا كانت أول مطبعة تطبع باللغة العربية . فان الطباعة العربية كانت قد خرجت إلى حيز الوجود فى أوروبا منذ

---

(١) إبراهيم عبده — تاريخ الوقائع المصرية — ص ١٤

(٢) — ابراهيم عبده — ص ٢٠

قرون ، حتى أن نابليون نفسه كان قد نقل المطبعة المذكورة من روما ، كما أن القائم على المطبعة كان من أبناء العرب المقيمين فى روما . إنه كان من أهالى ديار بكر ، وأما اسمه فكان فتح الله .

الفصل الخامس عشر

الصِّحافة فى البلاد العَربيّة

في كل من لبنان وسوريا وشرق الأردن وفلسطين والمملكة العربيـــة السعودية صحف تختلف حجما وأهمية . والصحف في الجمهوريتين السورية واللبنانية ، كثيرة جداً ، ومتزاحمة جداً ومنها التلغراف ، والأفكار ، والدبور ، ولبنان ، وسوريا ، والرافدين والقبله ، وعمان ، والأردن . والأرز ، والوفاء . وفلسطين ، والنهار ، والمقتبس ، والجامعة ، والقبس ، والكفاح ، وألف باء ، ودمشق ، والعلم العربي ، والرابطة العربية . والرابطة الإسلامية ، والنضال ، والاستقلال العربي ، والفكر العربي والنذير ، والتقدم ، والحديث ، والعاصي ، والشباب ، والجمهورية ، والضحى ، والنواعير ، والتمدن الإسلامي ، والأيام ، والبعث ، والفتى العربي .

والأستاذ تقي الدين الصلح هو نقيب الصحافة في لبنان ، وكان

نائبا لوزير لبنان المفوض فى القاهرة .

فى المملكة العربية السعودية

تصدر فى المملكة العربية السعودية الصحف التالية : أم القرى ، المدينة المنورة ، الحج ، المنهل ، البلاد السعودية .

ومما يذكر أن الصحافة هناك قد تقدمت فى الأعوام الأخيرة تقدما محسوسا .

الصحافة فى العراق

الرأى السائد أن أول صحيفة عربية فى الشرق العربى هى « الوقائع المصرية » كما سبق القول ولكن هناك رأى حديث يقول إن هناك صحيفة عراقية سبقت الوقائع فى الصدور ، تلك هى الصحيفة التى عرفت باسم « جورنال العراق » التى أسسها داود باشا الكرجى وزير بغداد وكان ذلك سنة ١٨١٦م وكانت تطبع فى مطبعة حجرية باللغتين العربية والتركية ، وكانت تنشر أنباء العراق وأخبار السلطنة العثمانية ووقائع القبائل وقوانين البلاد وأوامر الوالى وشئون

الموظفين وأخبار الخارجية وكانت توزع على قواد الجيش و كبار المدينة وأشراف بغداد ، وتعلق على جدران دار الإمارة نسخ منها ليطلع عليها الجمهور [١] ومع أن هذه الصحيفة لم يعثر على نسخة منها إلا أن بعض الرحالين الافرنج أشاروا اليها فى كتبهم .

ومن المعلوم أن نهضة الصحافة اقترنت بنهضة الطباعة ولهذا يسجل التاريخ المجد لمدحت باشا الذى عينته الدولة العثمانية واليا على العراق سنة ١٨٦٨ وكان قد ذهب إلى أوربا وشاهد المدنية الغربية الحديثة ووقف على كثير من أسباب النهضة الأوربية ، ويعتبر عهده فجراً لتاريخ نهضة العراق الحديثة . ومع أن مدة ولايته لم تتجاوز ثلاث سنوات إلا أنه قام بمشروعات إصلاحية كثيرة ، فأنشأ بعض المدارس العسكرية والمدنية ، وأنشأ بعض المصانع ، وهو أول من جلب آلة الطباعة إلى بغداد ، وسميت « مطبعة الولاية » ، وكانت تطبع بها صحيفة « الزوراء » التى يعتبرها جمهور العلماء أول صحيفة عراقية ، وكان صدورها سنة ١٨٦٨. وكانت الجريدة الرسمية تصدر مرة واحدة فى الأسبوع باللغتين العربية والتركية ، وكان يحرر القسم العربى فيها الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى ،

---

(١) روفائيل بطى منبر الأثير ص ٢٣ ج ٣ السنة الأولى

وفى الوقت نفسه كان مديراً لمطبعة الولاية ، وتلتها جريدة الموصل سنة ١٨٨٥ ، ثم البصرة سنة ١٨٩٥ ، ثم احتجبت هذه الصحف تدريجا بين عام ١٩١٥ وعام ١٩١٨ على أثر الاحتلال البريطانى .

ولما صدر الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ وتقلص ظل الاستبداد الذى شمل العراق منذ أوائل العهد التركى ، أخذ أصحاب الآراء الحرة يهتمون بالصحافة اهتمامهم بألوان الأدب شعره ونثره ، إذ ساد الشعر السياسى والشعر الاجتماعى .

ومن آثار الحرية التى تنفس العراق عبيرها بعد إعلان الدستور العثمانى ، أن صدرت زهاء سبعين جريدة خلال ثلاث سنوات .

وبعد الاحتلال الانجليزى صدرت جرائد الأوقات العربية . والأوقات العصرية والعرب ودار السلام والنادى العلمى والسليمانى .

وفى عهد الحكم الوطنى صدرت الزمان والشهاب وصدرت الأهالى والأوقات العراقية والأخبار والشعب والرأى العام والساعة والنداء والحوادث والعراق والبلاد ، ومجلات العلم الجديد والرابطة ، ومنبر الأثير ، والحضارة ، والزهراء ، وعالم الغد.

الصحافة فى مراكش

أصدرت الحملة الأسبانية حين احتلت تطوان سنة ١٨٦٠ صحيفة باسم El Eco de tetuan (صدى تطوان) ، فهى شبيهة بالصحف التى أصدرها الجنرال بونابرت فى حملته المصرية ، وقد أنشئت لنشر أنباء الحرب وتغذية الجيش بالأخبار ثم وقفت عن الصدور بعد الجلاء .

ومنذ اتجهت الأنظار إلى مدينة طنجة المواجهة لجبل طارق حيث كثر الأوربيون فى القرن التاسع عشر وانتشرت أساليبهم واستقرت بعثاتهم التجارية وهيئاتهم السياسية ، قصدها الصحفيون للاستعلام عن أمر هذه الدولة التى أحدثت كل هـذا الضجيج بين دول اوربا ، وكانت مهمة الحصول على أخبارها الصحيحة مهمة شاقة ، نظراً لخلوها من الصحف فكانت أخبارها تضيع فى أمواج الزمن — كما قال مراسل اسكتلندى — وصارت شؤونها محفوفة بالغموض فى صحف أوربا، التى تهم البلاد معرفتها وتبشر بالدستور والتعليم والإصلاح الحكومى والقضائى والمالى والعسكرى وكل الإصلاحات التى تحتاج اليها الدولة والأمة . وكان السلطان عبدالحفيظ

يقدر هذه الصحافة كل التقـــدير ويحوطها برعايته ويفهم أهميتها وضرورتها بل أنه أنشأ إلى جانبه مصلحة للصحافة توافيه كل يوم بالمقالات والبرقيات التى تنشرها الصحف الأوربية فيما يتعلق بسلطته

وكانت الصحيفة التى تقاوم هذه الحركة هى صحيفة (السعادة) أنشئت سنة ١٩٠٤ للتبشير بحسن نية الفرنسيين وسمو أغراضهم وعظمتهم فى عالم الحضارة وخطورة شأنهم فى عالم الحرب والسياسة وقد كتب للشعب الفرنسى لهذا كله أن يزحف ويتملك ويستعمر وقد ظلت هـــذه الصحيفة تصدر وحدها بعد أن عصفت الحماية بالاستقلال وحركة الاصلاح .

وقد تمتعت تلك الصحف الأولى بكامل حريتها ، فنشرت ماشاءت دون رقيب ولا إنذار ولا تعطيل ، ولا يحفظ التاريخ لنا إلا حادثة بسيطة ، ولا تكاد تذكر ، وهى أن صحف طنجة هذه لما أسرفت فى حملتها على الحكومة الوطنية وممثلى الدول الأوربية سنة ١٨٨٥ أنذرها وزير الخارجية السيد محمد الطريس بالاغلاق إذا هى لم تقلع عن ذلك وأرسل الانذار إلى الصحف جميعاً .

وكان العائق الرئيسى فى سبيل صدور الصحف باللغة العربيـة هو ندرة المطابع ، فلما جاءت الحماية أصبح العائق شيئاً آخر ، فهناك دعوة معينة يجب أن تبشر بها الصحيفة إذا هى أرادت ، ولـكن

لحسن الحظ أو لسوء الحظ لم تصدر بعد ذلك صحيفة عربية فى مراكش إلا بعد زمن طويل ، مع استثناء الصحيفة الرسميـــة التى صدرت فى أول إبريل سنة ١٩١٣ مفتتحة حياتها بنص الرسالة التى تنازل بها آخر سلاطين مراكش المستقلين عن العرش (١) .

وبينما ظلت صحيفة الحماية العربية تصدر وحدها ، صدرت إلى جانبها عشرات من الصحف الفرنسية ، وازداد عددها حتى أصبح لكل مدينة صحيفة محلية على الأقل باللغة الفرنسية .

ومن بين القضايا العديدة التى واجهت البلاد بعد الحماية قضية حرية الصحافة ، وهى قضية ما تزال قائمة إلى اليوم ، وتساءل عنها الشعب فقيل له إن ظروف الحرب (١٩١٤) قد أحاطت كل صحف العالم بالقيود ، فلما انجلت الحرب طالبت جموع الشعب المتظاهرة بحرية الصحافة التى سلبها النظام الجديد (٢) .

لم تطق البلاد صبراً على هذا الحرمان ، فبدأت تصدر صحف

---

(١) كتاب الدرر الفاخرة للمؤرخ المراكشى عبد الرحمن بن زيدان صفحة ١١٨

(٢) من تقرير سرى رفعه المارشال ليوطى إلى حكومته سنة ١٩٢٠ .

سرية تنشر مقالات شديدة عنيفة ضاقت بها السلطة دون أن تستطيع العثور على ناشريها ، وظل الأمر على ذلك زمنا طويلا إلى أن بدأ الصدام الحقيق بين المحميين والحامين ، فانطلقت الثورة من عقالها سنة ١٩٣٠ وانتشر الصحفيون المراكشيون فى فرنسا يروون فى صحفها ما يشبه الأساطير المخيفة عن حوادث هـــذه البلاد . ثم أصدروا صحيفة فرنسية باسم Maghreb فى باريس ليلقوا النور على ما يحيط بأمر بلادهم من خفاء .

على أن الحماية الأسبانية المفروضة على جزء صغير من مراكش كانت أرحب صدراً فسمحت باصدار صحف ، وكانت هذه المدينة تتمخض عن حركة إصلاحية واسعة تستدعى أن يكون لها لسان تعد به الشعب لفهم نواحى الإصلاح .

على أن المستر أبرانيز — وأصله من جبل طارق — أخذ على نفسه أن يضع نهاية لهذه الحال ، فأسس فى المدينة مطبعة سنة ١٨٨٠ وأصدر صحيفة أسبوعية باللغة الاسبانية باسم (المغرب الأقصى) ثم أصدرت المطبعة صحيفة أخرى فرنسية صاحبها ومحررها من أبناء مراكش الإسرائيليين يدعى (ليفى كوهن) وفى ٥ يوليو سنة ١٨٨٤ صدرت أخرى بالإنجليزية .

ثم أخرى بالأسبانية وقد صدرت إلى جانب ذلك صحف أخرى

هكذا عرفت مراكش الصحافة ، وسرعان ماتأثرت اللغة العربية بهذه النهضة الصحفية ، فصدرت أول صحيفه فيها باسم (المغرب) سنة ١٨٨٩ كما صدرت صحيفة عربية أخرى سنة ١٨٩١ ذات ميول إسرائيلية

كانت مدينة طنجة فى ذلك الوقت ملتقى لحركتين كبيرتين : الأولى الحركة الوطنية التى كانت تحاول أن تنقذ البلاد من التردى فى الهاوية التى كانت توشك أن تبتلعها . والثانية الحركة الاستعمارية كانت تعمل على تقويض دعائم الاستقلال ، وكانت الحركتان قويتين نشيطتين ؛ فحاولتا أن تستفيدا من هذا السلاح الجديد الذى وجد فى البلاد .

وصدرت صحف وطنية كثيرة نذكر منها جريدة (لسان المغرب) تدعوا إلى الإصلاح وتنشر الأخبار .

الصحافة العربية فى أوربا

كان من أثر اضطهاد الحكام المستبدين فى الشرق العربى ومصر فى عهد السلطة العثمانية البائدة ، أعنى أمبراطورية آل عثمان ، أن رحل إلى أوربا ، خاصة إلى فرنسا وانجلترا ، نفر من الأحرار ، أكثرهم من المثقفين والأدباء ومنهم من كان يزاول الصحافة ؛ كحرفة أو كأداة للدفاع عن المبادىء الصحفية ، مبادىء الحرية والإستقلال والخلاص من الظلم والاستبداد ، فالى فرنسا وانجلترا رحل السيد جمال الدين الأفغانى ، وتبعه تلميذه وصفيه المختـــار الإمام الشيخ محمد عبده ، وأصدرا جريدة .

كذلك أصدر أبو نضارة صحيفة هناك .

وكان من مهاجرى سوريا ولبنان ، نفر هاجر إلى منشستر ولندن ، كان منه « رزق الله حسون » الكاتب الأديب ، فقد أصدر فى ١٨٧٢ فى العاصمة الانجليزية صحيفة أسبوعية باللغة العربية إسمها « آل سام » وهى أول صحيفة عربية ، تصدر فى البلاد البريطانية . وكان حسون يتولى صف حروفها وطبعها بنفسه فى داره فى قريه واندزورث وقد كانت رسالته استثارة الرأى العام الأوروبى على

الحكم التركى . غير أن « آل سام » لم تلق الرواج المأمول ومن ثم فقد أصدر « حسون » بديلا منها « مرآة الأحوال » وكان يعاونه الدكتور لويس صابونجى وعبد الله ، وكانت اغزر مادة من سابقتها سياسيا وعلميا وانتشرت فى سائر البلاد العربية ، وكانت تحمل فى عنف على المستبدين ، فخافوه اوصادروها . ولكنها كانت تتسلل إلى قرائهافى مهارة وجرأة وفى ١٨٧٩ ، أصدر حسون نشرة نصف شهريه اسمها « حل المسألتين الشرقية والمصرية » من أجل « البحث فى سياسة مصر ، خصوصا والشرق الأدنى — أى الأوسط — عموما » وكانت تطبع على ورق رقيق وعاشت عاما كاملا ، وكانت ترسل إلى قرائها داخل مظاريف كالخطابات الاعتيادية ، لكى لاتصادرها الحكومة العثمانية . وفى سنة ١٨٨٠ مات رزق الله حسون فماتت صحيفته بموته . وقدقفاه زميله الدكتور لويس صابونجى ، فأصدر صحيفة « الخلافة » فى سنة ١٨٨١ وجعل شعارها : « حرية ، واستقلال ، ونجاح ، واقبال » . وكان من وراء هذه الصحيفة العربية ، قوة أدبية ومادية اكتتبت لها بمبلغ عشرة آلاف جنيه ، وكانت تنشر مقالات نارية ضد الحكم العثمانى ورجاله وعلى امام المستبدين لذلك العهد ، السلطان عبد الحميد خان الثانى ، وكانت مقالاتها تترجم إلى اللغات التركية والايرانية والأردنية ،

أى لغة مسلمى الهند . وفى طليعة هذه المقالات ما كان بعنوان : مسألة الخلافة . الخلافة والقانون الأساسى . المسلمون والخلافة فى آل عثمان . حى على الاستقلال ، أيها الأبطال .

وقد ضاق السلطان ورجاله ذرعا بهذه الصحيفة الحزبية ، بعد أن عجزوا عن منع وصولها إلى البلاد العربية . والتركية ، وكان جلالته قد أوعز إلى سفيره فى لندن « موزوروس باشا » بأن يرشو صابونجى بمبلغ كبير لكى يوقف صدورها . ولكن صابونجى رفض هذا العرض ، ذاكراً أن أمراء العرب يؤيدون صحيفته .

وبعد حين ، أوقف صدورها ؛ وأصدر محلها صحيفة « الاتحاد العربى » ، وهدفها « ربط الشعوب التى تنطق باللغة العربية حتى يكون لها كيان واحد مستقل » . ولكن صابونجى أوقف هذه أيضا لقلة رواجها وذلك بعد إصداره ثلاثة أعداد منها . وفى سنة ١٨٨٤ عاد صابونجى فأصدر مجلة أسبوعية أسماها « النحلة » ، عنى فيها بمعالجة المسألة المصرية والسودان فى بداية عهد الاحتلال البريطانى ؛ وكانت الصحيفة تنشر خطب الساسة البريطانيين معربة . وكان ما يترجم من مقالاتها يسترعى اهتمام المستر جلادستون رئيس الوزارة البريطانية فى ذلك العهد .

ولما ضعفت صحة صابونجى ، غادر انجلترا الى لوس انجلوس

فى كاليفورنيا الأمريكية ، وهناك اغتالته يد أثيمة وكان فى الثانية والتسعين .

وفى سنة ١٨٩٢ أصدر حبيب سلمونى اللبنانى المهاجر إلى لندن منذ عام ١٨٧٨ — صحيفة عربية أسماها « ضياء الخافقين » ؛ وكانت أدبية سياسية معتدلة مهادنة . وكان صاحبها صحفيا لبقا ، إذا استطاع أن يتعرف باللورد روزبرى أكبر ساسة ذلك العصر ؛ كذلك تشرف بمقابلة جلالة الملكة فكتوريا وأهدى اليها قاموسا للغتين العربية والانجليزية أصدره وكذلك قابل السلطان عبد الحميد وأمراء العرب وتلق هداياهم . وكان صحفيا مطلعا . وقد ساعد السير رتشارد بيرترن فى ترجمة مجنون ليلى .

وقد توفى فى ١٩٠٤ ؛ وكان فى الرابعة والأربعين . وقد ابنته « التيمس » و « الديلى نيوز » .

ثم جاء « سليم سركيس » الأديب الصحافى المعروف إلى لندن وأصدر « رجع الصدى » . فيها وجه خطابا إلى السلطان عبد الحميد قال فيه :

« مولاى المعظم — لم يبق من عمرى إلا أيام وساعات معدودة . أقوم فيها بواجب المصلحة العمومية . وأريد أن

أبسط أمام عرشكم آرائى الأخيرة . وهى آراء محزنة اتضحت لى بعد خبرة طويلة تاعسة » .

وأصدر « سليم فارس الشدياق » اللبنانى جريدة الخلافة .

....

الفصل السادس عشر

الصحافة في أمريكا

ضخامة الصحافة فى الولايات المتحدة الأمريكية من حيث عدد الصحف، وعدد صفحاتها، وأبوابها، وصورها، وعدد اعلاناتها وأجورها، لا يعادلها إلا ضخامة البلاد ذاتها سعة وتجارة وزراعة وصناعة.

كان الأستاذ الدكتور محمد عوض محمد بك بين أعضاء بعض الوفود المصرية الرسميــة إلى الولايات المتحدة فى مؤتمر سان فرنسيسكو منذ عامين. وحين عاد وصف حالة الصحافة هناك وصفا نقتطف منه مايلى.

« لقد شهد مؤتمر سان فرانسيسكو مالا يقل عن ألفين من رجال الصحافة والمراسلين، ومندوبى شركات الأنباء ورجال الأذاعة. وقد رأى القائمون بأمر المؤتمر وتنظيمه أن ينزل جميع رجال الصحافة والنشر فى فنادق خاصة بهم، وأن تنزل الوفود فى

فنادق خاصة ، وقد طالعت نقداً لأحد الكتاب على هذا الفصل بين الصحافة والوفود ، وهذه الحيلولة بين الفريسة وبين الذى يريد أن يفترسها . وكان الواجب يقضى فى نظر هذا الكاتب أن ينزل الصحفيون مع الوفود حتى يستطيعوا أن ينقضوا عليهم فى أية ساعة من الليل أو النهار ، وينشبوا فيهم مخالبهم - على غفلة من الرقباء - فينتزعوا منهم دفائن الأسرار .

كذلك ميزت إدارة المؤتمر رجال الصحافة بشارة حمــراء (علامة الخطر) كما ميزت الوفود ومن يتبعها بشارة زرقاء (علامة البراءة وسلامة النية . وكانت اجتماعات اللجان فى المؤتمر موصدة أمام رجال الصحافة لا يستطيعون أن يقربوا منها ، وكان يقف دون كل لجنة سلسلة متتابعة من الأبواب والحراس الأقوياء الأشداء لكيلا تحدث صحفى نفسه أن يدنو أو يسترق السمع .

وهذه كلها احتراسات وتحوطات عظيمة لمنع هذا الخطر الداهم من انتهاك حرمة اللجان ، وإذاعة مداولاتها قبل الأوان ومع ذلك كان ما يجرى فى اللجان ، يسجل فى الصحف يوميا ، وكانت بعض الجلسات تنقل نقلا ، ويعاد ما قيل فيها حرفيا فى بعض الأحيان . وهذا جزاء من يحاول أن يمنع صاحبة الجلالة أو يحبسها فى فندق خاص بها . أو يقيم دونها الأبواب والأقفال والمتاريس .

وأول ما يدهش له الشخص العادي ضخامة الصحف الأمريكية فانها الى اليوم وعلى الرغم من الشكوى المرة من قلة الورق، لاتزال تظهر فى جزءين وكل جزء فى عشرين صفحة . وقد قيل لى إن هذا ما هو الا جزء من الحجم الأصلى للصحف الامريكية ، وإن حجمها قد نقص كثيرا . وهذه الصفحات الكثيرة تباع منها النسخة بثلاثة سنتات (أى بستة مليمات) ومعنى هذا بالطبع أنها تقرأ مجانا تقريبا . والحقيقة ان الصحف الكبرى فى أمريكا بوجه خاص تعتمد على الاعلانات التجارية ، فى ايرادها كله ، وليس الثمن الذى يدفعه القارىء سوى جزء تافه من الايراد .

وليس فى أمريكا صحيفة واحدة تسيطر على مساحة كبيرة من الولايات المتحدة ، بحيث يتخطفها القراء فى كل صباح أو مساء على نحو ما نجده فى بعض الصحف المصرية والفرنسية والانجليزية ، فان ضخامة القطر الأمريكى ، وتباعد أطرافه ، جعل من المستحيل ، حتى مع الاستعانة بالطيران ، أن تنتشر الصحيفة الواحدة فى أكثر من ولاية أو ولايتين أو ثلاثة على أكبر تقدير . فاذا كان هنالك صحيفة تصدر مثلا فى شيكاغو وفيها كل ما تشتهيه الأنفس من أنباء وتحف ومقالات وطرف فان دائرة انتشارها مع ذلك لن تتجاوز نصف قطر طوله ٢٠٠ ميل ، وذلك فى بلاد طولها يزيد على ٣٠٠٠

ميل ! فمن المستحيل استحالة مادية أن ينتفع سكان اقليم بصحف اقليم آخر . لذلك نرى فى كل بلد أمريكى عددا من الصحف الصباحية والمسائية يخدم ذلك البلد وما حوله من النواحى ، ويغذى السكان فى الوقت الملائم بما يحتاجونه من الأنباء والمعلومات .

وقد ترتب على هذا ان الصحف فى بلاد العم سام تعد بالآلاف ، وأكثرها ذو أهمية محلية،قلما يسمع به خارج الولاية التى يصدر بها . ولو أن معظمها يرى أن ليس له فى عالم الصحافة نظير ، وانه ملك الجرائد وسلطانها ، ومع ذلك فهنالك بعض صحف قدا كتسبت صفة « قومية » ، وأصبح لها شهرة دولية ، ولا شك أن أهمها الهرالد تربيون والتيمس فى نيويورك .

وقد أدى تعدد الصحف وكثرتها فى البلاد الامريكية الى وجود ما يسمى فى أمريكا « سلسلة الصحف » ، وهى عبارة عن عدد كبير من الصحف قد يتجاوز المائة ، منتشرة فى جميع أنحاء الولايات ، وكلها خاضعة لادارة وتنظيم مركزى ، يمكنها من أن تنشر مقالات واحدة فى وقت واحد لكاتب مشهور ، ومن الجائز فى مثل هذه الحالة أن توجه هذه الصحف كلها توجيها سياسيا خاصا . ومعظم المصريين قد سمعوا من غير شك بصحافة شركة هيرست ، المنتشرة فى جميع أنحاء الولايات المتحدة ، والتى تتجه فى سياستها وجهة

لا تخلو من النزعة الرجعية ، أو الشديدة المحافظة. ومع ذلك فليست سياستها هى التى تجذب القراء نحوها، بل يستهوى القراء فيها كتابها النابهون ، لأن تلك الشركات تستطيع أن تستخدم أبرع الأقلام وأنبه الكتاب .

وتتمتع الصحافة الأمريكية بحرية لا حد لها ، وهى تقول ماتشاء من غير قيد ولا حرج وقد لاتذهب فى السباب والشتائم مذهب بعض جرائدنا ، ولكنها مع ذلك تنقد ، وتحمل على الأشخاص حملات شعواء ، بالحق أحيانا وبالباطل أحيانا . وقد ترتب على هذه الحرية الهائلة أن القارىء الأمريكى لايصدق بسهولة مايطالعه من التهم والحملات ، ويفضل أن يحكم على الناس والأشياء بما يراه .

وثمة عادة صحفية طيبة ، نشأت وترعرعت فى الولايات المتحدة ولا شك فى أنها ستنتشر فى جميع الأقطار على مضى الزمن . وهى عادة الاجتماعات الصحفية .

والعادة فى مثل هذه الأحوال أن يعلن أحد كبار الساسة أنه سيقابل الصحفيين فى إحدى القاعات ، وفى سان فرانسسكو كان يتخذ لهذا الغرض قاعة تتسع لبضع مئات من الصحفيين والمتفرجين . ويبدأ الداعى الحفلة — التى لايقدم فيها لا قهوة ولا شاى ولا

ما — بكلمة يلقيها ولتكن مثلا عن سياسة روسيا الخارجية ، إذا كان المتكلم مولوتوف ، أو عن سوريا ، إذا كان المتكلم رئيس الوفد السورى . وتستغرق هذه الكلمة الافتتاحية نحو عشرين دقيقة ، يتعرض الداعى لها لوابل من الأسئلة تلقى عليه من غير قيد ولا شرط ، حتى إذا انقضى من الزمن ساعة أو أكثر أخذت حدة الأسئلة تهدأ ويستطيع صاحب الدعوة أن يعتذر بموعد آخر . وينتهى الاجتماع الصحفى .

وقد تكون هذه الاجتماعات الصحفية محدودة لا يشهدها إلا عدد قليل من رجال الصحافة فى إحدى الغرف أو المكاتب ، على النحو الذى كان يعمله كل أسبوع الرئيس روزفلت . ومن الجائز فى مثل هذه الأحوال أن يفضى المتكلم بمعلومات لا يريد أن تروى عنه فتحترم إرادته ، ولا يذاع سره ، وهذه تضحية عظيمة من رجال الصحافة تستدعى كل اعجاب .

ومقابلة الصحفيين وشروطها عادة مأثورة منذ أيام الرئيس تيودور روزفلت . ويبلغ عدد المخبرين والمحررين الذين يحضرون هذا الاجتماع نحو ثلاثمائة ، ولكن عددهم فى العادة أقل من هذا ، وهم يدخلون غرفة الرئيس ويلتفون حول مكتبه ويسألونه عن الكبيرة والصغيرة فى المسائل العامة ، وأولئك الصحفيون الذين

تعارض صحفهم خطط الرئيس يحضرون أيضا كزملائهم الذين يعملون فى الصحف المؤيدة .

هذا وقد وصف شرايبر الصحفى الفرنسى المعروف ، فى كتاب وضعه عن رحلة له إلى أمريكا ، مقابلة المرحوم المستر روزفلت رئيس الجمهورية الأمريكية يومئذ للصحفيين فيما يلى :

« ولما دخلنا على الرئيس روزفلت ألفيناه يطالع فى أوراق أمامه فلما اكتمل عقدنا رفع الينا عينيه الزرقاوين الصافيتين الطفلتين . وإنى أعتقد أن الأوربى الذى يزور الولايات المتحدة يعجب كيف استطاع الرجال الذين يتقلدون مناصب رفيعة أن يحتفظوا بنظرة الطفل ، هذه النظرة التى تنم عن حياة مملوءة عظمة حقيقية .

« وحيا الرئيس الثمانين زائراً بقوله باسما « جود مورننج » (نهاركم سعيد) .

« فردوا عليه جميعاً بصوت واحد قائلين « جود مورننج مستر بريزدنت » (وكلمة « بريزدنت » معناها « الرئيس » فتكون التحية نهاركم سعيد ياحضرة الرئيس)

« ومع أن الرئيس كان يبتسم باستمرار ويرد على أسئلة الزملاء بسرعة خاطر عظيمة ، فقد لاحظت أنه متعب وفى حاجة إلى الراحة فلما قيل لى بعد ذلك إنه يسافر بعد ثمان وأربعين ساعة بالأجازة قلت إنه يستحقها فعلا .

وابتدأت المقابلة ببيان ضاف من الرئيس عن الشئون الاقتصادية الهامة وهنا أتى المسيو شرايبر على خلاصة هذا البيان وقال إن الصحافيين كانوا يصغون اليه بانتباه عظيم وكانوا بملابسهم العادية التي يذهبون بها إلى أعمالهم.

« وبعد أن أتم الرئيس بيانه سأل الصحافيين الحاضرين هل عندهم أسئلة يريدون أن يسألوه أياها فخرج أحدهم من الصف الثالث او الرابع وقال : « هل صحيح ياسيدي الرئيس أن . . . »

« وأعقبه زميل ثان بسؤال آخر، فثالث فرابع، وكذلك ظلت الأسئلة تنهال على الرئيس من كل جهة أكثر من عشرين دقيقة.

« وكان المستر روزفلت يرد على كل سؤال بجلاء الا في أحوال معينة كان يتخلص من الرد فيها بنكتة ظريفة.

« ولما انتهت الأسئـــلة ابتسم الرئيس للصحافيين وقال لهم « جود باى » (مع السلامة).

« وبينما كان زملائي الأمريكيون ينصرفون، دنا أحد موظفي السكرتارية من الرئيس وأشعره بوجودنا فاستبقاني وزوجتي بالقرب منه بكلمات لطيفة وقد خاطبنا بلغة فرنسية تكاد تخلو من الاخطاء وبلهجة حسنة ومضى في حديثه معنا دقائق على الرغم من أن الوزراء الذين دخلوا عليه ليعرضوا عليه أوراقهم كانوا يبدون تململا ظاهراً.

«ولكى يعوضنا الرئيس عن الوقت الذى لم يتمكن من تخصيصه لنا بسبب قرب مغادرته للعاصمة، قادتنا سكرتيرته الخاصة اللبقة الى الطابق العلوى الخاص بسكنه فاستقبلتنا المسز روزفلت بعبارة فرنسية صحيحة استقبالا خاليا من كل تصنع وتكلف، ودعتنا إلى التفرج على قاعات الدار وعلى مجموعة الصور الخاصة التى يملكها الرئيس وقد جمعها بنفسه وكلها صور بحرية ولما استعرضناها قالت لنا المسز روزفلت : «ان زوجى يحب البحر حبا جما ولذلك قرر أن تكون اجازته هذه المرة نزهة بحرية، ولن أتمكن من مرافقته مع الأسف لأن القانون العسكرى الأمريكى يحظر وجود نساء فى السفن الحربية».

«وبعد أن طفنا بارجاء الدار نزلنا إلى الدور الأرضى وشاهدنا حمام السباحة الذى اهداه سكان مدينـــة نيويورك الى الرئيس وهو يستحم فيه كل ليلة قبل العشاء لأن هـذا هو الضرب الوحيد الذى يستطيع المستر روزفلت ممارسته من ضروب الألعاب الرياضية بسبب العاهة التى أصيب بها فى ساقيه .

«ومما قالته لنا المسز روزفلت إن البريد يحمل كل يوم إلى قرينها من ستة آلاف إلى سبعة آلاف كتاب وإن السكرتارية ترد

على كل كتاب منها وكثيراً ما يتولى الرئيس الرد على بعض منها بنفسه بعد العشاء .

« ولما عدت الى السفارة الفرنسية بعد مقابلتنا للرئيس حذرنى سفيرنا فى وشنطن من أن انقل شيئاً إلى قرائى من حديث فخامته لأنه من المحظور على الصحافيين الامريكيين والأجانب الذين يقابلون رئيس الجمهورية أن يعزوا اليه حديثاً فاه به فقلت للسفير : « ولكن الرئيس لم يقل لى شيئاً خطيراً أو سريا ، ثم إذا استبعدت كل كلام سياسى افلا يمكننى أن أقول إنه اعرب عن ارتياحه الى مقابلة مندوب مجلة « الاستراسيون » التى اكد لى انه يطالعها باهتمام عظيم كل أسبوع ؟ » . فقال السفير « لا تنشر اقواله بصيغة المتكلم المباشر » فقلت « لا افهم تماما » فقال : يمكنك أن تقول « إن الرئيس قال لى انه يعتقد ان الخ . . . » ولكن لا تقل ان الرئيس قال « انى اعتقد ان الخ . . . . »

واجتمعت بعد ذلك ببعض زملائى الامريكيين فنصحونى بما نصحنى به سفيرنا وقالوا لى انهم يعزون احيانا الى الرئيس مقتطفات من البيان الذى يتلوه عليهم فى بدء المقابلة ولكنهم لا يعزون اليه مطلقا الأجوبة والبيانات التى يفضى بها اليهم ردا على اسئلتهم بل يقولون « يقال فى البيت الأبيض إن . . . » و « يقول المتصلون

بالبيت الأبيض ان . . . » والصحافى الذى يخالف ذلك يجرد من التصريح الذى يخوله حرية دخول البيت الأبيض ».

هذا وتتألف الصحافة فى أمريكا من خمسة وعشرين ألفا من الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية وسائر النشرات الدورية.

وقد عاونت الصحافة الأمريكية فى تدعيم الديمقراطية بما قامت به من نشر أخبار العالم وشرحها، وبما سلطته من الأشعة الكشافة على تصرفات الموظفين العموميين وبحملاتها من أجل السلاح ولأجل تغيير الخطط حين كان هذا التغيير مما يرغب فيه.

وفى الولايات المتحدة ٢١٢١ جريدة يومية يصدر منها باللغة الانجليزية نحو ١٩٠٠، ويشترى الأمريكيون ٤٢ مليون نسخة من الجرائد كل يوم منها ١٦ مليونا ونصف مليون فى الصباح و ٢٥ مليونا ونصف فى المساء، أى أنه تنشر فى المتوسط نسخة واحدة من الجرائد المختلفة لكل ثلاثة من السكان. وفى يوم الأحد يوزع أكثر من ٢٣ مليون نسخة من الجرائد الحافلة بالأخبار والصور (التى يظهر بعضها بالألوان) والمقالات والقصص المسلية والفكاهات. والأمريكى ينفق فى المتوسط على صحيفته الصباحية أو المسائية نحو جنيهين ونصف جنيه فى السنة، فاذا أضفنا إلى هذا ماينفقه أيضا

على صحف الأحد بلغت نفقاته السنوية نحو أربعة جنيهات .

ثم هناك ثلاث هيئات كبيرة تقوم كل منها بجمع الأخبار والصور الصغيرة دقيقة بعد دقيقة . وهى تقتنى الأسلاك التلغرافية وتستخدم ألوف الموظفين فى الولايات المتحدة وفى الأقطار الأجنبية ، وهذه الهيئات هى : شركة الصحافة التعاونية (اسوشييتدبريس) وشركة الصحافة المتحدة (يونايتدبريس) وشركة الأخبار العالمية (انترناشيونال نيوزسيرفس) وهناك هيئة رابعة تسمى شركة الأخبار الراديوفوتية (ترانسريديو نيوز سيرفس) وهى جديدة إلى حد ما وتخدم عددا محدوداً من الصحف .

فاما شركة الصحافة التعاونية فقد تأسست سنة ١٩٤٨ وهى جمعية تعاونية يبلغ عدد أعضائها ١٤٣٧ صحيفة ولها ٩٤ مكتبا فى الولايات المتحدة وهى تملك شبكة كبيرة حول العالم لجمع الأخبار وهى توزعها فى أنحاء الولايات المتحدة عبر ثلاثمائة ألف ميل من الأسلاك المؤجرة لها وتتسلم الأخبار ٣٠٠٠ آلة أتوماتيكية ويبلغ ما تتسلمه الجرائد الأمريكية منها كل يوم أكثر من ٢٠٠٠٠٠٠ كلمة ، وقد كان من أثر هذه الشركة التعاونية أن اشتريت صحف أو أرغمت أو ألغيت لأجل الحصول على امتياز النشر لأخبارها .

أما شركة الصحافة المتحدة فهى شركة تجارية تأسست عام ١٩٠٧

وهى تخدم ٩٧٥ صحيفة فى الولايات المتحدة وتحت يدها ١٥٠٫٠٠٠ ميل من الأسلاك التلغرافية المؤجرة لها، وهى توزع نحو ١٥٠٫٠٠٠ كلمة فى اليوم، وقد قامت بخدمة ممتازة فى نقل الأخبار بين الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية والصين واليابان، وإلى وقت قريب كانت أخبارها توزع بين ٤٧ قطراً وتنشر فى عشرين لغة منها لغة ايسلندا ولغة جزر الفيلبين.

وقد أسس شركة الأخبار العالمية الصحفى الشهير وليم هيرست سنة ١٩٠٩ ولها ٧٥ مكتبا فى الولايات المتحدة وهى تستخدم ١٧٠٫٠٠٠ ميل من الأسلاك التلغرافية المؤجره لها وتزود نحو ٧٠٠ جريدة بالأخبار، وتصدر عنها كل يوم ١٥٠٫٠٠٠ كلمة.

وهذه الشركات الاخبارية مهيأة جميعها بما يكفل لها نقل الحقائق التى تعالج فى صيغة موضوعية مع الايجاز والابراز، وهى تعمل ليل نهار وتخرج من المطابع فى جملة طبعات قد تصل إلى سبع طبعات أو ثمان فى اليوم.

ولبعض الجرائد مثل «ذى نيو يورك تيمس» وذى نيويورك هيرالد تريبون» و «ذى شيكاجو دلى نيوز» و «ذى بلتيمور صن» مكاتب خارجية محترمة فى أقطار العالم الكبرى».

ومراسلو الصحف الأمريكية فى الأقطار الأجنبية يعدون ركنا عظيما فى النشاط الصحفى الأمريكى ، وهم يتنقلون فى أنحاء الكرة الأرضية يقاسمون الجنود أخطار القتال وأحيانا يقتلون فى سبيل تأدية واجباتهم . وقد كان لهذه الحرب خصائص عالمية زادت فى عدد هؤلاء المراسلين كما وسعت نطاق أعمالهم ، وقد استحدث « رتشارد هاردنج ديفز » تقليدا يجرى عليه مئات من المراسلين الحربيين الآن وكثير منهم يلزمون جبهات القتال وينقلون الى صحفهم فى أمانة ودقة التطورات الحربية فى جميع أنحاء العالم وقد ارتفع بعضهم الى الصيت البعيد بعد أن كان مغمورا فى مكاتب الجرائد وذلك للميزات العالية التى اتسمت بها رسائلهم أو لما أبدوا من شجاعة شخصية ، فهم يطيرون مع القاذفات فوق برلين وأحيانا ينزلون فى الغواصات أو يقذفهم الطوربيد وهم فى البحار ، وأحيانا يؤسرون مع أسرى الجيش أو يجرحون فى الصحراء ، وهم الآن جزء أصلى من الصورة الحربية فى جبهات القتال .

والصحافة الأسبوعية وصحافة الريف كلتاهما تعد مظهرا خطيرا فى الصحافة الأمريكية . ومع أن هذه الصحف تتناقص مع الزمن فانه لا يزال هناك نحو سبعة آلاف صحيفة فى المدن الصغيرة والقرى ترصد صفحاتها فى الغالب للاخبار المحلية وتتصل بقرائها أكثر مما

تتصل بهم الجرائد الكبرى . وهناك من المحررين الأمريكيين فى المدن الصغيرة من يسمون « محررو جذور الشعب » والمعنى المقصود من هذه الكلمات هو أنهم يعرفون كل شىء عن المدينة التى يعيشون فيها لأنهم يلزمونها كما لو كانوا جذور الشعب التى تنمو عند جدران المنازل ، وهم قوة لها أثرها فى تكوين الرأى العام .

والمجلات تؤلف القسم العظيم الثالث من الصحافة الأمريكية الحرة بعد صحافة المدن الكبرى ثم صحافة الريف والولايات المتحدة غنية بما تملك من هذه المجلات إذ لديها منها ١١٤٧٤ مجلة ، ومن هذا العدد يوجد عشرون مجلة تطبع كل منها أكثر من مليون نسخة . وهى فى مجموعها تصل إلى ٥٤ مليون نسخة، ثم هناك ١٥٠ مجلة أخرى تنشر فى الأغلب القصص تصل فى مجموعها الى عشرة ملايين نسخة .

هذا ويقول أحد الكتاب الامريكيين أن المس كاتيلن نوريس تعد اليوم أعظم صحافية وكاتبة فى أمريكا وأن دخلها يزيد على دخل أى كاتب فى العالم ، وأن مجرد وضع اسمها على غلاف احدى المجلات يزيد فى عدد النسخ التى توزعها المجلة مئة الف نسخة .

ومما يروى عن هذه الكاتبة أنها نشأت فقيرة واشتغلت فى شبابها بشتى الحرف ، فكانت ضاربة على الآلة الكاتبة فبائعة فى المخازن فمدرسة فصحافية .

وقد دخلت الصحافة بواسطة زوجها وكان يعمل فى مجلة « الأميركان » الأسبوعية فأخذت تساعده فى عمله وتكتب المقالات والرسائل ، فذاع اسمها واتسعت دائرة شهرتها وأقبل عليها القراء وأصحاب الصحف .

هـــذا وتعد شركة يونيتد فيفيور من أعظم شركات الصحافة الامريكية وتعد صحفها من أعظم الصحف فى العالم . والفضل فى تقدمها السريع وبلوغها مكانتها الحاضرة يعود إلى مديرها الحالى السيد منصور أبو رجيلى وهو من المهاجرين العرب فى الولايات المتحدة. فقد غادر هذا الصحفى القدير وطنه لبنان وهو فى السادسة من عمره مع والده ووالدته ، ومال الى الاشتغال فى الصحافة ونبغ فيها وظل يرتقى ويتقدم حتى أصبح الآن يدير شركة من أعظم شركات الصحافة العالمية . ومما يذكر عنه أنه حصل من كثيرين من مشاهير العالم امثال موسولينى ولويد جورج وغيرهما على عهود بان يكتبوا مقالات للشركة التى يديرها دون سواها وكان يدفع لهم على تلك المقالات أجوراً باهظة . ومن انتصاراته الصحفية الأخيرة انه تعاقد مع الجنرال جونسون الامريكى الشهير على احتـــكار مقالاته وعلى أن يكتب له هذا القائد مقالة كل يوم مقابل أجر عظيم والجنرال جونسون هو مدير مشروع الانعاش الاقتصادى

الذى وضعه الرئيس روزفلت والذى أراد منه انقاذ الولايات المتحدة اقتصاديا .

الصحافة فى أمريكا الجنوبية

مما ينبغى ذكره عن الصحافة فى أمريكا الجنوبية هو أن « أسيس شاتوبريان » يعد ملك الصحافة هناك ، وقد زار مصر منذ عامين وهو ربع القامة ، أسمر اللون ، سريع الخاطر ، طلق اللسان . ذلك هو الرجل الذى يدير شركة تملك فى البرازيل ٢٩ جريدة يومية و ٥ مجلات أسبوعية و ١٢ محطة للاذاعة اللاسلكية ، من مجموع محطات البرازيل التى تبلغ نحو الثمانين ! وتصدر صحفة فى مدن عديدة — صباحية ومسائية — فى حجم كبير . وكذلك مجلاته التى تزيد صفحاتها على الثمانين . تباع بثمانية سنتات ، أى مايوازى قرشين بالعملة المصرية .

أما أكبر عدد تطبعه جريدة فى البرازيل فأنه يتراوح بين مائة الف ومائة وثلاثين الف نسخة . والسبب عائد إلى بعد المسافات بين الولايات

وأن لكل ولاية جرائدها ومجلاتها التى تكاد تكون مستقلة — إلى حد ما — عن صحف غيرها من الولايات . فالبرازيل لم تسبق مصر كثيرا فى هذه الناحية ، لولا أن عدد الصحف هناك أكثر منه عندنا ، حتى أن « ريو دى جانيرو » عاصمة البرازيل ، تصدر فيها وحدها ٢٣ جريدة يومية رائجة !

* * *

وكان السفير شاتو بريان حين زار مصر يقوم برحلة فى أوربا والشرق قال عنها :

— لقد حضرت على أول طائرة تسير على خط جوى جديد أنشأته شركة برازيلية يصل بيننا وبين العواصم الكبرى ، فانتهزت هذه الفرصة للاطلاع على الحالة خارج البرازيل ، خصوصا فى الشرق الأدنى ، الذى شوقنى لزيارته كثير من أصدقائى أعضاء الجالية العربية عندنا . . فضلا عن أننى قادم على تحقيق مشروع صحفى كبير جديد آمل أن يقفز بعدد النسخ التى نطبعها من صحفنا الى نصف مليون نسخة . وسيكون للجاليات العربية فى البرازيل نصيبها من هذا المجهود الكبير ، فان هذه الجاليات تعد عندنا فى طليعة الجاليات الأجنبية — أو التى من أصل أجنبى — إقداما وثروة ونشاطا ، والمهاجرون العرب فى البرازيل يبلغ عددهم نحو اربعمائة الف ، معظمهم من اللبنانيين

والسوريين ولهم جرائد تصدر باللغة العربية ، فهم متمسكون بلغتهم متحمسون للحركة العربية القائمة عندكم ، وتدور الآن مباحثات بينهم وبيني لكي أخصص في جرائدي عمودين أو ثلاثة باللغة العربية لشؤون هذه الجاليات الراقية التي أحبها وأعجب بها . فقد حدث مرة أن قمت بحملة في جرائدي لدعوة الناس الى الاكتتاب للطيران الذي تعلمون أني من أكثر المتحمسين له في البرازيل ، فاكتتب المهاجرون اللبنانيون والسوريون بأكبر حصة ، ولذا فان عندنا في البرازيل طائرات تحمل أسماء عربية !

وللسفيور شاتو بريان رأي خاص في الصحافة وعلاقتها بالسياسة ، فهو من القائلين بأن صاحب الجريدة لا يجب أن يخلط بين مهنته وعقيدته السياسية ، أو أن تكون جريدته ميدانا للحملة على خصومه السياسيين والنيل منهم . ومما قاله بهذا الصدد : انني أفتح أعمدة جرائدي للذين لست على اتفاق معهم في الشئون السياسية كما أفتح لهم أبواب المحطات اللاسلكية التي أديرها ، وأعطيهم الفرصة للدفاع عن أنفسهم أو للرد على ما يكتب ويذاع عنهم وعن سياستهم وقد حدث مرة أن طعن في شخصيا بعض خصومي السياسيين ووجهوا إلى أشنع التهم ، في جرائدي ، ومن محطات الاذاعة التابعة لي ، وقد يكون معظم الذين يطالعون جرائدي من الخصوم السياسيين لا من الأصدقاء والمريدين .

الفصل السابع عشر

حى الصحف فى لندن

فليت ستريت

يحتل فليت ستريت ، شارع الأسطول ، قلب لندن . وفيه بالذات دار جريدتى الديلى اكسبريس والديلى تلغراف وإلى اليمين دار شركة رويتر ومكاتب الصحف الاقليمية ، ومراسلى الصحف الأجنبية . وأما دور الصحف الأخرى فتقع فى الشوارع المجاورة لهذا الشارع .

وبالرغم من اختفاء جرائد كثيرة فى السنوات الأخيرة فلايزال بمقدور القارىء أن يجد جريدتين أو أكثر تلائم ذوقه مالم تكن له أذواق خاصة أوشاذة . وتتألف جرائد لندن اليومية الكبرى الثمانية من جريدتين من الطبقة الخاصة وهما التيمز (أسست عام ١٨٧٠) والديلى تلغراف والمورننج بوست ، وأربع جرائد شعبية هى الديلى

اكسبريس والديلى هيرالد والديلى ميل والنيوزكرونيكل وجريدتين مصورتين هما الديلى ميرور والديلى سكتش . وعلاوة على هذه الجرائد الثمانية توجد جريدتان لهما طابعهما الخاص وهما المورننج أدفرتايزر (تأسست عام ١٧٩٤) وهى لسان حال « الجمعية المتحدة لأرباب الفنادق » وجريدة الديلى وركر وهى لسان حال الحزب الشيوعى . وهناك جريدتان ماليتان هما الفاينشل نيوز والفاينشل تايمز وتنشران بعض الأخبار العامة أيضا .

أما النيوز كرونيكل فهى وليدة أربع من جرائد الأحرار ، وعلى الرغم من أنها مستقلة عن حزب الأحرار من الوجهة الرسمية ، غير أنها تعبر عن آراء العنصر الراديكالى وأحيانا تبلغ الناحية اليسارية كالديلى وركر الشيوعية .

ومع أن جرائد الديلى تلغراف والديلى ميل و لدبلى اكسبريس تزعم أنها محافظة مستقلة ، غير أن صفة المحافظة تبدو فى الديلى تلغراف أكثر من زميلتيها .

وهناك المانشستر جارديان التى هبطت نسخها إلى ثلاثين ألف واليوركشير بوست .

ومن صحف الأحد الرينولدنيوز صحيفة التعاونيات ، والأوبزرفر والصنداى تايمز ، ونيوز أف ذى ورلد ، وبيوبل .

ملكية الصحافة

تتنوع الملكية فى الصحافة البريطانية إلى أقصى حد يتصوره الفكر . فاذا أدخلنا فى عداد الجرائد « لندن غازيت » حصلنا على جريدة من بينها يمتلكها ويصدرها التاج . وكانت أكثر جرائد لندن ممتلكات عائلية كما لا تزال أكثر الجرائد الاقليمية . ولا يزال فى ميـــدان دار الطباعة (مطابع التايمز) أحد أفراد عائلة والتر التى كانت فيها عام ١٧٨٥ عند تأسيس الجريدة ، ولكن الأسهم المسيطرة فى التايمز يمتلكها ج . ج . استور منذ ١٩٢٢ . وتمتلك عائلة كادبرى الأسهم المسيطرة على جريدتى النيوز كرونيكل وستار . أما جرائد لنـــدن الأخرى فيمتلكها أو يسيطر عليها افراد قد يؤسسون بدورهم عائلات مالكة فى عالم الصحافة كاسرة والتر . ويمتلك جريدة الأوبزرفر اللورد استور — شقيق ج . استور — وللورد بيفربروك أسهم مسيطرة فى جـــرائد الديلى اكسبريس والايفننج ستاندارد والصندى اكسبريس .

ويمتلك جريدتى الديلى ميل والديلى ميرور جمهور متغير من حملة الأسهم أما جريدة الديلى هيرالد فان ٤٩ فى المائة من أسهمها بيد

المجلس العام لمؤتمر نقابات العمال و ٥١ فى المائة منها تمتلكها مطابع أودهامز المحدودة وتعود ملكية جريدة رينولدز نيوز إلى الحركة التعاونية. ولما كان أكثر قرائها من التعاونيين فيمكن القول على سبيل التوسع إنها ملك قرائها. وتمتلك جمعية أصحاب الفنادق «المورننج ادفرتايزر».

جريـــدة التايمز

يندر أن يكون لجريدة من جرائد العالم ما لجريدة التايمز، التى تصدر فى لندن من النفوذ فى بريطانيا وخارجها، مع أنها ليست أوسع الصحف انتشارا. وحسبنا أن نذكر أنه لم يزد عدد نسخها على مائتى ألف نسخة. ويرجع مقام هذه الصحيفة البريطانية إلى غزارة مادتها، وإلى أن أخبارها أقرب إلى الصدق عن غيرها، وإلى الثقة فى كتابة محرريها، وفوق هذا استقلالها من جميع الأحزاب والشركات وسائر جهات النفوذ.

وقد بدأ العمل فى هذه الجريدة منذ ١٧٨٥، حين أراد منشؤها «جون والتار» شراء دار للطباعة محتكرا آلة الطباعة اللوجوجراف

وكان أن وفق إلى اصدار صحيفة « السجل اليومى العام » على طريقة اللوجوجراف في أول يناير ١٧٨٥ وكانت تتألف من فرخ من الورق ذى أربع صفحات ، وجعل ثمنها أقل من ثمن الصحف الأخرى ، إذ حدد النسخة ببنسين ونصف البنس . غير أن هذا لم يعد على الجريدة بالربح . ومن هنا جعل اسم الجريدة « التايمز والسجل اليومى العام » منذ أول يناير ١٧٨٨ . وفى ١٨ مارس من السنة نفسها اكتفى بأن يطلق عليها اسم « التايمز » ومعناها « الأحوال » لا كما يترجمها بعضهم خطأ « الأوقات » فللجمع معنى غير المفرد Time

وكانت أولى الأنباء الهامة التى انفردت « التايمز » بنشرها سابقة زميلاتها ، مادار فى مجلس النواب الانجليزى فى ليلة ٤ مارس ١٧٨٨ عن شركة الهند الشرقية والحكومة ، بما أدرجته الجريدة فى عددها الصادر فى السابعة من صباح يوم ٥ مارس . وفى ٢٥ مارس ١٧٨٨ ، أعلنت « التايمز » خطتها على النحو التالى :

(١) من أهم أعمال الجرائد تحرى الدقة والأمانة فى الأخبار على أنواعها ولهذا الغرض أنشئت التيمز وفى خدمتها طائفة من كبار المحررين والكتاب والمراسلين والمخبرين كل فيما تخصص له من موضوعات الجريدة

(٢) تنشر ابحاث البرلمان بغاية الصحة وبدون تحزب لفريق ما وبأقصى ما يمكن من الايضاح واجتناب كل ما من شأنه أن يضلل الجمهور فى التعبير . وتنشر الحوادث السياسية سواء أكانت داخلية أم خارجية لاطلاع الجمهور على أصح الأخبار واحدثها . وكذلك الحال فى نشر الأخبار التجارية لأن التجارة هى المصدر الأعلى للثروة القومية وكذلك ما يختص باخبار المسرح والأزياء وغير ذلك من أبواب الجريدة .

« ٣ » ليس فى التايمز مكان للتعبيرات التى تحمل معنى غير ما وضعت له ، كما أن تعبيراتها تنطوى على منتهى الأدب والحشمة بعيدة عن كل ما ينبو عنه السمع ويغض له البصر ويندى له الوجه خجلا .

الجريدة والثورة الفرنسية

ولم تكن هذه الخطة التى رسمتها التايمز لنفسها مجرد كلام للمباهاة ، فما ان وضعتها موضع التنفيذ حتى طارت شهرتها . فلما ظهرت الثورة الفرنسية فى يوليو سنة ١٧٨٩ وهدم سجن الباستيل كانت التايمز أول جريدة انجليزية نشرت فى شهر اكتوبر خبر انتقال الملك لويس السادس عشر والملكة مارى انتوانيت من فرساى الى

باريس وأنشأ والتر فى باريس وكالة للتايمز لموافاته بالأخبار. ولقد حوكم مرة فى قضيتى قذف اتهم فى إحدهما كلا من البرنس اوف ويلز (ولى العهد) ودوق يورك بانهما فعلا مالا يجمل فعله بمقامهما السامى حتى أنهما لم ينالا رضاء الملك. وفى الأخرى دوق كلارنس لأنه ترك خطته البحرية من دون أن يستأذن رؤساءه وحكم عليه بغرامة ١٠٠ ج فى كل من القضيتين والحبس لمدة سنة فى القضية الأولى. والواقع أن التهمة التى وجهها الى ولى العهد كانت مدسوسة عليه «جون والتر» من أحد كبار الموظفين وقد أفرج عنه ولى العهد قبل انتهاء المدة. واثر السجن فى صحته، على أن ذلك لم يفت فى عضده بل زاده حزما وعزما وثباتا مما زاد فى جرأة التيمز واستقلالها واحاطتها بجميع شؤون الصحافة. وفى سنة ١٧٩٦ لما استقال جون والتر الأول، كان عدد ما يوزع من جريدة التايمز أضعاف ماتوزعه أى جريدة صباحية أخرى.

وخلفه ابنه الأصغر جون والتر الثانى خريج جامعة اكسفورد فتسلم تحرير الجريدة وإدارتها وهو فى سن السادسة والعشرين وكان أكثر حزما وجرأة من أبيه وقضى فى خدمة الجريدة أكثر من أربعين سنة بلغت فيها الجريدة من القوة درجة لايستهان بها حتى لقد قال بعضهم إنها صارت أكبر قوة فى البلاد

وكان ذلك العصر حافلا بالحوادث الهامة فى تاريخ أوربا الحديثة وفيه كانت معاهدة امبان وحروب نابليون ومعركة واترلو وإلغاء تجاره الرقيق وتحرير العبيد ومذابح بتيرلو وغيرها من الحوادث الجسام وكانت الحاجة ماسة حينئذ الى اتباع جادة الاستقلال والنقد القويم والموازنة بين الطغيان والانقلاب وهذا ما كان يصبو والتر الى جعله شعاراً للتايمز . ولقد ثابر على اتخاذ مبدأين رئيسيين (١)

الأول - استقلاله عن الحكومة . والثانى - أن للجمهور الحق فى معرفة جميع الأخبار بدون تأخير وقد جاهد فى سبيل تنفيذ هذه الخطة مستهدفا للخطر فى عصر كانت الحكومات تضيق فيه الخناق على الصحافة .

بدأ والتر يعضد الحكومة ولكنه رفض قبول ماعرضته عليه من الاعانة المالية . وفى سنة ١٨٠٤ وجه انتقاده بشدة إلى أولياء الأمور على مانسب اليهم من ابتزاز أموال الأمة وعلى تقصير رجال البحرية فى نسف البوارج الفرنسية فى ميناء تولون .

---

(١) صاحبة الجلالة الصحافة — جريدة التايمز : الاستاذ اثناسيوس .

الرقابة على الجرائد

اعتادت مصلحة البريد فى ذلك الوقت أن تحجز الجرائد الواردة من الخارج برسم الجرائد الانكليزية ومنها جريدة التايمز فكانت تفتحها وتترجم ما فيها من أخبار وتوزعها على الجرائد بأجر معلوم فاذعن ولتر لهذا الحكم الجائر مدة ثم ثار على مصلحة البريد فقطعت عنه الجرائد الواردة باسمه ولكنه توصل بواسع حيلته إلى الحصول على ما أراد من الأخبار . وفى سنة ١٨٠٧ انبرى للموضوع وبسطه على صفحات التيمز فقاضته الحكومة وبعد أشهر قليلة عاود الكرة مرة أخرى مقدما الأدلة على صحة شكواه فحاولت الحكومة أن تشترى سكوته فلم تفلح وأخذها الدهش من هذه الجرائد التى لا تشترى بمال . وفى سنة ١٨١٠ نشر جون والتر بيانا مطولا بما اتخذته الحكومة من المحاولات لمنع الأخبار الخارجة عنه بحجز الرسائل الواردة باسمه وبعد ذلك اعلنته انها ستفرج عنها تفضلا منها فرفض .

زعيمة الصحافة الاوربية

واعتبرته الحكومة خصماً عنيداً فشمر عن ساعد الجد وعمل على زيادة التحسين فى التيمز ونيل الحرية للصحافة الانكليزية . ولم يترك وسيلة ، كبرت أو صغرت ، إلا اتخذها فى سبيل التقاط الأخبار الصحيحة . ففى سنة ١٨٠٥ كان أول من أذاع خبر انهزام ماك فى مدينة ألم ومعركة الطرف الأغر ومصرع نلسن ومعركة استرليتز . وفى سنة ١٨٠٦ معركة بيتنا واورسدات وفى سنة ١٨٠٧ معركة فريدلاندو وفى سنة ١٨٠٩ خبر الاستيلاء على فاشنج وهذا نشرته التيمز قبل أن يصل إلى الحكومة من مصادرها بثمان وأربعين ساعة . وعين والتر مراسلين أكفاء للتيمز فى جميع مدن أوربا واستمر مجاهداً فى سبيل استقلال التيمز وتزويدها بالأخبار وجعلها قائدة للرأى العام ولسان حاله . وقد ضمت التيمز إلى أسرتها نخبة من كبار الكتاب وفحولهم ومنهم المستر بارتر وقد تولى التحرير من سنة ١٨١٧ - ١٨٤٠ فدعيت التيمز بحق « زعيمة الصحافة الأوربية » .

معاهدة برلين

اعتزل المستر دبلاين العمل فى خريف سنة ١٨٧٧ وخلفه المستر توماس تشينزى وذاعت شهرة مكاتب التيمز فى باريس المسيو هنرى بلوفتز وكان عبقريا فى جلب الأخبار الصحيحة ومن أهم أعماله التى كللت بالنجاح حصوله على نص معاهدة برلين سنة ١٨٧٨ وقد ظهرت بأكملها فى التيمز فى صباح اليوم التالى للتوقيع عليها فى برلين ومن جملة أعماله نشره حديثا له مع قداسة البابا ليو الثامن وحديثا آخر مع السلطان عبد الحميد .

وفى سنة ١٨٧٩ أدخل على أدارة مطبعة التيمز تحسينات هامة واستبدل بجمع الحروف باليد آلة ميكانيكية يمكنها جمع ٢٩٧ سطرا مجموع حروفها نحو ١٧٠٠٠ حرف فى ساعة .

معارضة الجريدة لسياسة غلادستون

وفى فبراير سنة ١٨٨٤ توفى المستر تشينزى رئيس التحرير فخلفه المستر « جورج باكل » وهو أحد خريجى اكسفورد وكان عمره ١٩ سنة ، واشتهرت التيمز فى ذلك العهد بمعارضتها لسياسة

غلادستون رئيس الوزارة البريطانية فنددت به فى شأن ما اتخذه من الاجراءات الخاصة بالسودان والتى آلت فيما بعد إلى سقوط الخرطوم ومصرع غوردن ، والاجراءات الخاصة باعطاء الاستقلال (هوم رول) لارلندا وفى ذلك العصر ازدادت المنافسات السياسية الحزبية وفشا الفساد وكثرت الدسائس فأحرج مركز التيمز وكادت تروح ضحية الانباء التى كانت تصل اليها مشوهة فانبرت لاظهار الحقيقة وانتصرت على خصومها .

وحالما اعتزل غلادستون رئاسة الوزارة عقب فشل مشروعه الخاص « بالهوم رول » لارلندا فى سنة ١٨٨٦ عادت التيمز إلى سابق سؤددها .

وفى سنة ١٧٩٢ تلبية للسرعة المطلوبة بعثت إلى باريس مراسلا خاصا ، وهكذا استطاعت التايمز الحصول على حوادث المذابح التى وقعت فى شهرى أغسطس وسبتمبر سنة ١٧٩٢ وتنفيذ حكم الاعدام على الملك لويس فى شهر يناير سنة ١٧٩٣ وعلى الملكة مارى انتوانيت فى شهر أكتوبر

اشهار فرنسا الحرب على انجلترا وهولندا

وفى شهر فبراير سنة ١٧٩٣ كانت التايمز أول من أذاع فى انجلترا خبر اشهار فرنسا الحرب على انجلترا وهولند. ورغما من الصعوبات التى صادفتها فقد أمكنها استبقاء مراسلها فى باريس وتعيين مكاتبين لها فى جميع المدن الكبيرة الواقعة على الحدود.

وقامت فى وجه التايمز عقبات كثيرة من منافسيها الذين لم يقدروا على مجاراتها فى الاتيان بالأخبار الصحيحة ولكنها ذللتها كلها وبلغ عدد ما وزعته من النسخ يوميا فى أوائل سنة ١٧٩٤ - ٤٣٠٠ ثم ارتفع هذا الرقم إلى ٤٦٠٠ وفى فاتحة سنة ١٨٠٠ أصدرت كشفا مطولا بالحوادث الهامة التى كان لها فضل السبق فى إذاعتها.

الحكم على مؤسسها بغرامة

وفى سنة ١٨٧٦ وكانت التايمز تعرف حينئذ « با سجل اليومى العام » حكم على صاحبها جون والتر بغرامة قدرها ١٥٠ جنيها لقذفه فى حق اللورد لافبورو رئيس قضاة انجلترا. وفى سنة ١٧٨٩ أذيع فى التيمز أن دوق جلوستر ودوق كمبرلند لم يكونا مخلصين

فيما أظهراه من السرور لشفاء الملك بعد الاعتداء الذى وقع عليه فى سنة ١٧٨٨ فاعتبر ذلك قذفا وحكم عليه بغرامة قدرها ٥ ج والسجن مدة سنة .

وحدث أن ذهب اللورد رندولف تشرشل وزير المالية وزعيم مجلس النواب الانجليزى يومئذ وهو والد مستر ونستون تشرشل رئيس الوزارة البريطانية السابق ، إلى ادارة التايمز وأبلغ رئيس تحريرها أنه قد استقال من وزارة اللورد سالسبورى مع أنه لم يكن قد قدم استقالته بعد الى الملكة فكتوريا فى الحال أمر رئيس التحرير باغلاق جميع أبواب الادارة فبقى اللورد رندولف فى أحد المكاتب إلى أن تم طبع الجريدة وأخرجت للبيع . ولبثت مركبة اللورد تنتظره وكاد جوادها وسائقها يموتان من البرد .

واشتهرت التايمز فى خلال حرب البوير «١٨٩٩ - ١٩٠٢» بنشر أصدق أخبارها ، وعند ختام الحرب أصدرت «التايمز» تاريخا لها يعد من أحسن المصادر . وفى ٢٢ يناير سنة ١٩٠٢ توفيت الملكة فكتوريا وقد بلغت التايمز أوج مجدها الصحفى .

وقد أقامت التايمز الوزارات وأسقطتها ، ورفعت الملوك ورؤساء الوزارات فى البلاد الأجنبية وخفضتهم . وهى تحاول دائماً أن تجرى على شرعة الانصاف كما تراها ، فلذلك تجدها قد ألهبت

بسوطها أصحاب المصانع وجماعات العمال على السواء، يوم رأتهم يستحقون ذلك . ولم تخش فى يوم من أيامها تنكر الجماهير لها .

ففى الحرب العالمية الأولى هاجمت لورد كتشنر المتخبط المضطرب وكان يومئذ قائداً عاما للجيش البريطانى ، وبطلا عند البريطانيين ، فهال الناس يوم علموا أن نسخة من التايمز قد أشعلت فيها النار فى ساحة البورصة فى لندن ، ولكن الجريدة ظفرت بما تريد ، فقد صار لويد جورج رئيسا للوزارة ، وأنشئت هيئة أركان الحرب ، فعززت بذلك وسيلة الظفر فى الحرب ، وثبت صدق نظر التايمز

وإن إقدامها على مواجهة الرأى العام المعارض لرأيها حين ترى نفسها على حق ، صفة من الصفات التى تميز هذه الصحيفة العريقة . وتستطيع أن ترد عشرات من مشروعات الإصلاح الاجتماعى والبرلمانى إلى ماتبديه من الرأى فى مقالاتها الافتتاحية . وقد بدأت منذ سنواتها الأولى تكافح من أجل نشر الأخبار والتعليق عليها تعليقاً حراً دون تدخل من الحكومة ، فاقتضى ذلك منها نضالا عنيفاً مع رجال من أمثال « وليم بت » ، ومع مصالح فى الحكومة مثل مصلحة البريد .

فالصحف الأولى كانت تعتمد على إعانة الحكومة وعلى أجور خاصة تنالها من أجل أن تنشر بعض الأخبار، وأن تحبس أخباراً

أخرى. وقد جرى جون والتر منشىء التايمز على هذا النهج، ولكنه كان برماً به، وكان يخرج عليه فى الحين بعد الحين فيسدد سهامه إلى رجال الحكم. وقد حكم عليه مرة بأن يقيد ويعرض ساعة لاحتقار الناس، وأن يسجن ستة عشر شهراً، فلما خرج كان أدنى إلى الحذر والعزم جميعاً. وقد حوكم ابنه من بعده لأنه تحدى ما كان للحكومة من سلطان على الصحافة.

وقد توسلت الحكومة بقوانين الضرائب واللوائح والرخص لكى تخضع التايمز لإرادتها، وصارت مصلحة البريد ترجىء تسليم مراسلاتها، وهددتها بإلغاء حقها فى أن ترسل الرسائل بالبريد، ولكن النصر عقد للتايمز فى آخر الأمر، فجعل مناصرتها لمبدأ حرية الصحافة مبدأ قائماً على الزمن.

وقد اهتمت التايمز بألوان أخرى من الكفاح. ففى سنة ١٨٤٠ مثلا أنفقت مالا كثيراً فى كشف مؤامرات الماليين الدوليين مزورى رسائل اعتماد البنوك.

وقد أصابت من وراء هذا نجاحا ورواجا، وعوضها تجار لندن أجرا رفضته ثم قبلته على أن يخصص جوائز توزع على طلاب العلم باسم التايمز. وفى ١٩٢٩ منحتها الحكومة البريطانية ترسا كترس النبلاء. وعلى الترس صورة ذراع تتقاذف منها الصواعق

ومن هنا أطلق على التايمز « الرعاد » . وكانت التايمز تصدر فى الحرب الأخيرة فى ست صفحات ، وفيها باب لرسائل القراء وهو ممتع ، وفى الصفحة الأولى اعلانات منوعة دقيقة الحروف . ولم تكن تحفل بالعناوين الضخمة المثيرة للاهتمام .

وأنقذ الأمريكيان هوارس أفريث هوبر ووليم مونتجمرى جاكسون التايمز من خطر الافلاس بجعلهما طبعة دائرة المعارف البريطانية تصدر باسمها

ثم اقنع هوبر اللورد نورثكليف بشراء التايمز وفى سنة ١٩٢٢ اشترى جميع أسهمها جون والتر الحفيد الأكبر لمؤسسها ، والكولونيل جون آستور .

وصحيفة التايمز هى الصحيفة الوحيدة التى تعد مؤسسة قومية ، وقد أراد صاحباها أن يضمنا ، أن لا تكون فى المستقبل سلعة تباع لأكبر مزايد ، وأن لا تقع فى أيد غير صالحة ، فألفا لجنة وجعلا لها حق منع بيعها إذا رأت ذلك ، ومن أعضاء هذه اللجنة قاضى القضاة ورئيس الجمعية الملكية ومدير مصرف انجلترا ، وقد ألقت التايمز على الناس دروسا كثيرة ، وهذه الخطة التى وضعت لكى تضمن استقلال جريدة عظيمة باقامة وصاية شعبية عليها ليست أقل هذه الدروس شأنا وخطرا .

هذا وقد أصدر « اتحاد الصحافة » بيانا عن قوة صاحبة الجلالة جاء فيه : —

تصدر فى بريطانيا ١٥٧٧ جريدة يومية و ٣١١٩ مجلة

وكل مائة أسرة فى بريطانيا تشترى :

٩٥ جريدة صباحية ،

٧٥ جريدة مسائية ،

١٣٠ مجلة من مجلات يوم الأحد ،

١٦٥ مجلة أسبوعية وشهرية .

ويقول البيان : « ان أصدق مقياس لحضارة أية أمة من الأمم هو مقدار ما تستهلكه من ورق الصحف . وعلى هذا الأساس نجد أن نسبة ما تستهلكه بريطانيا من ورق الصحف تلى مباشرة نسبة ما تستهلكه أمريكا ، وإذا قدرنا أن الجزء الأكبر من الصحف الأمريكية يضيع فى الاعلانات والصور ، وجدنا أن بريطانيا تستهلك أكبر كمية من ورق الصحف المخصص للاخبار والمقالات .

الفصل الثامن عشر

الصّحافة فى فرنسا

اجتازت الصحافة فى فرنسا أربع مراحل :

المرحلة الأولى إلى آخر عهد نابليون ، إذ كانت الصحافة تحت سلطة الحكام بأسرهم فى العهد الملكى ثم فى عهد الثوار وتحت سلطة نابليون الأول . أما المرحلة الثانية ففى عهد الملكية الثانية إذ نعمت بالكثير من الحرية والانتشار والتعدد والتخصص إلى جانب التعميم فقد كانت الصحافة قبل ذلك إما عسكرية وإما فنية واما أدبية

وأما المرحلة الثالثة فتبدأ منـــذ عهد الجمهورية على أثر انتهاء حرب ١٨٧٠ ، حرب السبعين ، التى هزمت فيها ألمانيا فرنسا واحتلت باريس وضمت ولايتى الالزاس واللورين . كانت الصحافة يومئذ حرة ، منتشرة ، كثيرة كثرة الأحزاب ، طافحة بالانتقاد والحملات على الوزارات وساعيـة إلى اسقاطها وفضح عيوبها .

وحسبنا أن نذكر حملة جريدة الفيجارو من محررها مسيو كالميت على مسيو كايو قبيل الحرب العالمية الأولى ونشرها فضائحه مما أثار ثائرة حرمه مدام كايو ودفعها الى اغتيال حياة المحرر الهجاء، وتبرئة المحلفين لها بحجة دفاعها عن الشرف !

أما المرحلة الرابعة فتبدأ منذ ظهور النازية واستخدامها الكثير من الصحف الفرنسية لترويج الصداقة الألمانية الفرنسية والتنديد بالصداقة البريطانية الفرنسية ، مما كان من أثره نشر روح الهزيمة فى نفوس الشعب ، وهو أحـــد العوامل فى سحق ألمانيا النازية لفرنسا. هذا وقد ظهرت الصحف السرية فى فرنسا وكانت بريطانيا وأمريكا تغذيها بالمال وتقوى فيها روح المقاومة .

وقد فقدت الصحافة فى فرنسا منذ يومئذ إلى اليوم ثقة الشعب الفرنسى والرأى العـــام الأجنبى كثيرا ، منذ وضح أن كثرة الصحفيين الفرنسيين يمكن أن يصبحوا أداة للمالين والأجانب .

وها نحن أولاء نوضح هنا ما تنعم به صحف فرنسا من مزايا :

تتألف الصحيفة الباريسية الكبرى من عدد كبير من المحررين والمخبرين والمصورين وهم على درجات يتخصص الواحد منهم بالفرع الخاص به فرئيس التحرير يقوم بالاشراف على كل مايتعلق بتحرير الجريدة ، والمدير الفنى ينسق العدد ويعده ويخرجه فى

الوقت المحدد له ، وسكرتير التحرير يهتم بالرسالات ودرسها والمقابلات وغيرها ، والمحرر يواظب على تأدية عمله فى مكتبه فى تلخيص أقوال الجرائد وترجمة البرقيات والتعليق عليها بحسب أهميتها ، والمخبر يتجول من محل الى آخر يتسقط الأخبار ويلتقط صور الحوادث المحلية . وهناك محررون لكل فرع من فروع الهيئات الاجتماعية والعلمية والصناعية والتجارية والحربية الخ . أما المندوب الخاص فهو الذى ترسله رئاسة التحرير فى أحوال استثنائية لموافاتها بالمواد المهمة .

والصحفيون فى باريس على أنواع : فالصحفى البـاريسى أى المحرر فى إحدى الصحف والمجلات التى تصدر فى باريس ، له امتيازات كثيرة فيها ، وتتنوع هذه الامتيازات باختلاف أنواع صناعته فالناقد السينمى المسرحى له بطاقة يدخل بموجبها جميع دور المسارح والسينما ، ولكل جريدة مخبر فى وزارة ومصلحة له حق دخولها والمخبر البرلمانى لا يعترضه أحد فى « سياحاته البرلمانية » وهكذا كل نوع منهم له بطاقته التى تخول له الدخول فى الفرع الخاص به .

والصحفى الاقليمى ، أى محرر أو مكاتب الصحيفة التى تصدر فى الأقاليم الفرنسية ، يمنح امتيازات أقل شأنا من امتيازات الأول .

والصحفى الأجنبي المراسل يتمتع بامتيازات هى دون الأولى والثانية بكثير .

ففى مجلس النواب مثلا شرفة خاصة بالصحافيين الباريسيين الإقليميين يؤمونها فى كل جلسة ، وأخرى للمراسلين لا يسمح لهم بارتيادها إلا باذن خاص ولمرات معدودة وللحصول على هذا الاذن على الصحفى أن يقدم طلبا الى إحدى نقابات الصحافة الأجنبية الثلاث فترسل اليه بعد التحقق منه تذكرة تخوله الدخول لخمس مرات فقط .

ولكى يفرق البوليس بين أنواع الصحفيين الثلاثة منح كل منهم بطاقة مختلفة الألوان للتمييز بينهم ، وهى ترجو رجال الأمن العام تقديم التسهيلات الممكنة لحاملها وتسمح لهم باختراق الحواجز فى الجرائم والحوادث المهمة ودخول محطات السكك الحديدية بدون دفع الرسوم المقررة ، ولسياراتهم بأن تتقدم السيارات الأخرى (إذا أمكن) عند مفترق الطرق وهى تقوم مقام تذكرة تحقيق الشخصية .

أما التنقلات فى المترو والترام والأتوبيس فلهذه البطاقة عند إبرازها الأولوية فى صرف التذاكر لحاملها وهى تسمح له بأن يتخذ الطريق المعاكس فى النزول والصعود الى ومن محطات المترو .

أما نقابات الصحف فى باريس فهى .

١ — نقابة الصحافيين الفرنسيين المؤلفة من المحررين الموظفين

٢ — اتحاد الصحافة الفرنسية . وأعضاؤه من أصحاب الصحف والمجلات .

٣ — الجمعية العمومية لنقابات واتحادات الصحافة المؤلفة من المحررين الموظفين وأصحاب الصحف والمجلات - وهى التى حددت مرتب المحرر العادى بألف ومائتى فرنك ، وانشأت صندوقا للصحافيين الفرنسيين المتقاعدين يضمن لهم معاشا كافيا ويقيل منهم من يصاب بعاهة أو مرض يقعده عن العمل ويعتنى بعائلاتهم ...

٤ — نقابة صحافة المقاطعات والاقاليم .

٥ — ثلاث نقابات للصحفيين الأجانب تضم ألفى عضو .

٦ — الاتحاد الدولى العام للصحافيين المشترك فيه صحافيو أربعين دولة أنشىء للدفاع عن مصالحهم والمحافظة على حقوقهم .

ولهم ناد تم حديثا يجتمعون فيه على اختلاف نزعاتهم ، فهل هو قريب ذلك اليوم الذى نفهم فيه ان مهنة الصحافة عندنا هى فوق النزعات الحزبية ؟

وتتمتع صحافة باريس بحرية تحسدها عليها صحافة العالم ، تنتقد المسئولين من رئيس الجمهورية إلى أحقر موظف انتقادا تعاقب

عليه الحكومات الأخرى بالسجن والتعطيل ، غير أنها مقيدة بقوانين المخالفات والجنح والاجرام .

هذا وقد أسس موريس أكوا ولاتوش ونستور روكيلان « الفيجارو » فى ١٨٢٥ . ثم أصدرها فيلميسان أسبوعية فى ابريل سنة ١٨٥٤ تحت اسم « لى فرانسيه » فراجت رواجا كبيرا لتنوع مواضيعها الشعبية ثم استعادت اسم « لى فيجارو » سنة ١٨٦٦ وظهرت يومية بادارة (هنرى دى روشفور وليوليبيس) وكانت أول صحيفة صدرت فى ست صفحات غير أنها لم تستقر على مبدأ ما فبعد أن كانت شعبية انقلبت الى ملكية وانخذلت فى حادثة دريفوس الشهيرة ولم ينتشلها من عثرتها الاجاستون كالميت فادارها بحزم حتى قبيل الحرب العظمى وأعقبه حموه بريستا إلى سنة ١٩٢٠ (تاريخ تسلمها كاميل ايمار ولويس لاتراروس) ومن يوم حصوله على أغلبية اسهمها وهو يسعى لشراء الأسهم الباقية للتخلص من اشراف بعض (جماعة المجمع العلمى) وكلفته هذه الصفقة عشرة ملايين وستمائة ألف فرنك (١٠٦ آلاف جنيه) وقد أعاد اليها اسمها الأول (فيجارو) وأدخل عليها التحسينات العصرية وتدرج من طبع اثنين وعشرين الفا إلى تسعين الف عدد يوميا وادمج بها جريدة (لى جولوا) التى اشتراها من مدة .

وفى مايو سنة ١٩٢٨ انشأ جريدة (صـــديق الشعب) الصباحية فانتشرت انتشارا هائلا لرخص ثمنها وصدرت حديثا طبعة مسائية لها ولكل منها مطبعتها الخاصة وادارتها المستقلة وبالرغم عن هذا الرواج أنفق عليهما ثمانين مليون فرنك (مليون جنيه) وفيهما من المحررين والمستخدمين مائتان ، ويربو عدد نسخهما اليومية على المليون .

وتمتاز الصحف الفرنسية عن الصحف البريطانية بأن الاولى أكبر حجما وأكثر اهتماما بالعالم الخارجى وأوضح وأصدق أخبارا وأكثر اعلانات ، وأكبر رأسمال .

وهى بصفة خاصة تعنى بتدبيج المقالات وتنويع العناوين والقصص المسلسلة والقصص القصيرة ، وبنقد الكتب ، وبالادب والمسرح والسينما والحياة الاجتماعية .

والصحف الفرنسية على أنواع :

١ — صحف الأخبار ومن أهمها البتى بارزيان وكانت تورع مليونى نسخة ، وهى صحيفة شعبية تطالعها الطبقة الوسطى ، والماتان وهى صحيفة رجال السياسة والموظفين وكانت تطبع ٨٠٠ ألف نسخة ، والبتى جورنال للمزارعين والريف وتطبع نصف مليون نسخة ، والايكو دى بارى للمحافظين وتطبع ربع مليون نسخة .

٢ — صحف الآراء. ويعنى بقراءتها محبو المناقشة والأهواء السياسية الخاصة

وأهم صحف هذا القسم « الأوفر » صحيفة الديموقراطيين المستقلين وتطبع حوالى ٢٥٠ الف نسخة. و« السكوتيديان » صحيفة الاشتراكيين المتطرفين و« الأكسيون فرانسيز » صحيفة الملكيين.

ويلى هذه الصحف أهمية من جرائد الآراء: « الاكلير » و« الافنير » لسان حال العصبة الوطنية و« الامانيتية » صحيفة الشيوعيين و« الايرنوفل » جريدة الاشتراكيين المتطرفين.

٣ — الصحف الفاخرة. وهى جرائد أهل الطبقة العالية ومن يقرأون للتلذذ. وأهم هذه الصحف: « الفيغارو » جريدة المحافظين و« الغلوى » محافظة كذلك. و« الاكسلسيور » مستقلة مصورة.

٤ — الصحف الخاصة. وهى صحف المسرح، والألعاب الرياضية، والعسكرية والمالية والاقتصادية وأهمها: « كوميديا » للمسرح و« الاوتو » و« الايكودى سبور » للالعاب الرياضية و« فرنسا العسكرية » للجندية. وللشؤون المالية نحو عشر صحف معروفة عند رجال البورصة ومن يشتغلون بالأسهم المالية والمضاربات

٥ — جرائد الظهر والمساء. وهى متعددة المنازع. وأغلبها لا عناية له بالأخبار الخارجية. وبعضها يأتى بأخبار متأخرة ولكنه

يعنى بالتدقيق فيها ولا يذيع إلا ما يتأكد من صحته.

وكان أهم جرائد هذا القسم: «الانفورماسيون» و«بارميدى» من ألسنة حال الديموقراطيين. و«الطان» صحيفة الجمهوريين المستقلين و«الجورنال دى ديبا» جمهورية حرة. ولكل من الطان والديبا شهرة واسعة بما تنشره من المباحث الأدبية والأخبار الخارجية و«الانترنسيجان» جمهورية وطنية، و«لا كرو» (الصليب) صحيفة الكاثوليك وهى أكثر الصحف الفرنسية مشتركين فى فرنسا إذ يبلغون حوالى ٨٠ الف مشترك. و«بارميدى» وهى ديموقراطية مستقلة.

٦ — الصحف الأجنبية. وأكثرها باللغة الانجليزية.

وأشهرها جريدة «الدايلى مايل» الانجليزية (طبعة لندن) ثم «النيويورك هرالد» و«الشيكاغو تريبون» وأخيراً «بارى تايمز» وهى صحيفة مستقلة لجماعة من الأمريكان المقيمين فى باريس و«أمريكا اللاتينية» وهى صحيفة أسبوعية تطبع بالاسبانية والبورتغالية والفرنسية.

وقل أن تخلو مقاطعة من المقاطعات الفرنسية من جريدة يومية وأكثر هذه الصحف يومية وتصدر فى ٦ صفحات أو ٨ صفحات ولكثير منها، وعلى الأخص صحف ليون ومارسيليا وبوردو وتولوز

ونيس ، مراسلون خصوصيون فى باريس وبعض مدن أوربا . وتجمع حروفها كلها باللينوتيب . ويطبع أكثرها على الآلات الرحوية

ولكثير من جرائد باريس وجرائد الأقاليم ملحقات أسبوعية مصورة للأزياء والزراعة والشؤون النسائية والفكاهية .

وكانت إدارات الصحف الفرنسية محشورة فى دور أرضية أو عمارات فى الشوارع الضيقة . ولا يزال شارع مونمارتر يحوى إدارات الجرائد اليومية الصغرى وكثيراً من إدارات الجرائد الأسبوعية ، فاذا حلت ساعة الظهر وجدت المحررين ورؤساء التحرير محيطين بموائد المطاعم يتناولون طعامهم وسط الأحاديث الشائقة وتبادل النكات الطريفة

وأشهر إدارات الصحف اليومية فى باريس إدارة « الماتان » وإدارة « الطان » فى الجران بولفار وادارة « البتى باريزيان » فى شارع لا فاييت . وادارة « الجورنال » فى شارع ريشيليو وفيها مسرح وقاعة بديعة للتمثيل والمحاضرات فى الدور الأعلى .

وآخر المنشآت الصحافية بباريس إدارة جريدة « الانترانسيجان » وقد جهزت بأحدث معدات الطباعة وحفر الكليشهات ومكاتب الادارة والتحرير .

المجـــلات الباريسيه

يرجع تاريخ انشاء المجلات فى فرنسا إلى مفتتح القرن التاسع عشر. ومنذ ذلك العهد أخذت تتزايد ويتسع نطاقها حتى زاد عددها على ٤٠٠٠ مجلة. والاكثرية الساحقة منها مجلات عامة ترمى إلى تنوير قرائها وتزويدهم أسبوعياً أو كل أسبوعين أو شهر بمعلومات عن الحركة الأدبية والعلمية والاجتماعية.

وقد أدرك جمـــاعة الناشرين ما تتطلبه الجماهير من ضروب المباحث اللينة السهلة. فأرغموا كبار الكتاب والاكاديميين على التنزل إلى ما يرضى السواد الأعظم من الشعب.

واستعان هؤلاء الناشرون على نشر مجلاتهم وترويجها بالتفنن فى تصويرها. بل عمد بعضهم إلى إصدار مجموعات دورية ليس فيها الا الصور. وبعد أن كانت مجـــلة «الالستراسيون» قاصرة على فريق من الخاصة أصبحت مجلة الفئة المنورة. وقل ان يخلو منها ناد خاص أو قهوة عمومية. وذلك لجمعها بين الصور الأنيقة والفصول الممتعة التى يدونها كبار الكتاب.

وأقدم المجلات الفرنسية وأرسخها قدماً فى المباحث العلمية

والأدبية « مجلة العالمين » . وهى تصدر نصف شهرية مطبوعة على الورق الخشن خالية من الصور والرسوم. وفى كل عدد منها خلاصة تاريخية دقيقة للحالة السياسية وأخبار الحركات الأدبية والعلمية والفنية والمسرحية فى فرنسا ونظرة شاملة الى الأدب فى البلاد الأجنبية . ومنذ نشأت مجلة العالمين وهى محتفظة بلون غلافها الأحمر الداكن .

ويلى مجلة العالمين فى الأهمية « مجلة باريس » ذات الغلاف الأصفر الذى لا يتغير . ومباحثها أقل عمقاً من مباحث مجلة العالمين ، وفى كل عدد منها مذكرات وتأملات ومراسلات وتراجم بأقلام فريق من الكتاب المعروفين بغزارة المحصول والاطلاع .

ثم « مجلة فرنسا » وهى تزين غلافها بصورة فتاة تنثر البذور إشارة إلى الغرض الأصلى من انشائها وهو نشر العلوم والآداب . وتمتاز على سابقتيها بوفرة ما فيها من القصص واذاعة دخائل التاريخ .

ويقول المسيو فرنان لادو العضو فى المجمع العلمى الفرنسوى إن القارىء الذى يواظب على قراءة هذه المجلات الثلاث ويكتفى بها عن سواها قل أن يفوته شىء من ضروب الأبحاث الناضجه والوقوف على التطورات العلمية والأدبية فى فرنسا والخارج .

وتأتى بعدها مجلة « مركوردى فرنس » من أقدم المجلات النصف الشهرية وهى مشهورة عند قرائها باستقصاء الشؤون الادبية وأخبار

العلم والصحافة والادارة فى البلاد الأجنبية .

والمجلة الزرقاء كانت تصدر أولا باسم المجلة العلمية ومباحثها الآن أدبية سياسية تلذ لمحبي النظر فى الشؤون الحاضرة وطلاب المقالات القصيرة

ثم « المجلة العالمية » وكانت تعرف أولا باسم « مجلة المجلات » ثم باسم « المجلة » ومعظم مباحثها باقلام جماعة من الكتاب الأجانب وإلى جانبها مقتطفات قيمة من المجلات الأجنبية وصور هزلية للاعلام الفرنسيين والأجانب الذين تتداول الصحف والأقلام أسماءهم . وشعارها « خير الكلام ما قل ودل » .

والمجلة العمومية ، وفى كل عدد منها أربع مقالات يعالج فيها مشاهير الكتاب أهم شؤون الحياة الفرنسية الحاضرة .

ثم « لايزنال » وهى صحيفة أسبوعية تجمع بين الصور والمقالات القصيرة فى ٢٠ صفحة كبيرة . مباحثها شائقة سهلة ترضى من يريد الاطلاع العام والاكتفاء بنظرة أو نظرات للوقوف على الأحوال الحاضرة سواء فى عالم الكتب أو المسرح أو الألعاب الرياضية أو غيرها .

و « المجلة السياسية البرلمانية » مجموعة شهرية تتضمن مباحث تحليلية للشؤون السياسية والتشريعية فى فرنسا والخارج .

و « المباحث » وهى مجلة كاثوليكية يديرها الاباء اليسوعيون فى فرنسا .

ومجلة «فرنسا أمريكا» وهى لسان حال اللجنـــة الفرنسية الامريكية وأهم مباحثها دراسة المسائل الامريكية الاقتصادية والتجارية والمالية. وتغذى قراءها بأخبار حركة المطابع والفنون فى فرنسا وأمريكا.

أما أشهر الصحف الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية فهى:

Le monde ; Le combat ‘ Parisien Libere

وأشهر مجلات فرنسا فى الوقت الحاضر:

Revue de paris لنقد الكتب و Paris , Fontaine ،

Le Mode Francais , La Nef ,

الفصل التاسع عشر

الصحافة في ألمانيا

لم تعرف الصحافة الالمانية الحرية الصادقة إلا فى فترة وجيزة هى التى بدأت على أثر هزيمة ألمانيا فى ١٩١٨ وانشاء الجمهورية والاحزاب السياسية العديدة . أما قبل ذلك فقد كانت مقيدة ، وكانت تعنى بالعلوم والمخترعات والفنون أضعاف عنايتها بالسياسة . أما فى عهد هتلر ، فقد جعل جوبلز وزير دعايته الصحافة الالمانية أداة نازية ، وبوقا لهتلر . ففقدت أهميتها ، إذ أصبحت أسيرة وكان فى ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) ثلاث دور للصحافة : أولشتاين . وموسى ، وشيرل ، وهى بين الفخامة وصغر الحجم ، كثيرة الانتشار ، كثيرة التنوع والتخصص يكتب فيها أعلم العلماء ، وأمهر الفنيين . وزاد انتشار بعضها على المليون نسخة .

وبنى اخوان (اولشتاين) دارا جديدة فى ضواحى برلين لتأوى مطبعتهم العظيمة ، وهذه الدار فريدة فى نوعها بما ضم من أنواع

الطباعة وهى أكبر دار للصحافة . أما أصحاب هذه الدار فهم اخوة اربعة ترك لهم والدهم مركزا صحافيا جيدا عرفوا كيف يستثمرونه بما فطر عليه الالمان من الاجتهاد وحب النظام والاتقان ، فقسموا العمل بينهم فتولى أحدهم ادارة التحرير ، والآخر ادارة القسم الفنى ، والثالث إدارة القسم الادارى ، والرابع ادارة الشؤون القضائية التى تعرض لدارتهم وظلوا يعملون متكاتفين مثابرين الى أن أدركوا ذلك التقدم الباهر . وفى الدار يحتشد آلاف العمال للعمل كأنك فى قصر فخم أنيق جميل شيد على أبدع نظام لايقع فيه نظرك فى أى جانب منه على أثر للحبر أو شبه قذارة ، وكأن أولئك العمال كتبة من أرق الطبقات . وهاك التفصيل التالى :

(١) تبلغ مساحة ماتشغله دور اولشتاين فى برلين وضواحيها ٧٠٠٠٠ متر مربع

(٢) يشتغل فى محلات أولشتاين ٨٢٥٣ نفسا منهم ٢٠١٢ كاتباً ومحررا ورساما و ٣٤٤٣ فنيا وعاملا فى المطابع و٢٧٩٨ بائعا ووكيلا فى العاصمة والأرياف

(٣) لدار اولشتاين ٢٢٠ مراسلا خاصا منهم ١٨٦ فى المانيا نفسها و ٣٤ موزعا بين عواصم الدول فى جميع أقطار العالم

(٤) يمكن التكلم والكتابة فى دار أولشتاين بـ ١٨ لغة متنوعة

(٥) يدفع أولشتاين شهريا لمصلحة البريد خمسة آلاف جنيه أجراً لمراسلاته

(٦) يتصل محل أولشتاين بالمدينة بواسطة ٩٢ رقم تليفونى رئيسى و ٥٤١ فرعا داخليا

(٧) بلغ مقدار ما استهلك من الورق فى السنة الاخيرة ما قيمته نيفا وثلاثة ملايين من الجنيهات ومن الحبر ما زنته ٦٢٥ طنا

(٨) فى مطبعة اولشتاين ٧١ آلة روتاتيف لطبع الجرائد و ٦١ روتاتيف لطبع المجلات المصورة و ٥٨ آلة طباعة مسطحة و ١١ آلة طباعة على الزنك و ٤ آلات كبيرة روتوغرافير و ٦٦ منضدة لجمع الأحرف

(٩) تخرج دار أولشتاين فى الساعة الواحدة ٣٦٠,٠٠٠ نسخة من جريدة يومية

(١٠) يملك اخوان أولشتاين ١٠٣ سيارات نقل كبيرة ومركبين بخاريين و ٣ طائرات لنقل جرائدهم ومراسلاتهم المستعجلة

واليك أسماء الصحف التى تصدر عن هذه الدار مع بيان ما تطبع منها ونكتفى بذلك تاركين للقارىء مجال التأمل والمقارنة بين تقدمهم وتأخرنا .

جرائد يوميه	مايطبع منها
فوسيش زيتونغ	٥٤٢٨٠
ملحق يوم الاحد من زيتونغ	٦١٥٦٠
زايت بيلدر	٦٢٢٣٠
برلينر مورجن بوست	٥٦٤٠٢٠
ملحق الاحد من مورجن بوست	٦٢٦٧٢٠
برلينر مونتاج بوست	١٢٩٧٢٠
جريدة الظهر	١٧٨٧٠٠
برلينر الجماين زيتونغ	٥٥٥٧٠
دى بوست اوس دوتشلاند	٥٨٣٠
تونتج تادش انزايجر	٥٧١٠

مجلات أسبوعية	مايطبع منها
برلينر اللاستريرتى زيتونغ	١٧١٣١٠٠
دى دامى (مجلة للسيدات)	٤٥٠٥٠
مودنفلت (للأزياء)	٧٢١٦٠
بلات درها وسفراو (تدبير المنزل)	١٤٦٤٠٠

مجلات شهرية	
اوهو	١٦٨١٧٠

دی کورالی	٤١٩٣٠
در کوبر شنیت	١٣٠٠٠
نرکیر تیکنیك	٢٦٤٠
باوفلت	١٢٤٠٠

الفصل العشرون

الصِّحافة في إيطاليا

ازدهرت الصحافة فى ايطاليا فى عهد جهادها فى سبيل الاستقلال أى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وزاد عددها وقراؤها وصفحاتها فى القرن العشرين . وكانت تنعم بالحريه قبل عهد الفاشيست ولكن فى عهد موسولينى فقدت حريتها ، وأصبحت بوقا له وأداة لنشر مبادىء الحكم المطلق

وقد صدر قبل الحرب العالمية الثانية الاحصاء التالى عن الصحافة الايطالية ، ولم يصـــدر بعده احصاء جديد منذ هزيمة إيطاليا الى اليوم :

٨١ جريدة يومية

١٣٢٠ من المجلات السياسية

٣٨٥٩ من المجلات غير السياسية

٧٠٠٠ من النشرات الدورية التى ليست لها صفة المجلة

٥٨ من صحف الاخبار الرسمية

٣١ نشرة تصدرها وكالات الصحف الاخبار

واكبر الصحف من حيث العدد المطبوع جريدة كوريرى دلا سيرا التى تصدر فى مدينة ميلانو فطبعتها نصف مليون نسخة ثم جريدة ستامبا التى تصدر فى تورينو (٤٠ ٠٠٠) نسخة . ثم غازته ليوبولو فى تورينو أيضا (٣٠٠,٠٠٠) نسخة . ثم بوبولو ديتاليا فى ميلانو (١١٠,٠٠٠) نسخة ثم مساجيرو فى روما (١١٠,٠٠٠) نسخة ثم جورنالى ديتاليا فى روما ورستو دلكارلينو فى بولونى (١٠٠٠٠٠) نسخة لكل منهما ثم ماتينو نابلى (١٣٠٠٠٠) نسخة ثم تريبونا فى روما (٧٠٠٠) نسخة الخ

وفى ايطاليا ٤٢٨ مجلة دينية منوعة ، والصحافة الكاثوليكية تكاد لا تخضع للرقابة الفاشستية .

وابتدعت ايطاليا (صحف التعليق) وهى الصحف التى تلصق على الجدران لمصلحة الجمهور كما فى روسيا السوفيتية وبعض هذه الصحف يطبع ٥٠ نسخة تعلق حتى فى المستعمرات

الصحفى موسولينى

أجل كان الدكتاتور الايطالى بنيتو موسولينى ، الذى لقى حتفه فى ذيول الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) صحفيا . ومن الصحافة قاد الحركة الفاشية .

كان مكتبه مؤلفا من ثلاث غرف فى بيت قديم متهدم فى شارع « باولو دا كانوبيو » بمدينة ميلانو وكان الورق الذى يغطى الجدران باهت اللون ممزقا ، ومكاتب المحررين مكسرة عرجاء ، وأكثر الكراسى لا مقعد لها .

وكان المحررون غريبى الأطوار جمعهم من أنحاء ايطاليا المختلفة ، ولكن شعلة النبوغ كانت تتقد فى أدمغتهم وشعلة الحماسة فى صدورهم ويتصفون فوق كل هذا بثقة لا تحد بمثلهم الأعلى .

وكان موسولينى يمقت الوثائق والأوراق الرسمية فكان لا يطلب من محرريه شهادات الميلاد ولا شهادات المدارس ولا شهادات حسن السير والسلوك ، وكان يقول « إذا كان ثمة ذكاء فلا يلزم أن يظهر أثره فى مستندات المدارس والكليات » وكل ما كان يقوله لمساعديه « اعملوا هذا وذاك » فاذا أدوا المهمة على ما يرضيه قبلهم

فى عداد محررى الجريدة وإلا انجز العمل بنفسه ثم صحبهم إلى الباب وودعهم وداعا كله لطف وحزم وبهذه الطريقة جمع حوله أبرع صحافيي ايطاليا وأبلغهم عبارة وألذعهم نقدا ثم جمع حول هؤلاء هالة من رجال الفن والموسيقى والخطابة والتنظيم السياسى

وكانت اللوحات معلقة فى كل مكان وقد كتب عليها عبارات الغرض منها تنظيم تصرف المحررين والزائرين الذين كانوا يحاصرون قلم التحرير .

وكتب على احدى هذه اللوحات « من يستعمل خمس كلمات ليقول شيئا يمكن قوله فى كلمة يستطيع أن يرتكب أفظع الجنايات »

وكتب على لوحة ثانية علقها فوق رأسه « من يدخل يشرفنى ومن لا يدخل يسرنى »

وكتب على أخرى وقد رفعت على أحد المكاتب « من لا يستطيع أن يحتفظ بالصمت فى أثناء عمل زميله لا يستطيع أن يحس ببؤس الناس وشقائهم »

وكان معلقا على الجدار العارى علم « الارديتى » الأسود و « الأرديتى » هم الجنود الذين كانوا يتقدمون الصفوف فى ميادين القتال فى أثناء الحرب ويجازفون بأرواحهم قبل غيرهم . وزين العلم بجمجمة

وخنجر من خناجر الخنادق . وكان على مكتبة كومة من الكتب وطائفة كبيرة من أصول المقالات وبينها مسدس كبير ذو عشرين طلقة كأنه علامة استفهام مقلوبة . وفى الجانب الآخر سكين صيد حاد ، وعلى مقربة من المحبرة مسدس صغير وفوق المقالات الكثيرة علبة تلمع بخرطوش المسدسات وفى زاوية الغرفة مدفأة أكل الدهر عليها وشرب .

وكان موسولينى يجهز نفسة ومكتبه بالأسلحة ليدافع بها عن سلامته إذا دعت الحالة إلى ذلك فان خصومه كانوا لا ينقطعون عن التظاهر تحت ادارة جريدته وهم يهتفون هتافات عدائية ضده . وفى ذات يوم حذره أحد مساعديه من شرهم فالتفت اليه باسما وقال : « إن هذا المسدس يصرع اثنين على الأقل قبل أن يصيبنى سوء وليس بين هؤلاء اثنان يجازفان بجلدهما » .

ثم تناول كوبة اللبن التى كانت أمامه وأخذ منها جرعة كبيرة واستأنف الكتابة !

ولم يكن فى مكتبه خزانة مراجع ولكن عقله كان مرجعا لأنه كان يخزن كل مايقرأ أو يرى ، لا يدون فى دفاتره ملاحظات ، ولا يراجع كتب التاريخ والنظم السياسية وكان التفكير عنده هو والعمل صنوين فكان يفكر أينما كان : فى سكة الحديد أو فى المسرح فى الفترات بين

الفصول أو فى أثناء الحديث ، وكان يكتب فى مكتبه الهادىء أو فى جماعة صاخبة من الأصدقاء أو فى المستشفى أو فى ميدان الحرب ورجله دامية أو فى الخندق . وصفوة القول إن بيته أو مكتبه كان حيث يتفق وجوده .

أما أسلوبه الصحافى فكأسلوبه الكلامى قاطع كحد السيف ، وربما كان منشأ ذلك أنه خطيب عظيم وفى خطابته تلك القوة الخفية التى تسحر الجماهير .

* * *

وكان وهو صحفى لا يأكل إلا الخبز والمورتدلا ، وكثيرا ما كان ينام على مكتب التحرير

وكان موسولينى ينشىء المقالات للصحف الانجليزية والأمريكية وكان يربح منها ما يسمح له بالتنازل عن مرتبه كرئيس للحكومة فلم يكن يتقاضاه .

الفصل الحادى والعشرون

الصّحافة فى روسيا

لم تعرف روسيا منذ عرفت الصحافة وأصدرت الصحف ، حرية الصحافة ، وسائر الحريات من حرية الخطابة وحرية الاجتماع . فقد كانت الصحافة فى عهد القياصرة تحت الرقابة الشديدة أو مقيدة مكبلة بالقيود والأغلال ، وكان الكتاب الأحرار أو أشباه الأحرار هدفا للمصادرة والمحاكمة والابعاد والتعذيب .

على أنه مهما يكن من أمر هذه الرقابة يومئذ ، فان حالة الصحف فى عهد السوفييت أسوأ جدا من حالتها قبله . كان هناك صحف تنقد وكتاب ينقدون ويعارضون فى صورة خفية ، وكانوا حقا معرضين للمؤاخذة ، غير أن الرأى العام أو قل الجمهور كان يطلع على بعض ما يريد وعلى أبواب من النقد الجرىء ، كما يقرأ الصحف الخارجية الحرة

أما فى العهد الحاضر ، عهد الشيوعية ، فالصحف بوق للحكم الراهن وأداة لترويج المبادىء الشيوعية ، وهى صحف حكومية ، كتابها موظفون ، وليست هناك أية صورة من صور الانتقاد أوالمعارضة أو الحرية .

صحيح أن عدد الصحف قد زاد كما يقول مارك نورث فى مجلة برسيويش الى عشرة أضعاف عددها فى العهد القيصرى ، غير أن هذه الزيادة أريد منها الدعاية للنظام الجديد لا لخدمة الصحافة والرأى الحر النزيه ، كذلك زاد انتشارها إلى أربعة عشر ضعفا فأصبحت هناك نسخة لكل خمسة أشخاص وذلك فى عام ١٩٣٩ . أما بعدالحرب وأثناءها فقد قلت الجرائد وعدد صفحاتها وأصبحت تصدر فى أربع صفحات زيدت فى ١٩٤٧ إلى ثمان مع الطبع بالألوان

ومن أشهر الصحف الروسية الحاضرة : موسكو وهى مسائية ويرافدا « النجم الأحمر » ، اوجونيوك «رجل الجيش الأحمر» .

هذا ويرأس ج . ف . الكسندروف لجنة الدعاية فى الحزب الشيوعى ، وهى تتولى توجيه التحرير والمحررين . ومن أغراض الصحف هناك : التعليم ، والتنظيم ، وبث الحماسة ، ومدح الحكومة وذم خصوم النظام السوفيتى داخلا وخارجا ، والترفيه ، والجرائم ، متى أريد من نشرها الدعاية لفكرة معينة ، والقصص الصغيرة

والمقالات الاقتصادية ، والدولية ، والثقافية ، والأدبية . ومن محرريها ابرنبورغ وسيمونوف .

وثمة وكالة « تاس » لنقل الأخبار الخارجية .

ويذيع الراديو المقالات الافتتاحية الصحفية ، لأنها معدة رسمياً للدعاية وتعلن الصحف عن المراقص ومباريات الشطرنج والملاهي والبضائع والاعلانات الرسمية عن قضايا الطلاق . أما الاعلانات فيخصص لها ذيل فى الصفحة الأخيرة . كذلك تنشر الصحف أنباء المؤتمرات الدولية والمفاوضات والزيارات الرسمية والمعاهدات وخطب ستالين وأقطاب روسيا فى الميزانية والمشروعات لاقتصادية وتفصيلات محاكمات مجرمى الحرب .

وتعطل الصحف كلها فى يوم الأحد .

وثمة نوع من الانتقاد فى الصحف ، وهو انتقاد حالة المتأخرين فى الشعب ، وقلة الانتاج وضعف المزارع والمصانع ، حثاً لهم على المزيد ، أما انتقاد نظام الحكم وأقطابه ولو من طرف خفى ، فمحرم ويعاقب عليه بعقوبات صارمة تصل إلى الموت .

وقد بلغ ما كان يوزع من « برافدا » و « ازفستيا » قبل الحرب العالمية الأخيرة مليونى نسخة وتنقل النسخ بالجو من موسكو . وتصدر فى المدن الأخرى صحف مثل ليننجراد برفدا وستالينجراد

برافدا ، وعامل باكو ، وعامل الأورال . وفى سنة ١٩٣٩ ، بلغ عدد الصحف ٨٧٦٩ ثلاثة أرباعها بالروسية . والباقيـــة بـ٦٩ لغة أخرى وبين الصحف ٤٣ عامة والباقية محلية . وثمة صحف تجارية ومهنية . ومعنى برفدا : « الصدق » وافستيا : « الأخبار » ، وترود : « العمل » ثم ايفننج موسكو .

ثم إن هناك صحف الشباب ، ومؤتمرات صحفية ، ومحاضرات صحفية ، وكان فى روسيا منذ سنة ١٩٤٢ صحيفة تصدرها الحكومة البريطانية أسمها « الحليفة البريطانية » صدرت بموافقة الحكومة الروسية على أن لايزيد عدد نسخها على خمسين ألفا وكانت تنشر الأخبار البريطانية مثل خطب رئيس الوزارة البريطانية ووزراء خارجيتها ، والشخصيات البارزة والصور والقصص وأنبـــاء عن العلوم والصناعات والمؤسسات البريطانية .

الفصل الثانى والعشرون

الصُّحفُ السِّرّية

يصاحب الاحتلال الأجنبي أو تقييد الحريات العامة أو محوها فى بلد ما ، تيارات سياسية خفية ، كانشاء الجماعات السرية وتأليف جمعيـــات الارهاب والفوضى ، ومؤامرات الاغتيال ، وتوزيع المنشورات الثورية ، واصدار الصحف السرية .

وكان من آثار احتلال دول المحور للبلاد الأوروبية فى خلال الحرب العالمية الثانية « ١٩٣٩ - ١٩٤٥ » أن صدرت الصحف السرية خلف الغشومة النازية الفاشية وحسبنا أن نذكر من هذا أنه قد صدرت فى فرنسا صحف سرية تبين كل مظاهر الفكر منها جريدة « بير حكيم » التى كانت تقوم كذكرى لحرب ليبيا ، حين حمى الفرنسيون المقاتلون تحت قيادة الجنرال « كوينيج » جناح الجيش الثامن .

وكان فى كل مقاطعة فى فرنسا ، صحف أسبوعية ونصف شهرية تطبع فى أماكن سرية خفية ، ولعل أكبر مظاهر التحدى الذى

فعلته تلك الصحف ، ما كتبته جريدة « لا فرانس تيرير » — و « تيرير » كلمة فرنسية معناها « مطلق النار ، أو الرامى بالرصاص » وهو اسم اقتبسته عن العصابات الفرنسية التى طاردت الجيوش الألمانية فى الحرب الفرنسية البروسية — فقد نشرت هذه الجريدة تحت اسمها هذه الكلمات : « جريدة نصف شهرية إذا أمكن ، وإذا سمحت كياسة البوليس وبيير لافال » .

أما جريدة « ليبراسيون » أى « التحرير والانقاذ » فقد ذكرت أنها لسان حال رجال المقاومة الفرنسية .

وكانت تتولى جريدة « فرانس دابور » — أى فرنسا فى الخارج — نقل أنباء وحركات الوطنيين فى فرنسا .

وكان أهم ما تعنى به هذه الصحف هو إذاعة النشرات الحربية بانتظام ، وتلخيص التقارير والأخبار العسكرية فى دقة تامة وعناية

وكانت « فالمى » أولى الصحف السرية التى تعتبر رمزاً للمقاومة الفرنسية . . . وكانت أول عهدها عبارة عن منشورات صغيرة تلصق على الجدران ، وتحمل عبارات قصيرة بسيطة مثل « يحيا دى جول » . . . أما أول نسخة صدرت منها فى شكل صحيفة فقد طبعت بمجموعة من الحروف المصنوعة من المطاط التى يلعب بها الأطفال ،

ونشرت منها ٥٠ نسخة فقط ، استغرق طبعها شهراً كاملا .

أما فى اليونان فكان هناك ١٣ صحيفة سرية تكون فيما بينها شبكة مطردة الاتساع والانتشار . ولمعظم هذه الصحف مصادر وثيقة للانباء ، فكانت تنشر باستمرار أنباء الحركات فى الميدان الروسى ، وفى شمال أفريقيا ، وفى كل مكان .

أما فى بولندا فكانت الصحف السرية أكثر من ١٠٠ صحيفة ، ومع أن الانصات للاذاعات الأجنبية كان جريمة تعاقب عليها السلطات المحتلة بالأعدام ، فان هذه الصحف السرية كانت تنشر معظم الأخبار الحديثة التى تذاع من الخارج ، وهى إلى جانب العناية بالأنباء كانت تنشر مقالات سياسية ، وبحوثا تاريخية وطرائف فكاهية ، كما أنها كانت تعنى بنشر أسماء أعوان الجستابو السريين وأسماء الأشخاص الذين يتعاونون مع الألمان ، ولقد استطاعت الحركة السرية فى بولندا — بما هى عليه من تضامن وتكاتف — أن تجعل الشعب البولندى فى حالة تأهب واستعداد لمواجهة الموقف ، حين يشن الهجوم العام .

وفى تشيكوسلوفاكيا لعبت الصحافة السرية دور أعظم الاهمية ، فى الايام الاولى للاحتلال الالمانى ، قبيل اندلاع نار الحرب

الحاضرة ، حين أحس التشيكوسلوفاكيون أنهم غدوا فى معزل عن الاصدقاء بعد « اتفاقية ميونيخ » وأن الميدان قد خلا للدعاوى النازية ، فكان للصحافة السرية نصيب الاسد فى مكافحة هذه الدعاوى . ولقد يكون من العسير إحصاء الصحف التى تنشر فى الخفاء ، ولكن هناك خمسامنها — على أقل تقدير — تصدر بانتظام ، حاملة فى جرأة واصرار لواء الجهاد ...

وليست أهمية الدور الذى تلعبه الصحافة السرية فى النتيجة النهائية للحرب ، بالامر الذى يحتاج إلى إيضاح . وقد لخصت هذه الاهمية إحدى الصحف اللندنية المعروفة فى هذه الكلمات : « ان الحقائق التى عرفت عن الصحافة الأوربية السرية ، لتبعث الامل فى نفوس الحلفاء والخوف فى قلوب النازيين ... إن المقاومة السرية فى أوربا لتنمو اليوم فى ضوء من الحقائق الثابتة ، التى تصل إلى المشرفين على إذكاء جذوة هذه المقاومة ... وإن الاخبار الصادقة لهى المورد الاولى لرى الامل الذى يختلج فى الصدور باقتراب يوم الحرية »

الصحف البوليسية

الصحف البوليسية نوعان : الأول صحف حرة تنشر اهم أنباء البوليس ونشاطه وتحقيقاته والقضايا الجنائية والقصص البوليسية المثيرة أما النوع الثانى فتصدره إدارات البوليس ومدارسه كصحف رسمية . ومن هذا جريدة البوليس جازيت فى انجلترا ، فهى تساعد على استتبـــاب الأمن والضرب على أيدى المجرمين والأشرار ومطاردتهم والقبض عليهم . ويقوم بتحرير هذه الجريدة مفتشو البوليس ، ومع أنها تصدر مرة فى الأسبوع فانهـــا تتكلف نحو ١٧٠٠٠ جنية فى السنة وتحتوى الـ « بوليس جازيت » على بعض أشياء هامة لايسمح للجمهور بالاطلاع عليها . وهى توزع عادة على مراكز البوليس فى جميع أنحاء انجلترا والمستعمرات .

ومن بين أقسامها قسم خاص بنشر صور الهاربين من المجرمين والفارين من الجيش والبحرية ويعمد (الكونستبلات) ورجال البوليس الى قطع هذه الصور ولصقها فى المجاميع التى يحتفظون بها معهم ، وبذلك يسهل عليهم تعقب هؤلاء الفارين والتعرف عليهم .

وهناك قسم آخر خاص بوصف السيارات المسروقة وأرقامها ، وتوزع منه نشرة على شركات السيارات ومحطات البنزين والجاراجات .

وقسم ثالث خاص بوصف الأشياء الثمينة المسروقة وصورها مثل التحف الفنية والمجوهرات وما أشبه ذلك . وتوزع نشرة منه على تجار المجوهرات حتى إذا ماحضر اليهم بعض اللصوص ليبيعوهم أشياء مسروقة عرفوها فى الحال فيتصلون بالبوليس ويلقى القبض على السارقين .

جريدة الغجر

أصدر الغجر منذ ١٥ عاما جريدة كانت عنوانها أمة الغجر فكانت أول مظهر من مظاهر استقلال الغجر كشعب .

وعدد الغجر فى رومانيا يزيد على المليون . وقد حدث أثناء الاحصاء العام الذى أجرى فى رومانيا فى العام الماضى أن اعتبر الغجر (لأول مرة) جنسا من الأجناس المستقلة وكانوا قبل ذلك يعتبرون رومانيين كما لايزال الغجر المقيمون فى هنغاريا يعتبرون هنغاريين

وقد عقد فى ترنسلفانيا (رومانيا) مؤتمر خاص توافد عليه الغجر من جميع أنحاء العالم . وكان الغرض من هذا المؤتمر هو دعوة الشعب الغجرى الى الاتحاد والعمل على رفعه من المستوى الذى تردى فيه . وكان رئيس هذا المؤتمر هو الدكتور نيكوليسكوا الأستاذ بجامعة (كريوفا) وقد نشر هذا الأستاذ فى جريدة الغجر

مقالا رنانا ناشد فيه كبار الموظفين الرومانيين الذين يشغلون مناصب هامة فى الدولة والذين هم من أصل غجرى أن يصرحوا بحقيقتهم وألا يخجلوا من نسبتهم الى الشعب الغجرى .

النساء والصحافة

انتظم فى سلك الصحافة فى مصر والبلاد الأخرى ، الكثيرات من ربات القلم والصحفيات ، ووضح أن الصحافة احدى المهن التى توفق فيها المرأة . كذلك هناك صحف تخصصت للحديث عن المرأة والحركة النسائية وجمعيات الأمهات والسيدات .

وفى مصر الاتحاد النسائى الذى كانت ترأسه المرحومة السيدة الجليلة هدى هانم شعراوى ، والحـــزب النسائى وجمعية السيدات المسلمات ، وجمعية الشابات المسيحيات ولكل جهة صحيفتها ومحاضراتها

مؤتمرات ومعارض صحفية

وعقدت مؤتمرات ومعارض عديدة للصحف . ونذكر فيما يلى ما عقد منها أخيرا على سبيل المثال :

أذيع فى ١٨ مايو سنة ١٩٤٧ من ليك سكسس (نيويورك) أن كلا من أمريكا وفرنسا قد قدمت مقترحات خاصة بتعزيز حرية الصحافة إلى اللجنة المختصة بحرية الأنباء والصحف فى هيئة الأمم المتحدة، وستبدأ اللجنة عملها فى ١٩ مايو ومهمة هذه اللجنة هى اعداد جدول أعمال المؤتمر الدولى الخاص بحرية الصحافة والمنتظر عقده فى عام ١٩٤٨

هذا والمقترحات الفرنسية تقضى بأن يرتبط أعضاء هيئة الأمم المتحدة بالتزامات تكفل لجميع الشعوب حرية الاطلاع على الأنباء ولكنها تعمل فى الوقت نفسه على حمايتها من سوء استغلال هذه الحرية . ويقترح الفرنسيون إنشاء هيئة دولية تنظر فى الشئون الخاصة بالصحف على نمط محكمة الشرف التى أنشئت منذ ١٦ عاما فى لاهاى، ولكنها لم تضطلع بمهمتها اطلاقا

أما المقترحات الأمريكية فتتلخص فيما يلى :

أولا — تسهيل جمع الأخبار ونشرها فى أنحاء العالم .

ثانيا — احترام حق جميع الشعوب فى الاطلاع على أنباء دقيقة شاملة .

ثالثا — انشاء هيئة من المراسلين الأجانب فى جميع المراكز

الرئيسية فى العالم تعمل طبقا لقواعد اخلاقية تسترشد بها

حرية الصحافة فى هيئة الأمم المتحدة

أدرجت لجنة حرية الصحافة التابعة لمنظمة « هيئة الأمم المتحدة » لاجتماع الدورة الجديدة ما يأتى :

١ ـ حرية دخول مراسلى الصحف من الدول التابعة للمنظمة وتنقلهم فى جميع الأقطار .

٢ ـ الغاء المراقبة الصحافية ، وايجاد أجور للبرقيات الصحافية لا تمييز فيها لجميع الدول .

٣ ـ زيادة التسهيلات اللازمة لتزويد جميع المراسلين بالأخبار

٤ ـ دراسة الوسائل اللازمة لتحسين مواد الأخبار

هذا وقد طلبت المنظمة من حكومة لبنان ملاحظاتها على هذه الأمور .

وقد أرسلت اللجنة فى عام ١٩٤٧ هذا البرنامج المقيد فى جدول الأعمال إلى الحكومات المنضمة للهيئة ، واستطلعت هذه الحكومة رأى نقابات الصحافة ، وأعدت ملاحظاتها وبعثت بها الى اللجنة

لكى تكون موضع المناقشة فى الدورة الجديدة .

مؤتمر الصحافة الدولى فى براغ

عقد مؤتمر الصحافة الدولى أولى جلساته بقاعة سلوفنسكى ببراغ فى تمام الساعة التاسعة من صباح يوم ٣ يونيو سنة ١٩٤٧ . وبلغ عدد الدول التى اشتركت فى المؤتمر نحو ٢٣ دولة . ورأس جلسات المؤتمر المستر كيفيون (انجلترا) . وشهد حفلة الافتتاح وزير الخارجية التشيكوسلوفاكية المسيو جان مازاريك ومحافظ براغ وجميع الملحقين الصحفيين بمفوضيات الدول الأجنبية .

وبعد اعلان افتتاح المؤتمر ألقى المسيو مازاريك خطاب ترحيب بالأعضاء نوه فيه بأهمية حضور من ينوبون عن هيئة الأمم المتحدة واشتراكهم فى أعمال المؤتمر . وكان من أهم ما جاء فى خطاب مازاريك قوله :

« انكم تمثلون آراء مختلفة وتشريعات اجتماعية متباينة ووجهات نظر متعارضة فيما يتعلق بمعنى حرية الصحافة ولذلك نتوقع أن تكون مناقشاتكم مليئة بالفائدة والحياة . . . وانه ليسرنا حقا أن يتقابل هنا مؤيدو آراء سياسية واجتماعية متعارضة وأن يتناقشوا

ويبحثوا . . . فان الذى يفيد من هذا كله هو القارىء العادى للصحف الذى لايعرف ماوراء العناوين التى يقرأها ! » .

وأضاف المسيو مازاريك إلى هذا أن العالم وقد مر خلال مرحلتين فى وادى الظلام والموت يستحق اليوم أن نعفيه من تجربة ثالثة ولذلك فان المثل الأعلى الذى يتطلع اليه الناس جميعا فى هذه الأعوام هو أن يكتب لهم قادة الرأى ما يصح أن يطلق عليه اسم « أنشودة السلام » .

ووجه الوزير الكلمة الى الصحفيين قائلا : « وأنتم الذين ستقومون بوضع هذه الأنشودة ، ثم ناشدهم ألا يسخروا من هيئة الأمم المتحدة أو يجعلوا منها أضحوكة إذ أنها ليست فى الحاضر سوى الطريق المؤدى إلى الهدف وإذا كان لا بد لهم أن ينتقدوها فليكن الهدف من نقدها البناء لا الهدم .

ورحب بالأعضاء بعد ذلك رئيس اتحاد الصحافة التشيكوسلوفاكية ثم خطب رئيس المؤتمر شاكرا للحكومة والشعب التشيكوسلوفاكى ترحيبهما وكرم ضيافتهما وكان مما قاله : « إن المؤتمرات تعقد اليوم فى براغ بمعدل مؤتمر واحد فى كل أسبوع . وبهذا أمكن تشيكوسلوفاكيا أن تغزو العالم كله ! » .

وبدأ سكرتير الاتحاد الدولى للصحافة بعد ذلك بعرض تقريره

وكان مما جاء فيه أن عدد الدول التي اشتركت في الاتحاد ، بعد المؤتمر الأول الذى عقد فى كوبنهاجن فى العام الماضى ، قد بلغ ٢٣ دولة ، وأن هناك ثلاث اتحادات وطنية لا تزال الطلبات المقدمة منها للانضمام إلى الاتحاد الدولى موضع النظر ، وهناك خمس دول تشترك فى المؤتمر بصفة « عضو مراقب » .

ولما عرض على المؤتمر الطلب المقدم من نقابة الصحفيين فى مصر للاشتراك فى الاتحاد الدولى دعى الأستاذ فرج جبران للكلام فتحدث عن نقابة مصر وتاريخ انشائها وخلاصة قانونها . ثم اختتم كلامه طالبا من المؤتمر الموافقة على قبولها عضوا فى الاتحاد الا أن رئيس المؤتمر عارض فى ذلك وقال فى حديثه إنه يلاحظ أن المادة ٨ من قانون انشاء نقابة الصحافة فى مصر تنص على أن مجلس النقابة يجمع بين ستة من أصحاب الصحف وستة من المحررين مما يتعارض تمام المعارضة مع قوانين اتحادات العمال .

وعاد مندوب مصر الى الكلام فقال : وإن كانت هذه المادة تتعارض كما يقول الرئيس مع دستور اتحادات العمال فانه يرجو ألا تقف حجر عثرة فى سبيل قبول طلب نقابة مصر ، ووعد بأن يعرض الأمر بعد عودته مع زميله إلى مصر على مجلس النقابة ليعيد بحث الموضوع ويقرر مايحسن عمله .

وتكلم رئيس الوفد البولندى فى المؤتمر فقال انه يرى تعارضا فى قانون نقابة مصر بين الأغراض التى تقوم من أجلها النقابات وبين قبول أصحاب الصحف فى نقابة واحدة مع المحررين ، ولكنه مع ذلك يرى قبول طلب مصر ما دام المتحدث بالنيابة عن وفدها قد وعد باعادة بحث الموضوع فى مصر على هذا الضوء .

ولكن رئيس المؤتمر اقترح احالة طلب مصر على اللجنة التنفيذية لبحثه ، فوافق المؤتمر على ذلك

ولما كانت حالة نقابة الصحافة فى ايران تشبه تماما حالة مصر من هذه الوجهة فقد أحيل طلب ايران أيضا الى اللجنة التنفيذية

وتقرر قبول الطلبات المقدمة من فلسطين واليونان وبلغاريا والمجر ويوجوسلافيا وفنزويلا والفيلبين . كما قبل المؤتمر بعد مناقشة استغرقت نصف يوم الطلب المقدم من الصحفيين للانضمام الى اتحاد الصحافة الدولى .

أهم أبحاث المؤتمر

وقد تألفت فى المؤتمر عدة لجان كان أهمها اللجنة التى كلفت بوضع دستور الاتحاد الدولى للصحفيين ، واللجنة التى كلفت ببحث الوسائل العملية المؤدية إلى تمتع الصحف فى جميع أنحاء العالم بحريتها كاملة .

وقد استغرق بحث موضوع حرية الصحافة أكثر من جلسة وتكلم فيه كثيرون كان منهم الدكتور هوجان ، سكرتير اللجنة الفرعية التى تألفت فى هيئة الأمم المتحدة لبحث موضوع حرية الصحافة والأخبار ، وقد دعا الدكتور هوجان اتحاد الصحافة الدولى إلى الاشتراك فى المؤتمر الذى تعقده هيئة الأمم المتحدة فى الربيع القادم خصيصاً لبحث هذا الموضوع .

وتحدث كذلك الرفيق يودين من الوفد الروسى فقال : « ان الأمم المتحدة لم تنتصر فى الحرب بفضل أسلحتها القوية فقط ولكن بفضل نشر افكار الحرية والديمقراطية والصداقة والمساواة بين الأمم

وألقى الأستاذ فرج جبران على المؤتمر الخطاب الذى كان قد أعده فى مصر حضرة النائب المحترم فكرى أباظه بك ولم يتمكن من السفر لا لقائه . وقد دعا فيه الصحفيين جميعا الى الدفاع عن حرية الشعوب الضعيفة المظلومة دون تمييز بين الجنس أو اللغة

أو الدين كما اقترح تخصيص صحيفة واحدة من بين ملايين الصحف في العالم للدفاع عن حرية الصحافة .

وفى الجلسة الأخيرة زار المؤتمر المسيو ليون جوهر نائب رئيس الاتحاد العالمى لنقابات العمال وقد جاء ليرد تحية مؤتمر الصحافة لمؤتمر اتحادات النقابات وألقى خطبة قوية أثارت حماسا كبيرا إذ جاء فيها :

« لقد كنا جميعا نناضل لا من أجل اتحادنا أو حقوقنا فقط . . بل من أجل الحرية والديمقراطية أيضا . . إذ لا يمكن أن يوجد حق بدون حرية ولا حرية بدون حق » .

وتقرر أن يعقد المؤتمر القادم فى بروكسل سنة ١٩٤٩ .

﴿ تم بحمد الله وتوفيقه ﴾

وقد تألفت في إنجلترا عصبة [illegible] التي كانت توضع في سبيل الأعمال [illegible] الصحفيين [illegible] التي كانت [illegible] الرسائل البرقية [illegible] الصحفيين [illegible]

وقد استمر [illegible] في بحث موضوع حرية الصحافة أكثر من [illegible] وتكلم فيه كثيرون كان منهم [illegible] مستر [illegible] العصبة التي [illegible] لبحث موضوع حرية الصحافة والأخبار [illegible] الصحافة الدولي [illegible] إلى الاشتراك في [illegible] الأمم المتحدة [illegible] القادم خصيصاً لبحث هذا الموضوع.

وتحدث [illegible] الأمس فقال: «إن الأمم المتحدة لم تنتصر في الحرب بفضل أسلحتها الحربية فقط ولكن بفضل نشر أفكار الحرية والديمقراطية والصداقة والمساواة بين الأمم

وألقى الأستاذ فرج جبران في المؤتمر الخطاب الذي كان قد أعده في مصر حضرة الكاتب المحترم فكري أباظة بك، ولم يتمكن من السفر لإلقائه، وقد دعا فيه الصحفيين جميعاً إلى الدفاع عن حرية الشعوب الضعيفة المظلومة دون تمييز من الجنس أو اللغة

صاحب الكتاب

الكتاب هو الذى نحن الآن بصدده ، ونكاد نكون فى ختام صفحاته « الصحافة والصحف » . وصاحب الكتاب هو المرحوم الأستاذ عبد الله حسين .

أما الكتاب فكما يرى القارىء ، حديث عن صاحبة الجلالة « الصحافة » ، وحرى برجل الصحافة أن يؤرخ للصحافة وأن يمتع القارىء بصور رائعة عن أخبارها وحوادثها ونوادرها .

وقد يكون من البر بالصحافة ، ومن الوفاء لما تؤديه إلى العالم من خدمات كريمة ، وجهود طيبة أن تكون الكتابة عنها هى آخر ما كتبه الصحفى الأستاذ « عبد الله حسين » وكأن الله أراد أن يختم رسالته الصحفية فى هـــذه الحياة الدنيا بما دبجه يراعه عن أخبارها وأطوارها ، والاشادة بما يحمله لها كل كريم من اعجاب وتقدير .

أما صاحب الكتاب فهو كما عرفه قراء العربية : الصحفى البارع ، والأديب القدير ، والمؤرخ الاجتماعى ، والباحث الدقيق .

كان فى حياته حركة دائبة ، ونشاطا متواصلا ، وفكراً جوالا .

ففى أسفاره يحدثك عن الملوك والشعوب حديثا شائقا جذابا ، ولكنه حديث الصحفى الماهر ، بل حديث السياسى اللبيب ، ولا يكاد يفرغ من هذه الأحاديث حتى يطالعك بكتاب نفيس تقرؤه ، وتجد فيه روحه : روح البحث والدرس ، والتحليل الاجتماعى ، والعظة التاريخية .

وصاحب الكتاب فوق ذلك محام قدير ، كم دفع بحجته القوية ورأيه الصائب ـ طغيان الباطل فخر فى الميدان صريعاً ، واستقر صرح الحق ، واستقام فى الوجود بناؤه ، وكأنى به ـ فى حياة الصحافة ، وفى حياة المحاماه ، وفى حياة التأليف ـ واحد لا يتغير ولا يتبدل ، فهو فى الصحافة ينير الطريق برأيه . وهو فى حياة المحاماة يجول فى غياهب القضايا حتى يكشف عن نور الحق ، فيسرى وراءه جميع الناس . وهو فى حياة التأليف يهدى القارىء بقلمه .

ولم أكن أعرف « عبد الله حسين » إلا فيما كنت أقرأ له فى

الصحف ، وفى الكتب ، حتى التقينا فى « لجنة البيان العربى » وكان لقاء كريما ، لأننى عرفته عن قرب ، ولأن معرفتى به زادتنى حزناً عليه ، حين اختطفته يد المنون .

وقد اشترك الفقيد فى اللجنة منذ تأسيسها ، واختارته الجمعية العمومية عضواً بمجلس ادارتها ، وقد اسهم الفقيد فى اللجنة أول ما أسهم بأربعين جنيها لم يلبث أن رفعها إلى مائة جنيه ، ثم لم يلبث أن رفعها إلى مائتى جنيه ، ثم لم يلبث أن اشترك لأحد أقربائه وهو الأستاذ محمد عبد الهادى بك المراقب العام لشئون التعليم بالسودان ، وكأنى به قد أحس بما تقوم به اللجنة من خالص الجهود ، فزاد من عونه لها ، والمساهمة فيها بأوفى نصيب .

وكان الفقيد يطبع كتبه على حسابه الخاص إلا هذا الكتاب فقد قدمه الى اللجنة منذ صيف سنة ١٩٤٧ ، فقررت اللجنة طبعه ونشره ، ولكن أحداث الحرب ، ونتائج هذه الأحداث فرضت على الكتب قيوداً للتصدير والاستيراد فرأت اللجنة التمهل فى طبع الكتب حتى تخف أعباء هذه القيود ، وكان من بين هذه الكتب كتاب « الصحافة والصحف »

ولكن اللجنة — وقد مات الأستاذ عبدالله حسين إثر حادث أليم فزعت له قلوبنا جميعا — رأت طبع الكتاب ونشره عرفاناً بفضل الفقيد، وتقديراً لآثاره — وهى جمة جليلة.

وفى على أن هذا آخر كتاب دبجه يراع الفقيد قبل أن يرتحل إلى مثواه الأخير، قدمه من وحى قلمه إشادة بالرسالة الكريمة التى احتملها طول حياته فكان لها أميناً، وكان لها وفياً، وكان لها مثال الأمانة والوفاء.

فإلى قراء العربية نقدم كتاب «الصحافة والصحف»، وأرجو أن يجدوا فيه صورة من الأستاذ عبد الله حسين. صورة من عقله، ومن قلبه، ومن خلقه، وكم كنا نجد فى حياته أمثلة لهذه الصورة أما بعد رحيله فليس لنا إلا فى كتبه — وآخرها هذا الكتاب — وليس لنا إلا فى سيرته — أمثلة نذكرها فنتأسى عليه ونحزن، وندعو له بالمغفرة والمثوبة.

ونحمد للأستاذ الكبير «محمد عبد الهادى بك» المراقب العام لشئون التعليم بالسودان إشرافه على طبع الكتاب، وتصحيح تجاربه، ونشكر له ما أسبغه على لجنة البيان فى تقديمه الذى صدر به الكتاب.

وعزيز علينا أن يصدر الكتاب وليس بيننا صاحبه ، حتى يرى ثمرة جهوده ، فيغتبط لها كما نغتبط .

ولكن هكذا قضى الله ، ولا راد لقضائه .

وقد يكون من حكمة الله فى هذا القضاء أن يكون الكتاب ذكرى لوفاة مؤلفه ، وأن يكون للجنة فى طبعه بر بالفقيد ، ووفاء له . وأن يكون للقراء فى الاقبال على قراءته مثل من هذا البر ومثل من هذا الوفاء ؟

سكرتير اللجنة

حسان أبو رحاب

فهرس الكتاب

أصدرت اللجنة فى هذه الفترة الكتب الآتية :

رقم	اسم الكتاب	المؤلف	السعر
			مليم
١	يسألونك	الأستاذ عباس محمود العقاد	٢٥٠
٢	أثر الشرق فى الغرب	دكتور فؤاد حسنين	١٥٠
٣	قصة الكهربا واللاسلكى	الأستاذ محمد عاطف البرقوقى	٢٥٠
٤	مشكلاتنا الاجتماعية	الأستاذ محمد عطية الابراشى	٢٠٠
٥	الحبشة	الأستاذ حسن محمد جوهر	٢٠٠
٦	الغزل عند العرب	الأستاذ حسان أبو رحاب	٢٥٠
٧	عائشة أم المؤمنين	الآنسة زاهية مصطفى قدورة	٢٥٠
٨	الفلسفة القرآنية	الأستاذ عباس محمود العقاد	٣٠٠
٩	أحاديث الصباح فى المذياع	الشيخ محمود شلتوت والشيخ محمد محمد المدنى	١٥٠
١٠	أبطال الشرق	الأستاذ محمد عطية الابراشى	١٥٠
١١	أبو العتاهية	الأستاذ محمد أحمد برانق	١٥٠
١٢	الراهبة المتوحشة	دكتور عباس ابراهيم حسن	١٠٠
١٣	المهد الذهبي	الأستاذ وهبي اسماعيل حق والاستاذ ابراهيم خيرالله	١٠٠
[illegible]	[illegible]	[illegible]	٣٠٠

أصدرت اللجنة في هذه الفترة الكتب الآتية :